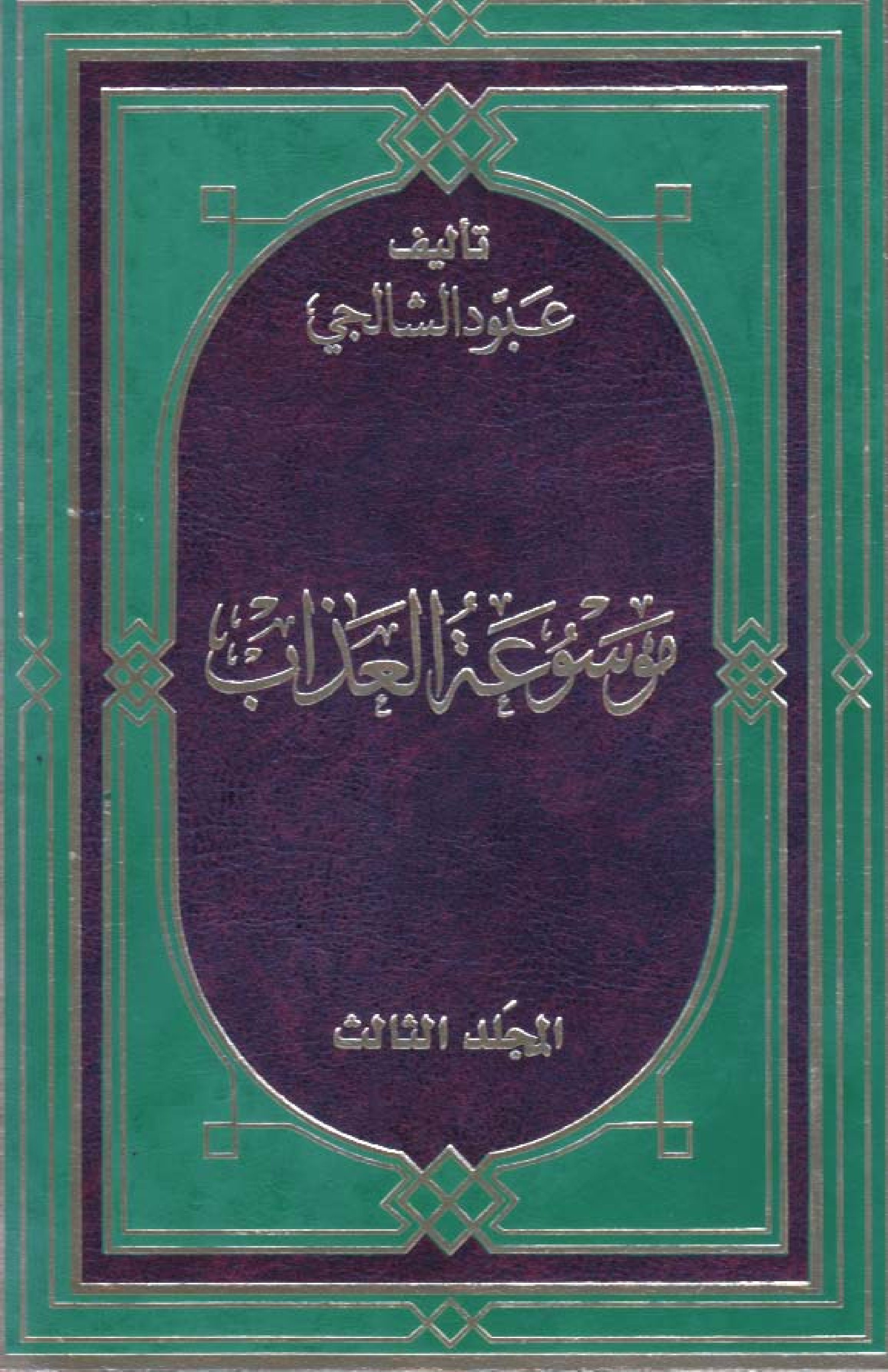


تأليف
عبود الشالجي
موسوعة العذاب
المجلد الثالث

موسوعة العذاب





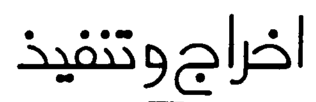
تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد الثالث

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.



THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

London
2 Greville Lodge 15 Westbourne
Grove Terrace London W2. P.O. Box 1068
Tel (01) 2293880 (01) 2294054
Telex Arban G825388 Telefax: 7920802

الدار العربية للموسوعات

بيروت ـ لبنان
ص. ب: ١٣/٥٣٤٨ تلكس: ٢٣١٠٧ Aratred Le
هاتف: ٣٥٢٥٩٨ ـ ٣٤٣٨٢٨ ـ الحمرا.
ص. ب. ١٤٦ الحازمية ـ تلكس: ٤٢٨٣٩ Arab Le
٤٢٩٩٨١ (٩٦١١) : Telefax ـ هاتف: (٢) ٤٢٩٩٨١

الباب الرابع

الحبس والقيد والغلّ والمسوح

مقدمة

الحبس ، في اللغة : الضبط والتقييد ، ومنه سمّي وقف الملك حبساً ، لأنّه يعني ضبط الغلّة ، وقيدها ، بأن تصرف على جهة معيّنة .

والحبس الشرعي : تعويق الشخص ، ومنعه من التصرّف بنفسه ، سواء حبس في بيت ، أو في مسجد ، أو لازمه خصمه .

والقيد ، في اللغة : الحبس والمنع ، ومنه قيد الكلمات ، عند إثباتها في الصحف ، يعني حبسها كي لا تضيع .

والقيد في الإصطلاح : كلّ ما يمسك عن الحركة .

والغلّ : طوق من حديد يجعل في اليد ، أو في العنق .

والجامعة : القيد إذا ربط اليدين بالعنق ، فجمعهما معاً .

وقد رأيت أن أجمع ما يتعلّق بالحبس وبالقيد في باب واحد ، لأنّ العقوبة بهما ، تكاد تكون متلازمة ، حتى لكأنّ القيد والحبس متلازمان .

وقد جعلت هذا الباب مشتملاً على فصول ثلاثة :

الفصل الأوّل : الحبس ، ويشتمل على ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : السجون الاعتياديّة :

١ ـ سجون الدولة

٢ ـ سجون الأمراء والأميرات .

٣ ـ حبس الانسان في داره .

٤ ـ الحبس عند أحد رجال الدولة .

٥ ـ سجن الأمراء في الجوسق بسامراء .

٦ ـ الحبس في دار الخلافة ببغداد .

٧ ـ الحبس في القلاع والحصون .

القسم الثاني : السجون غير الاعتياديّة :

١ ـ الحبس في الحبوس الضيّقة .

٢ ـ الحبس في المطبق .

٣ ـ الحبس في المطامير .

٤ ـ الحبس في السرداب .

٥ ـ الحبس في الجبّ .

٦ ـ الحبس في زورق مطبق .

القسم الثالث : الحبس بقصد الإهانة وتكون في المواضع التالية :

١ ـ الحبس في الكنيف.

٢ ـ الحبس في الإصطبل .

٣ ـ الحبس مع المجانين في المارستان .

٤ ـ الحبس في قفص .

الفصل الثاني : الغلّ والقيد والمسوح وجباب الصوف ، ويشتمل على قسمين :

القسم الأوّل : الغّل والقيد .

القسم الثاني : المسوح وجباب الصوف .

الفصل الثالث : طرائف عن الحبوس .



الفصل الأول

الحبس

الحبس : يعني الضبط والإمساك .

والحبس : المصدر والإسم .

والمحبس (بفتح الباء) المصدر .
(وبكسر الباء) الموضع الذي يحبس فيه .

والسجن : (بفتح السين) المصدر .
(وبكسر السين) الإسم ، وهو المحبس .

وروي انّ النبي صلوات الله عليه ، حبس يوماً وليلة .

ولم يكن للنبيّ صلوات الله عليه ، ولا لأبي بكر محبس معدّ ، ولما انتشرت الرعيّة ، في أيّام الخليفة عمر ، أعدّ حبساً في مكة ، في دار اشتراها من صفوان بن أميّة بأربعة آلاف درهم (خطط المقريزي ٢/١٨٧) .

أقول : الظاهر إنّ الحطيئة ، الشاعر الهجّاء ، كان من جملة من حبس في هذا المحبس ، لما هجا الزبرقان بن بدر ، فحبسه الفاروق عمر ، فكتب إليه من الحبس ، أبياتاً منها (الملح والنوادر ٢٢٨) .

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ   زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ   فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وذكر صاحب شفاء الغليل (ص ١٠٩) إنّه لم يكن في زمن النبي صلوات الله عليه ، ولا في زمن الخلفاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، سجن ، وكان يتمّ الحبس في المسجد ، أو في الدهليز حيث أمكن ، فلما كان زمن الإمام علي ، أحدث السجن ، وهو أوّل من أحدثه في الإسلام .

وكان الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، إذا أراد أن يعاقب رجلاً ، حبسه ثلاثة أيّام ، ثم عاقبه ، كراهة أن يعجل في أوّل غضبه (تاريخ الخلفاء ٢٣٦) .

وبحث المقريزي في خططه بحثاً مفصّلاً عن السجون عامّة ، وعن السجون بمصر خاصّة ، ومما قاله : إنّ الحبس الموجود الآن ، لا يجوز عند أحد من المسلمين ، وذلك إنّه يجمع الكثير في موضع يضيق عنهم ، لا يتمكّنون فيه من الوضوء ، والصلاة ، ويؤذيهم الحرّ في الصيف ، والبرد في الشتاء ، واما سجون الولاة ، فلا يوصف ما يحلّ بأهلها من البلاء ، وآشتهر أمرهم بأنّهم يخرجون مع الأعوان في الحديد ، يستجدون ، وهم يصرخون في الطرقات من الجوع ، فإذا تصدّق عليهم أحد ، لا ينالهم إلّا ما يدخل بطونهم ، وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس ، يأخذه السجّان ، وأعوان الوالي ، ومن لم يرضهم بالغوا في عقوبته ، وهم مع ذلك يستعملون في الحفر ، وفي العمائر ، ونحو ذلك من الأعمال الشاقّة ، فإذا انقضى عملهم ، ردّوا إلى السجن في حديدهم ، من غير أن يطعموا شيئاً (خطط المقريزي ٢/١٨٧) .

ووصف المقريزي ، في خططه (٢/١٨٨) سجون مصر ، وعدّها ، فذكر خزانة البنود : وقال إنّ هذا السجن يحبس فيه الأمراء والأعيان ، أما حبس المعونة : فيحبس فيه أرباب الجرائم من السرّاق وقطّاع الطريق ، وكان حبساً ، حرجاً ضيّقاً ، شنيعاً ، يشمّ من آقترب منه رائحة كريهة ، أمّا الحبس المعروف بخزانة شمائل ، فكان من أشنع السجون ، وأقبحها منظراً ، يحبس

فيه من وجب عليه القتل ، أو القطع ، من السرّاق وقطّاع الطريق ، ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك ، وأصحاب الجرائم العظيمة ، ومما يلفت النظر ، قول المقريزي : إنّ السجّان به ، يوظّف عليه والي القاهرة شيئاً يحمله إليه من المال في كلّ يوم ، يعني إنّ الموظف يظلم المساجين ، ويعذّبهم ، ليدفعوا له ، لكي يدفع جزءاً منه للوالي ، وهذا مما يبعث على العجب ، أن يكون الموظّف هو الذي يدفع ، ولا يأخذ راتباً ، وذكر المقريزي سجن المقشرة ، وذكر إنّه صار سجناً لأرباب الجرائم ، بعد هدم خزانة شمائل سنة ٨١٨ ، وإنّه من أشنع السجون ، وأضيقها ، يقاسي فيه المسجونون من الغمّ والكرب ما لا يوصف ، وذكر المقريزي الجبّ ، الذي بقلعة الجبل ، وقال إنّه أنشىء سنة ٦٨١ في أيّام المنصور قلاوون وفي السنة ٧٢٩ « نزل إليه » شادّ العمائر ، ليصلح عمارته ، فشاهد أمراً مهولاً من الظلام وكثرة الوطاويط ، والروائح الكريهة ، فتحدّث إلى الأمراء في أمره ، وكلّموا السلطان ، فأمر بردمه .

أقول : لاحظ قول المقريزي ، إنّ شاد العمارات «نزل» إلى السجن ، يعني إنّه كان جبّاً ، لا باب له ، وإنّما ينزل إليه من أعلاه ، وهذا أسوء أنواع السجون .

ووصف المقريزي (ت ٨٤٥) حبس المعونة ، بالقاهرة ، الذي كان سجناً لأرباب الجرائم ، فقال : إنّه كان شنيع المنظر ، ضيّقاً ، لا يزال من يجتاز عليه يشمّ منه رائحة منكرة ، وكان قلاوون ، وهو أمير ، يمرّ به ، فيشمّ منه رائحة رديئة ، ويسمع منه صراخ المسجونين ، وشكواهم الجوع والعري والقمل ، فلما تسلطن هدمه . (خطط المقريزي ٢/١٠٢) .

وفي السنة ٨١٨ هدم بالقاهرة السجن الذي كان يسمّى : خزانة شمائل ، فوجد فيه من رمم القتلى ، ورؤوسهم شيء كثير ، وأفرد لنقل ما

خرج من التراب عدّة من الجمال والحمير ، بلغت علائقهم في كلّ يوم خمسمائة عليقة . (خطط المقريزي ٢/٣٢٨) .

وكان سنجر الحلبي ، أحد المماليك الصالحية ، ولّاه المظفر قطز ، سلطان مصر نيابة دمشق ، فلما قتل قطز على عين جالوت ، وتسلطن من بعده الظاهر بيبرس ، ثار سنجر بدمشق ، ودعا إلى نفسه في السنة ٦٥٨ وتلقّب بالملك المجاهد ، ثم خامر عليه أمراؤه بدمشق ، وقبضوا عليه ، وبعثوا به إلى مصر ، فاعتقله الظاهر ، وظلّ محبوساً من السنة ٦٥٩ إلى السنة ٦٨٩ مدّة تنيف على ثلاثين سنة ، فلما ولي الملك الأشرف خليل بن قلاوون أخرجه وأعاده من الأمراء الأكابر ، وتوفّي سنة ٦٩٢ وقد جاوز تسعين سنة ، وآنحنى ظهره وتقوّس . (خطط المقريزي ٢/٤٦) .

وكان الأمير شمس الدين الشمسي الصالحي ، من كبار المماليك بالقاهرة ، اعتقله الملك المنصور قلاوون ، في السنة ٦٨٠ ، وظلّ معتقلاً اثنتى عشرة سنة ، فأفرج عنه الأشرف خليل في السنة ٦٩٢ وأعاده إلى الإمارة ، ولما تسلطن المنصور لاجين ، اعتقله في السنة ٦٩٨ ، ومات في الاعتقال سنة ٦٩٩ (خطط المقريزي ٢/٦٩ و٧٠) .

وأغفل المقريزي لوناً عجيباً من ألوان الحبس ، وهو « الترسيم في المسجد » فقد نقل صاحب سيرة الملك المنصور (ص ٥٤) انّه في السنة ٦٧٨ أفرج عن الصاحب فتح الدين ابن القيسراني ، وزير الشام ، ونزل إلى بيته بعد أن أقام « في الترسيم في المسجد بالقلعة المنصورة » نيفاً وثلاثين يوماً .

وفي السنة ٦٩٨ توفّي في القاهرة ، الأمير بدر الدين بيسري ، سجيناً في قلعة الجبل ، حبسه المنصور قلاوون تسع سنين ، وأطلقه ولده الملك الأشرف خليل ، ثم حبسه الملك المنصور لاجين ، وآستمرّ محبوساً ، حتى

مات في هذه السنة ، في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . (النجوم الزاهرة ٨/١٨٥) .

وفي السنة ٧٣٥ أفرج السلطان الملك الناصر عن الأمير بيبرس الحاجب ، وكان في السجن منذ السنة ٧٢٥ ، وأفرج أيضاً عن الأمير طغلق التتاري ، أحد الأمراء الأشرفية ، وكان له في السجن ثلاث وعشرون سنة ، ومات بعد أسبوع من إطلاقه ، وأفرج كذلك عن الأمير غانم بن أطلس خان ، وكان له في السجن خمس وعشرون سنة ، وأفرج عن الأمير برلغي الصغير وله في السجن ثلاث وعشرون سنة ، كما أفرج عن سبعة أمراء آخرين كانوا قد سجنوا منذ السنة ٧١٠ (النجوم الزاهرة ٩/١٠٩ و١١٠) .

وفي السنة ٧٣٧ أفرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سلطان مصر والشام (ت ٧٤١) عن الأمير طرنطاي المحمدي ، بعدما أقام في السجين سبعاً وعشرين سنة (النجوم الزاهرة ٩/١١٦) .

وفي السنة ١٢٢٩ قتل باي تونس الأمير عثمان بن علي التركي ، قتله ابن عمّه محمود بن محمد ، واستقرّ في موضعه ، وولد للأمير عثمان في سنة قتله غلام أسموه محمداً فسجنه محمود ، وظل مسجوناً طول مدّة حكم محمود بن محمد ، ومدّة حكم ولديه حسين ومصطفى ، ومدّة حكم أحمد بن مصطفى كذلك ، ولما ولي تونس محمد بن حسين بن محمود ، أطلق محمداً بن الأمير عثمان في السنة ١٢٧١ ، وتوفّي بعد إطلاقه من السجن في السنة ١٢٨٥ (معجم أنساب الاسر الحاكمة ١٣١) أقول : يعني أنّ مدة حبسه أنافت على اربعين سنة .

ومن أعجب الحبوس ، الحبس الذي كان يلقى فيه المغاربة في الحجاز ، ذكره صاحب المستبصر (ت ٦٩٠) ، قال : في أيّام الأمير عيسى بن فليتة ، أمير الحجاز (ت ٥٧٠) كان يؤخذ من كلّ مغربيّ ، قدم للحجّ ،

سبعة يوسفية ضريبة ، ومن لم يؤدّ ، كان يؤخذ ويدلّى في صهريج من صهاريج جدّة ، وهو صهريج مسجد الأبنوس ، ويعلّقونه بحقوه ، وقد عرش بها أخشاب لهذا الفنّ ، فإذا حجّ الناس ، وقضوا مناسكهم ، وأفاض كلٌّ راجعاً إلى مقصده ، فحينئذ يخرجون المغاربة من الصهاريج ، ويقسّطون على المراكب الراجعة إلى مصر ، وعيذاب ، والقلزم (المستبصر ٤٨) .

وكان يحشر في الحبوس ، حتى من لا ذنب له ، كما صنع الملك المنصور قلاوون ، إذ بعث إلى الصعيد ، بمصر ، الأمير حسام الدين طرنطاي ، في السنة ٦٧٩ فأخذ خلقاً عظيماً من أعيانهم رهائن ، وأحضرهم إلى القاهرة فأودعهم السلطان الحبوس . (النجوم الزاهرة ٧/٣٢٤) .

وكانت الحبوس الاعتيادية ، متعدّدة الاسماء والأوصاف ، فقد كان لأهل الجرائم سجن ، وللظلمة حبس ، ولصاحب الشرطة في الجانب الشرقي ببغداد مجلس وحبس ، ولصاحب الشرطة في الجانب الغربي ببغداد ، مجلس وحبس ، وكان هذان المجلسان، على طرفي الجسر ببغداد ، وهو الجسر الذي حلّ محلّه الآن جسر الصرافية الحديد ، وكان للنساء سجن ، بل كان للطرارات من النساء سجن ، وكان للقاهر سجون ، يسمّيها : الحبوس الغامضة ، وفي أيّام المكتفي ، كان أسرى القرامطة ، يحبسون في الحبس الجديد ، وكان قصر الذهب في مدينة المنصور ، في عهد المعتز العباسي ، سجناً ، يأمر الخليفة بأن يحبس فيه من يريد حبسه ، وكان الخليفة الناصر إذا غضب على أحد المقدّمين من رعيته ، أصدر أمره بأن يوجّه به إلى حبس المدائن ، فيضيف إلى الحبس النفي .

وكان للأمراء ، والأميرات ، والوزراء ، والقوّاد ، سجون ، ولست أريد أنّ لكل واحد من هؤلاء سجناً بالمعنى الذي نعرفه الآن ، ولكن كان لكل واحد من هؤلاء ، الحقّ في أن يحبس من يريد حبسه ، وستجد في هذا البحث أنّ أحد المتعاملين مع السيّدة زبيدة أمّ جعفر ، أخلّ بأداء دين ترتّب

بـذمّته لهـا ، فحبسته ، وأنّ عليّـة بنت المهدي اتّهمت وكيـلاً لها بخيـانـة في مال ، فحبسته ، وأنّ القـاسم بن الرشيـد غضب على أبي العتاهيـة فحبسه في داره ، أي في دار القاسم ، فاستغـاث أبو العتـاهية بـالسيّدة زبيـدة أمّ جعفر ، فكلّمت الـرشيد ، فـأمر بـإطلاقـه ، وأنّ السيّدة فـاطمة زوجـة نـاصـر الـدولـة الحمداني ، اتّهمت وكيلاً لها بخيانـة في أموالهـا ، فحبسته ، كمـا أنّ الوزيـر كـان يحبس من يـريـد حبسـه في دار الـوزارة ، كمـا يحبس الخليفـة في دار الخلافة ، وأورد صاحب الوافي بالوفيات ٩/ ٤٨٠ في ترجمـة الأمير عـزّ الدين أيبك المعظّمي ، إنّه لما تمّ الصلح ، بين السلطان الكـامل والسلطان النـاصر داود ، كـان الأمير عـزّ الـدين الـوسيط في الصلح ، فـاشتـرط لنفسـه بـلاداً ، وأمـلاكاً ، ومسـامحات ، وإفسـاحاً في « الممنـوعات » ، وكـان من جملة ما اشترط « أن يكون له بدمشق حبس يَحبِسُ فيه نوّابه » .

وكان للمقتدر قهرمانة اسمها زيدان ، يحبس عندهـا من يريـد حبسه من الوزراء والأمراء والقوّاد ، كما كان لأبي أحمد المـوفّق ، المهيمن على الدولـة في عهد أخيه المعتمد ، سجن خاصّ به ، وممن دخل هـذا السجن ولده أبـو العباس أحمد ، الذي أصبح بعد أن بويع بالخلافة ، المعتضد بالله ، .

وكان السجن يختلف باختـلاف ظروف المحبـوس فيه ، ومقـامه ، فـإن كان محترماً ، مرعيّ الجـانب ، ولا خشية من انتقاضـه على الـدولة ، فيحبس في داره ، ويمنع من مبارحتها ، وإن كان ثائراً اعتقـل ، أو أميراً ، أو قـائداً ، أو رجل دولة ، ممن يخشى انتقـاضه ، حبس في دار أحـد الحاشيـة ، أو في دار الخلافة ؛ أو دار الوزارة ، بحيث يكون تحت المراقبة اليقـظة ، فإن أريـد إضافة إلى حبسه ، إبعاده عن الناس ، حبس في إحدى القـلاع أو الحصون ، تحت مراقبة تامّة ، وفي يد ثقةٍ يطمئنّ إلى اخلاصه وأمانته .

وقد روى لنا التنوخي ، في كتابه الفرج بعـد الشدّة في القصّـة المرقّمـة ١٩٦ قصّة طريفة عن أبي تغلب الحمداني ، صـاحب الموصـل ، فإنّـه اعتقل

أخاه محمداً في قلعة أردمشت ، من أعمال الموصل ، وحبسه في مطمورة بها ، ووكّل بحفظه عجوزاً يثق بها جلدة ، ضابطة ، اسمها : نازبانو (فارسية : سيّدة النساء) ، وأمرها أن لا توصل إليه أحداً ، ولا تعرّفه خبراً ، وأن تخفي موضعه عن جميع شحنة القلعة وحفظتها ، وأقام محمد في مطمورته هذه ثماني سنين ، ثم كتب أبو تغلب إلى متسلّم القلعة ، أن يقتل أخاه محمداً ، فلما أراد أن يدخل إليه ليقتله ، حالت نازبانو دون ذلك ، وأبت أن تمكّن منه ، إلّا بكتاب يرد عليها من أبي تغلب ، فإلى أن كتب إليها ، كان قد آنكسر في حربه مع عضد الدولة ، وآنصرف إلى بلاد الشام ، وآحتلّ عضد الدولة الموصل ، فأطلق محمداً ، وأمّره على شمال العراق ، بدلاً من أخيه .

وكان الخلفاء العباسيّون ، في صدر أيّامهم ، يحبسون من يخافون غائلته في دار أحد رجال الدولة ، أو كبار الخدم ، ولما انتقلوا إلى سامراء ، كان الأمراء من أفراد العائلة المالكة ، يحبسون في الجوسق ، وكان كلّ من أراد الأتراك مبايعته بالخلافة ، من بعد المنتصر ، أخرجوه من السجن في الجوسق ، وأحضروه إلى قصر الخلافة ، حيث يبايع ، ويقضي في سدّة الحكم أمداً قصيراً ، ثم يخلع ، ويقتل ، ويعود الأتراك إلى الجوسق ، لاستخراج غيره من الأمراء ، إلى حيث يبايع ، ويقضي في الحكم أمداً قصيراً ، ليلاقي نفس المصير الذي لاقاه من تقدّمه ، ولما عادوا إلى بغداد ، كان الأمراء العباسيّون يُحجزون في الحريم الطاهري (الآن بستان العطيفية) وكانت محلّة ذات بيوت عامرة ، تشتمل على مسنّيات على نهر دجلة ، وكان الأمراء يقيمون فيها مع عوائلهم ، وكان عليها سور ، وعلى أبواب السور حرّاس ، يرأسهم خادم من ثقات الخليفة ، لا يمكّن أحداً ممن يقيم فيها ، من مبارحة الدار ، إلّا بإذن من الخليفة ، ثم تحوّل الحال ، من بعد ذلك ، إذ أصبح الخلفاء أكثر حيطة تجاه إخوانهم وأبنائهم وأعمامهم ، وأفراد العائلة

كافّة ، ممن يخافون انتقاضه ، أو ممن يرونه لائقاً للحلول محلّهم ، فنقلوهم إلى دور داخل دار الخلافة ، لتكون الرقابة عليهم أيسر ، وفي هذه الدور وجدهم هولاكو ، لما فتح بغداد ، حيث قتلهم بأجمعهم .

قال صاحب الوافي بالوفيات ٢/٢٩٤ : إنّ الأمير الموفّق أبا أحمد لما غلب على الأمور « حظر على أخيه الخليفة المعتمد ، واحتاط عليه ، وعلى ولده ، وجمعهم في موضع واحد ، ووكّل بهم » .

وقال صاحب الوافي بالوفيات ، في موضع آخر ٢/٢٧٦ : إن السلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ، طلب من الخليفة العبّاسي أن يخطب له على منابر بغداد ، كما خطب لسلاطين بني سلجوق ، فأجابه ديوان الخليفة بأنّ ظروفاً أوجبت الخطبة للسلجوقيين ، بالنظر لتغلّب الخارجي على بغداد ، ونزوح الخليفة القائم إلى حديثة وعانة، حتى نصره السلطان طغرل بك بن ميكائيل السلجوقي ، فاقتضى ذلك إقامة الخطبة ، ولا يلزم أن يكون لك تحكّم مثل أولئك ، ومتى إحتجنا اليك في مثل ذلك ـ والعياذ بالله ـ أجبنا سؤالك ، وأنت ممالكك متّسعة ، فلا تضايق أمير المؤمنين في داره ، وأعيد رسوله ومعه الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، فلما دخل على السلطان ، روى في مجلسه حديثاً معناه التحذير من أذيّة آل العبّاس ، فلما فرغ من رواية الحديث ، قال السلطان: إنّي ما آذيت أحداً من أولاد العبّاس ، ولا قصدتهم بسوء ، وبلغني أن في محابس أمير المؤمنين منهم خلقاً كثيراً مخلّدون ، يتوالدون ويتناسلون ، فلو أعاد الشيخ هذا الحديث على مسامع أمير المؤمنين ، كان أولى وأجدى .

أما إذا كان الحبس يقصد به إهانة المحبوس ، إضافة إلى أذى الحبس ، فيحبس في الكنيف ، أو في الأصطبل ، أو في المارستان مع المجانين ، وقد يحبس في قفص من حديد ، وهذا اللون الأخير من الحبس ، هو بالإشهار أشبه منه بالحبس .

وكانت الحبوس ، على اختلاف أنواعها ، ينطبق عليها الوصف الذي وصفها به بلال بن أبي بردة ، لما أخذ خالد بن صفوان ، فضربه مائة سوط ، ثم أمر به إلى الحبس ، فقال له خالد : علام تفعل بي هذا ؟ فقال بلال : يخبرك بذلك باب مصمت وقيود ثقال ، وقيّم يقال له حفص ، راجع تفصيل القصّة في نكت الهميان للصفدي ١٤٨ .

ومهما كان شكل الحبس ، وموضعه ، فإنّه لون من ألوان العذاب ، ولذلك ، كانت الشكوى منه عامّة ، ومن أظهر من المحبوسين تجلّداً ، فإنّ ذلك لا يعني أنّه لم يتألّم من الحبس ، ولكنّه تظاهر بخلاف ما يعاني ، وقد حبس المتوكل عليّ بن الجهم، فقال من قصيدة :(المحاسن والاضداد ٢٨) .

قالوا: حبستَ فقلت: ليس بضائري	حبسي وأيّ مهنّد لا يغمد
أو ما رأيت الليثَ يألف غيله	كبراً وأوباش السباع تردّد
والحبس ما لم تغشه لدنيّة	شنعاء نِعْمَ المنزل المتورّد
بيت يجدّد للكريم كرامة	ويزار فيه ولا يزور ويحمد

وقد نقض على ابن الجهم قصيدته هذه ، عاصم بن محمد الكاتب ، لما حبسه أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، إذ قال من قصيدة ، (المحاسن والاضداد ٢٩) .

قالوا حبستَ فقلت :خطب أنكد	أنحى عليّ به الزمان المرصد
من قال إنّ الحبس بيت كرامة	فمكاشرٌ في قوله متجلّد
ما الحبس الّا بيت كلّ مهانة	ومذلّة ومكاره لا تنفد
يكفيك أنّ الحبس بيت لا يرى	أحدٌ عليه من الخلائق يحسد
في مطبق فيه النهار مشاكلٌ	للّيل والظلمات فيه سرمد

وما أحسن قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، لما حبس : (المحاسن والاضداد ٣٠).

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجّان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا ، فجلّ حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وقال أبو محجن الثقفي ، لما حبس ، من قصيدة : (الاغاني ١٩/٥) .

وقد شفّ جسمي أنّني كلّ شارقٍ أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا
إذا قمت عنّاني الحديد وغلّقت مصاريع من دوني تصمّ المناديا

وقال عبيد الله بن الحرّ ، لما حبسه مصعب بن الزبير ، في السنة ٦٨ : (الطبري ٦/١٣١) .

فمن مبلغ الفتيان انّ أخاهُمُ أتى دونه بابٌ شديد وحاجبه
بمنزلةٍ ما كان يرضى بمثلها إذا قام عنّته كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب أسودُ صامتٌ شديد يداني خطوة ويقاربه

وقال محمد بن صالح العلوي ، لما حبسه المتوكل بسرّ من رأى : (الأغاني ١٦/٣٧١) .

ألم يحزنك يا ذلفاء أنّي سكنتُ مساكن الأموات حيّا

وممن أبدع في وصف سجنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري ، لما سجنه المظفّر العامري في أحد أبراج طرطوشة ، فقال من قصيدة :

يأوي إليه كلّ أعور ناعبٍ وتهبّ فيه كلّ ريح صرصر
ويكاد من يرقى إليه مرّة من عمره يشكو آنقطاع الأبهر

وقال يصف حاله في حبسه ، وهو من بديع الشعر : (نفح الطيب ١/٥٨٧ و٥٨٨)

شحط المزار فلا مزار ونافرت ... عيني الهجوع فلا خيال يعتري
أرزى بصبري وهو مشدود العرى ... وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كلّه وتلذّذي ... بالعيش طيّ صحيفة لم تنشر
ها أنّني ألقى الحبيب توهّماً ... بضمير تذكاري وعين تذكّري
عجباً لقلبي يوم راعتني النوى ... ودنا وداعي كيف لم يتفطّر

ومن لطيف الشعر ، قول القائل : (شرح نهج البلاغة ٥/٥١)

وما وجد صعلوك بصنعاء موثق ... بساقيه من سمر القيود كبول
قليل الموالي مُسْلَمٌ بجريرة ... له بعد نومات العيون غليل
يقول له السجّان أنت معذّب ... غداة غدٍ أو رائح فقتيل
بأكثر من وجدي بكم يوم راعني ... فراق حبيبٍ ما إليه سبيل

وحبس خالد بن عبد الله القسري ، أمير العراقيين ، الكميت بن زيد الشاعر ، فكانت امرأته تختلف إليه في ثياب وهيأة ، حتى عرفها البوّابوان ، فلبس يوماً ثيابها وخرج ، فقال : (الحيان ٢/٣٦٥)

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل ... على الرغم من تلك النوابح والمشلي
عليّ ثياب الغانيات وتحتها ... صريمة عزمٍ أشبهت سلّة النصل

وقال أبو إسحاق الصابي ، لما حبس : (التيمية ٢/٢٤٤) .

يا أيّها الرؤساء دعوة خادمٍ ... أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم المروءة عندكم ... حبسي وطول تهدّدي ووعيدي
أنا بين إخوان لنا قد أوثقوا ... بسلاسلٍ وجوامعٍ وقيود
وموكّلين بنا نذلّ لعزّهم ... فكإنّنا لهم عبيد عبيد

من كلّ حرٍّ ماجدٍ صنديد ... في كلّ وغد عاجز رعديد
قصرت خطاه خلاخلٌ من قيده ... فتراه يمشي كالفتاة الرود

ولما اعتقل المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة، أبا مروان عبد الملك بن غصن الحجاري (ت ٤٥٤)، حبسه في حصن وبذة، من أعمال طليطلة، قال يصف سجنه: (اعتاب الكتاب ٢٢٠).

نحن في حالة لأيْسَرَ منها ... يتلظّى الردى وتبكي الخطوب
مالنا في وطء البسيطة حظٌّ ... لا ولا في نشق الهواء نصيب
في محلٍّ كأنّه ظلف شاةٍ ... ليس فيه لذي دبيبٍ دبيب
وكأنَّ الكبلِ الثقيل إذا ما ... رنّ في الساق للخطوب خطيب

وكان الحاجري الشاعر (ت ٦٣٢) محبوساً في قلعة خفتيدكان، ثم نقل إلى الاعتقال بإربل، ومن شعره لما كان محبوساً في قلعة خفتيدكان: (وفيات الأعيان ٣/٥٠٤)

قيد أكابده وسجنٌ ضيّق ... يا ربّ شاب من الهموم المفرق
كيف السبيل إلى اللقاء ودونه ... شمّاء شاهقةٌ وباب مغلق

وقال الشاعر الكبير معروف الرصافي (ت ١٣٦٤) (١٩٤٥ م)، يصف حالة السجن ببغداد، في العهد التركي الذي انتهى في السنة ١٣٣٦ (١٩١٧ م)، من قصيدة عنوانها: السجن في بغداد، قال في مطلعها:

سكنّا ولم يسكن حراك التبدّد ... مواطن فيها اليوم أيمن من غد

منها:

زر السجن في بغداد، زورة راحمٍ ... لتشهد للأنكاد، أفجع مشهد
محلّ به تهفوا القلوب من الأسى ... فإن زرته فاَشدد على القلب باليد
مقابر بالأحياء غصّت لحودها ... بخمس بمئتين أنفس أو بأزيد

وقـد عمّهم قيد التعـاسـة مـوثقـاً فلم يتـميّــز مــطلقٌ عـن مقـيّــد
تـواصلت الأحـزان في جنبــاتهـا بحيث متى يبــل الأسى يتجــدّد
وقـد عميت منها النوافذ والكـوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تصعّد من جوف المراحيض فوقها بخـارٌ إذا تمرر بـه الـريـح تفسـد
تـدور رؤوس القوم من شمّ نتنهـا فمن يك منهم عادم الشم يحسـد
يـزور هبـوب الـريـح إلّا فنـاءهـا فلم تحظ من وصل النسيم بموعد
تــظنّ إذا صـدر النهــار دخلتهـا كـأنّك في قـطع من الليـل أسـود
فلو كـــان للعبّــاد فيهـــا إقـــامـــة لصلّوا بهـا ظهـراً صـلاة التهجّـد

ومما كان يزيد في عذاب المحبوس ، أنّه لم يكن له أمد معيّن يقضيه في الحبس ثم يخلّى ، وإنّما يحبس ، ثم يهمل ويترك ، وقد ينسى ، اللهم إلّا إذا تذكّره المسلّط ، أو توسّل بوسيلة يتذكّره بها ، فإمّا أن يشتدّ في أمره ، فيقضي عليه ، وإمّا أن يخفّف ويخلّي عنه .

ومن الأمثلة على التشـدّد ، مـا صنعــه المنصــور بعبــد الله بن الحسن العلوي ، فإنّه كان قد حبسه وأهل بيته ، وبالغ في أذاهم .

ولما أراد المنصور الخروج للحجّ ، جلست له ابنة لعبد الله بن الحسن ، يقال لها : فاطمة ، فلما أن مرّ بها ، أنشأت تقول :

إرحم كبيــراً سنّــه مـتهــدمٌ في السجن بين سلاسل وقيود
أرجـوك بالـرحم القريبـة بيننا مـا جـدّنـا من جـدّكم ببعيــد

فقال أبو جعفر : أذكرتنيـه ، ثم أمر بـه فحدر إلى المـطبق ، وكان آخـر العهد به . (تاريخ بغداد للخطيب ٩/٤٣٢) .

ومن الأمثلة على التخفيف والتخلية ، ما صنعه أبو العباس بن الموصول . البزّاز الحلبي ، لما اعتقله الأمير سيف الدولة الحمداني ، فإنّه كتب رقعة إلى الأمير يسأله فيها أن يحضره مجلسه ، فأمر بـإحضاره ، وسـأله عن سبب طلبه

الحضور ، فقال : لعلمي أنّ الأمير سوف يطلقني من الاعتقال في هذا اليوم ، قال : ومن أين علمت ذلك ؟ فقال : رأيتُ البارحة في منامي ، آخر الليل ، رجلاً قد سلم إليّ مشطاً ، وقال لي : سرّح لحيتك ، ففعلت ذلك ، وتأوّلت التسريح ، سراحاً من شدّة واعتقال ، ولكون المنام في آخر الليل ، حكمتُ أنّ تأويله يصحّ سريعاً ، فجعلت الطريق إليه ، مسألة الحضور ، لأستعطف الأمير ، فقال له : أحسنت التأويل ، وقد أطلقتك ، وسوّغتك خراجك في هذه السنة (كتاب الفرج بعد الشدّة ، للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٢٠٢) .

وحبس الربيع بن أنس ، ثلاثين سنة ، فمات في الحبس (البصائر والذخائر ٣/١/٣٠٤) .

وحبس الحجاج إبراهيم بن الربيع التيمي ، وهو أحد الزهّاد الأخيار ، في سجن واسط ، فمات ، فرمي به في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه ، فمزّقته الكلاب (البصائر والذخائر ٣/١/٣٠٤) .

وكان الوليد بن عبد الملك ، أراد أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، ويعهد إلى ولده عبد العزيز ، فأجابه إلى ذلك الحجّاج ، وقتيبة بن مسلم ، وقال الوليد لعمر بن عبد العزيز : بايع لابن أختك عبد العزيز ، وكان عبد العزيز ابن الوليد من أمّ البنين أخت عمر ، فقال له عمر : إنّما بايعناك وسليمان في عقد واحد ، فكيف نخلعه ونتركك ؟ فأخذ الوليد منديلاً ، وجعله في عنق عمر بن عبد العزيز ، ولواه حتى كاد أن يموت ، فصاحت أخته أمّ البنين ، زوجةُ الوليد ، حتى أطلقه ، **وحبسه في بيتٍ ثلاثة أيّام (وطيّن عليه)** حتى كلّمته أمّ البنين ، فأخرجه وقد ألتوت عنقه (النجوم الزاهرة ١/٢٣٣) .

وفي السنة ١٣٢ وثب أبو مسلم الخراساني ، على علي بن جديع الكرماني ، أحد كبار القوّاد ، بنيسابور ، فقيّده ، وحبسه ، وقتله (وفيات الأعيان ٣/١٥٠) .

وغضب الرشيد على إبراهيم الموصلي ، فحبسه بالرقّة (الاغاني ٢٠٥/٦) .

ووجد الرشيد على منصور زلزل ، فحبسه عشر سنين ، أو نحوها ، ثم تذكّره ، فأحضره وقد آبيضّ شعر رأسه ولحيته . (الاغاني ٢٠١/٥) .

ومن طريف الأخبار ، أنّ محمد بن أبي المضاء حضر أمام القاضي عيسى بن المنكدر ، قاضي مصر (٢١٢ - ٢١٤) ، في خصومة ، فحكم عليه ، فتعرّض له بكلام قبيح ، فأمر به فحبس ، وكان ابن المنكدر ينفق على عيال ابن أبي المضاء طول حبسه . (القضاء للكندي ٤٣٩) .

وآمتحن المعتصم ، أبا عبد الله نعيم بن حمّاد الخزاعي ، في أمر خلق القرآن ، فأبى أن يجيب بخلقه ، فحبسه ، حتى مات في السنة ٢٢٨ (الاعلام ١٤/٩) .

وفي السنة ٢٢٥ لما تغيّر المعتصم على الافشين ، أمر عبد الله بن طاهر أن يحتال لولده الحسن بن الافشين فيعتقله ، فاعتقله ، وحمله إلى سامراء ، فحبس ، وظلّ محبوساً خمساً وعشرين سنة ، حتى أطلقه المستعين في السنة ٢٥٠ . (الطبري ٩/ ١٠٦ و١٠٧ و١١٠ و٢٧٦) .

وفي السنة ٢٣٣ أمر المتوكّل بابراهيم بن الجنيد النصراني ، فضرب بالاعمدة ، حتى أدّى سبعين ألف دينار ، ثم حبسه (الطبري ١٦٢/٩) .

وسجن المتوكل محمد بن صالح العلوي ، من أولاد الحسن ، ثم خلّى عنه ، في قصّة عاطفيّة ، من أبلغ ما سمع من القصص من هذا اللون ، فيها شهامة ، وفيها وفاء ، وفيها أريحيّة وفتوّة ، وخلاصتها : إنّ محمد بن صالح ، كان قد خرج على المتوكّل ، مع من بيّض ، وأخاف الطريق في بلده الحجاز ، وتسلّط في أحد الأيّام على قافلة ، فملكها ، وبينما كان أصحابه يحوزونها ، وينيخون الجمال ، أطلّت عليه امرأة جميلة الوجه ، حسنة المنطق ، من

العمّارية (الكجاوة) وقالت لـه : يا فتى ، إن رأيت أن تـدعو لي بـالشـريف المتـولّي أمر هـذا الجيش ، فقال لهـا : أنا هـو ، فقالت : أنـا حمـدونـة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحربي ، ولأبي سلطان ولنا نعمة ، وأنا أسألك أن تصونني وتسترني ، وهـذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخـذها حـلالاً ، وهذا حلي عليّ ، ثمنه خمسمائة دينار ، فخذه وضمّنّي ما شئت بعده ، آخذه لك من تجّار المدينة ، وأريد منك أن تدفع عنّي ، وأن تحميني من عارٍ يلحقني ، فوقع كلامها في قلبه ، وقال لها : قد وهب الله لك مالـك ، وحالـك ، وجاهـك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها ، ثم نادى أصحابه ، وقال لهم : إنّي أجرت هذه القافلة ، وخفرتها ، وحميتها ، فمن أخذ منها خيطاً أو عقالاً ، فقد آذنتـه بحرب ، وآنصرف عنها بأصحابه ، ثم انّ محمـد بن القاسم أسلمـه قومـه إلى القائد العبّاسي أبي الساج ، فآعتقل في سامراء ، ودخل عليه السجّـان يومـاً ، فقال له : إنّ بالباب آمـرأتين ، تزعمـان أنّهما من أهلك . وقـد حظر عليّ أن يـدخل عليـك أحد ، ولكنّهمـا أعطتـاني دملج ذهب على أن أوصلهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما في الدهليز .

فلما خرج إليهما : إذا بصاحبته حمدونة ، فلما رأت ثقل حديده ، وما هو عليه من الضرّ ، بكت ، وأقبلت عليه ، فقالت له : فداك أبي وأمّي ، والله ، لو آستـطعت أن أقيك بنفسي وأهلي ممـا أنت فيه ، لفعلتُ ، وكنتَ بـذلـك مني حقيقـاً ، وسوف لا أترك السعي في خلاصـك ، وهذه دنـانير وثيـاب وطيب ، فآستعن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كلّ يـوم بما يصلحـك ، حتى يفرّج الله عنك ، وما زال رسولها يأتيه في كلّ يوم ، وتواصل برّها بالسجّـان ، حتى أطلق من السجن ، فسأل صاحبه إبراهيم بن المدبّر ، وكـان إبراهيم فتى أريحيّـاً ، كريمـاً ، أديباً ، شـاعـراً ، أن يكلّم عيسى بن مـوسى في تـزويجـه بالفتاة ، فكلّمه ، فأبى ، وقال : والله ، أنا لا أعرف أشرف منه ، ولكنّي أخاف المتـوكّل ، وولـده بعده ، على نعمتي ونفسي ، فلم يـزل به ، حتى زوّجـه ،

وساق عنه الصداق ، ولكنّ محمد بن صالح ، لم يهنأ بعيشه ، إذ مات شاباً بالجدري ، وكان شاعراً عذب الشعر ، وهو الذي قال في الحبس ، هذه الأبيات الرائقة :

وبدا له من بعد ما آندمل الهوى	برقٌ تألّق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه	صعب الذرى متمنّع أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق	نظراً إليه وردّه سجّانه
فالنار ما آشتملت عليه ضلوعه	والماء ما سحّت به أجفانه

راجع أخبار محمد بن صالح العلوي ، في الأغاني ١٦/ ٣٦٠ ـ ٣٧٢ .

وذكر البحتري ، إنّه زار المعتزّ ، في حبسه ، في عهد خلافة المستعين ، وإنّه مدحه بأبيات نال جزاءه عليها لما خلع المستعين ، واستخلف المعتزّ ، راجع تفصيل ذلك في كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٥٣ .

ولما قتل المهتدي محمد بن هارون الواثق ، في السنة ٢٥٦ ، حمل إخوته من أولاد الواثق ، ومنهم صبيّ صغير اسمه محمد بن هارون ، سمّاه المعتصم جده بآسمه ، وكنّاه بكنيته ، إلى بغداد ، فحبسوا بها (الوافي بالوفيات ٥/ ١٤٧) .

وفي السنة ٣٠٢ قبض على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص ، وحبس ، وقيّد وآستصفي كلّ شيء له (الطبري ١٠/ ١٤٩) ، أقول : هذا استصفاء ثانٍ ، لأنّ استصفاءه الأوّل ، تمّ لما التجأ إليه ابن المعتز في السنة ٢٩٦ إذ إعتقل في تلك السنة ، وبلغ مقدار ما صودر عليه ستّة آلاف ألف دينار ، على قول (نشوار المحاضرة للتنوخي رقم القصة ١/ ٧) وعشرة آلاف ألف دينار على قول آخر (الوزراء ٢٤٥) .

أقول : كان ابن الجصّاص جوهريّاً بمصر ، وآتّصل بخمارويه بن

أحمد بن طولون أمير مصر ، ثم أقام ببغداد ، وتوفي بها سنة ٣١٥ ، وكان عظيم الغنى واسع الثراء ، والرجل تاجر لا دخل له في السياسة ، وكان ذنبه أنّ خصماً للخليفة التجأ إليه فآواه (تجارب الأمم ١ / ٧ والتكملة ٥) .

وكان حامد بن العباس ، من كبار العمّال في الدولة العباسية ، حبسه الوزير اسماعيل بن بلبل ، وزير المعتمد ، من أجل بقايا كانت عليه ، راجع في القصّة ١٧٢ من كتاب الفرج بعد الشدّة ، كيف تخلّص من حبسه .

ولما توفّي لؤلؤ غلام سيف الدولة ، خلفه في حكم حلب ولده منصور ، وحضر عنده سبعمائة رجل من بني كلاب ، فقبض عليهم ، وقتل بعضهم ، وحبس الباقين ، ومن جملتهم صالح بن مرداس ، وآحتال صالح حتى فرّ من السجن وهاجم منصور ومعه ألفا رجل من قومه ، فأسره وقيّده بالقيد الذي كان منصور قيّده به ، وفيه لبنة من الحديد . (خطط الشام ١ /٢٤٨) .

وكان الأحوص الغلابي ، قاضي البصرة ، حريصاً على حرمة القضاء واستقلاله ، وكان يسنده الوزير ابن الفرات ، فلما عزل ابن الفرات ، ركب عامل البصرة ، ابن كنداج ، بنفسه ، وقبض على القاضي ، ومشّاه بين يديه ، طول الطريق ، إلى داره ببني نمير ، حتى أدخله السجن من تحت الخشبة ، فأقام فيه مدّة ثم مات ، ولم يسمع بقاضٍ أدخل السجن من تحت الخشبة غيره ، ولا بقاضٍ مات في السجن سواه (نشوار المحاضرة ، رقم القصة ١ /١٢٤) .

أقول : كنت قد سجّلت في تعليقي على قوله : أدخل السجن من تحت خشبة أنّي لم أفهم معنى ذلك ، وإن كان المقتضي من العبارة ، إنّ دخول السجن من تحت الخشبة ، أشدّ وأمعن في الأذى ، راجع كتاب نشوار المحاضرة (ج ١ ص ٢٣٦ الحاشية رقم ١) .

وفي السنة **٣٦٣** اتّهم الوزير ابن بقيّة ، محمد بن أحمد الجرجرائي بأنّه يسعى في طلب الوزارة ، فصعب عليه ذلك لأنّ الجرجرائي كان قد تعاقد مع تحفة قهرمانة بختيار على أن تدفع عنه ، فآحتال بأن أرسله إلى البصرة ، وكتب إلى صاحب له بالبصرة اسمه عبد العزيز بن الكراعي فاعتقله ، وعمد ابن بقيّة إلى تحفة القهرمانة فآشترى سكوتها عن الجرجرائي بخمسين ألف درهم دفعها إليها ، وأصعده الكراعي إلى واسط ، حيث تسلّمه أبو غالب عامل واسط ، فمات في حبسه (تجارب الأمم ٢ / ٣٢١ ـ ٣٢٣) .

وفي السنة **٣٧٤** خطب أبو الحسين بن عضد الدولة ، بالأهواز ، لفخر الدولة ، ثم قصده أخوه شرف الدولة ، ففرّ إلى عمه فخر الدولة ، وأقام بأصبهان ينتظر العون من عمّه فخر الدولة في آستعادة الأهواز له ، فلما طال عليه الأمر قصد التغلّب على أصبهان ، ونادى بشعار أخيه شرف الدولة ، فاعتقله جند فخر الدولة بأصبهان ، وسيّروه إلى الريّ فحبسه عمّه ، وبقي محبوساً إلى أن مرض عمّه فخر الدولة مرض الموت ، فأرسل إليه من قتله في السجن ، وكان يقول شعراً حسناً ، منه : (ابن الأثير ٩/٤٥) .

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه وأعقب بالحسنى وفكّ من الأسر
فمن لي بأيّام الشباب التي مضت ومن لي بما قد فات في الحبس من عمري

وكان المستنصر الفاطمي قد حبس حازم وحميد ولدي جراح ، من أمراء عرب الشام ، وبقيا في حبسه نيفاً وعشرين سنة حتى أخرجهما ناصر الدولة بن حمدان (النجوم الزاهرة ٥/١٥) .

وفي السنة **٣٩٩** مات في حبس السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي ، بالهند ، خلف بن أحمد ، الذي كان صاحب سجستان ، وكان معتقلاً بالجوزجان ثم بلغه أنّه يزمع الفرار ، فضيّق عليه ، وأخذه معه في حملته على الهند ، فمات هناك في حبسه .

أقول : من النادر أن يعثر الإنسان ، في صفحات التاريخ ، على شرير مثل خلف بن أحمد هذا ، وهو يعرف بابن بانويه ، لأنّ جدّه لأمّه عمرو بن الليث الصفّار ، وكان خلف قدم بغداد في أيّام المطيع العباسي ، فخلع عليه ، وولّاه سجستان ، وكان خلف يتظاهر بالتقوى ، ويمشي إلى الجامع في كلّ جمعة بالطيلسان ، وربما خطب ، وصلّى بالناس ، وأملى الحديث ، وكان علماً مفرداً في المكر والغدر ، وبلغ من غدره وقسوته إنّه قتل ولدين من أولاده بيده ، قتل الأوّل منهما لأنّه بعث به على رأس عسكر ، فعاد مفلولاً ، أمّا الثاني فقد خدعه وآستماله وأوهمه أنّه يريد أن يسلم إليه الأمر ، فآنخدع ولده ، واجتمع به ، وقبّل يده ، فعانقه الأب ، ورفع صوته بالبكاء ، وكان رفع صوته بالبكاء علامة منه لأفراد كمين كان قد أعدّهم لأخذ ولده ، فخرج الكمين ، وأسر الولد ، وأصعده إلى القلعة ، فقتله أبوه بيده ، ثم غسله ، وصلّى عليه ، ودفنه ، راجع ترجمة أحمد بن خلف هذا في هذا الكتاب ، في الفصل الحادي عشر « القتل بآلة من آلات القتل » الفصل الأول : « القتل بالسيف » القسم الثالث « القتل غدراً » .

وفي السنة ٤٠٠ توفّي الأمير الأموي الأندلسي الشاعر مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، وكان في بني أميّة كابن المعتز في بني العباس ملاحة شعر وحسن تشبيه ، قتل هذا الأمير أباه ، لأنّه كان قد ربّى معه جارية ، فألفها وعشّقها ، ثم آستأثر بها أبوه ، فثارت غيرته ، وقتله ، فحبس في أيّام المنصور بن أبي عامر ستّ عشرة سنة ، ثم أطلق ، فعاش بعد إطلاقه ستّ عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتّفاق . (الاعلام ٨/٩٦) .

وفي السنة ٤٩٣ عزل الخليفة وزيره عميد الدولة بن جهير ، وأخذ من ماله خمسة وعشرين ألف دينار ، وقبض عليه وعلى إخوته ، ومات في حبسه بدار الخلافة ، وكان عزله بناء على طلب من مؤيّد الملك وزير السلطان محمد السلجوقي (ابن الأثير ١٠/٢٩٩) .

وفي السنة ٥١٥ حصر بلك بن بهرام ، ابن أخي ايلغازي ، مدينة الرها ، وصاحبها جوسلين الافرنجي ، فوقع جوسلين أسيراً ، وجعل في جلد جمل ، وخيط عليه ، وحبس (ابن الأثير ١٠/٥٩٣) .

وفي السنة ٥٤٦ وقعت حرب بين نور الدين محمود زنكي ، وبين جوسلين الافرنجي وكان فارس الإفرنج غير مدافع ، فانهزم المسلمون ، وأسر منهم جملة ، وكان من جملة من أسر سلاح دار نور الدين ، ومعه سلاح سيّده نور الدين ، فسيّره جوسلين مع السلاح إلى الملك مسعود بن قليج أرسلان ، صاحب قونية ، وقال له : هذا سلاح زوج إبنتك ، يعيّره بذلك ، وعلم نور الدين بالحال ، فعظم عليه ، وأعمل الحيلة على جوسلين حتى أسره ، وحبسه . (ابن الأثير ١١/١٥٤ و١٥٥) .

ولما ألّف ابو المعالي ابن حمدون (ت ٥٦٢) كتابه التذكرة ، ووقف المستنجد العباسي ، على أخبار وحكايات فيه توهم في الدولة غضاضة ، عزله عن ديوان الزمام وحبسه ، وظلّ في حبسه حتى مات . (وفيات الأعيان ٤/٣٨٠) .

واتّهم الشيخ عبد السلام بن الشيخ عبد القادر الكيلاني ، بالفلسفة ، فاعتقل وأخذت كتبه في الفلسفة وعلم الهيأة ، فأحرقت ، وظلّ عبد السلام في السجن حتى أطلق سنة ٥٨٩ (تاريخ الحكماء ٢٢٩) .

وكبس في السنة ٦١٧ على الطبيب النصراني ، أبي علي بن أبي الخير ، فوجد عنده آمرأة مسلمة من الخواطيء ، تعرف بست شرف ، وقرّر ، فأقرّ على جماعة من الخواطيء المسلمات ، كنّ يأتينه لأجل دنياه ، من جملتهنّ آمرأة تعرف ببنت الحنش الركابدار ، اسمها آشتياق ، وكانت زوجة ابن البخاري صاحب المخزن ، أم أولاده ، فقبض على النسوة ، وأودعن سجن الطرّارات ، ورسم بقتل الطبيب أبي علي ، ففدى نفسه بستّة آلاف دينار . (تاريخ الحكماء ٤١٢ و٤١٣) .

وفي السنة ٨٣٨ اعتقل الأشرف برسباي ، سلطان مصر ، جماعة من حجّاج الفرنج الذين قدموا لزيادة كنيسة قمامة في القدس ، وحبسهم بالقاهرة ، والظاهر إنّ حبسهم كانت ترافقه ألوان من العذاب ، بحيث أنّه لم يطل الا أيّاماً ، ولكنّ عدّة منهم ماتوا ، خلال تلك الأيّام القليلة ، وتفصيل ذلك : إنّ الملك الاشرف سيف الدين أبا النصر برسباي سلطان مصر والشام والحجاز ، كان قد آحتكر - فيما آحتكر - مادة الفلفل ، ففرض أن لا يتعامل به أحد إلّا السلطان ، بحيث لا يباع إلّا له ، ولا يشترى إلّا منه ، وأصبح تبعاً لذلك ، يفرض الثمن الذي يرتأيه ، ويلزم التجار بشرائه ، بأن « يلقيه » عليهم ، ويتقاضى ثمنه منهم ، وكان التجّار الفرنج ممن آبتلي بذلك ، فشكوا أمرهم إلى أولياء أمورهم في كتالونيا ، فعمد الكتالونيون ، في رمضان سنة ٨٣٨ إلى مهاجمة ساحل بيروت ، واستولوا على خمس مراكب فيها بضائع كثيرة ، ورجال عديدون ، وبعث ملكهم إلى والي دمياط كتاباً ليوصله إلى السلطان ، يتضمّن « جفاء ومخاشنة » بسبب « إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعدّ للمتجر السلطاني » فغضب السلطان لما قرىء عليه ومزّقه ، وأضمرها للكتالونيين ، حتى قدم إلى بيت المقدس في أوّل السنة ٨٣٩ جماعة من الفرنج لزيارة كنيسة قمامة ، على عادتهم ، أمر السلطان باعتقالهم ، وحملوا إلى القاهرة ، بحجة أنّ فيهم كتالونيون ، وسجنهم مهانين ، ثم أفرج عنهم بعد أيّام ، وقد مات منهم عدّة (حوليات دمشقية ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٦) .

وأورد صاحب حوليات دمشقية (ص ١٦٠ و١٦١) خبراً طريفاً عن إلغاء السجون في القاهرة في السنة ٨٣٩ في عهد سلطان مصر الملك الأشرف سيف الدين أبي النصر برسباي ، وإطلاق جميع المسجونين ، قال : في السنة ٨٣٩ اشتدّ الغلاء بالقاهرة ، فعرض أرباب السجون في ثالث جمادى الآخرة ، ورسم لأرباب الديون (الدائنين) أن يقوموا بمؤونة مسجونيهم ، حتى تنقضي أيّام الغلاء ، هذا إن كان مبلغ الدين كبيراً ، فإن كان يسيراً ألزم ربّ الدين بتقسيطه

على المدين ، أو الإفراج عنه ، وأصبح القاضي يكتب على أمر حبس المدين : يعتقل ، بشرط أن يفرض له ربّ الدين ما يكفيه من المؤونة ، وبعد عشرة أيّام من عرض المسجونين أمر السلطان في ثالث عشر جمادى الآخرة فأفرج عن جميع من في السجون حتى أرباب الجرائم وقطّاع الطريق ، ورسم السلطان بأن لا يسجن القضاة والولاة أحداً ، وإنّ من قبض عليه من السرّاق يقتل ولا تقطع يده ، فغلّقت السجون ولم يبق مسجون ، وبعد خمسة أيام ، أي في ثامن عشر جمادى الآخرة ، أعيد فتح السجون ، ووضع فيها مسجونون (حوليات دمشقية ١٦٠ ، ١٦١) .

الفصل الأول

القسم الأول

السجون الاعتيادية

١ ـ سجون الدولة التي يحبس فيها القاضي وصاحب الشرطة

٢ ـ سجون الامراء والاميرات والوزراء والقواد .

٣ ـ حبس الانسان في داره .

٤ ـ الحبس عند احد رجال الدولة .

٥ ـ سجن الامراء بالجوسق في سامراء .

٦ ـ الحبس في دار الخلافة ببغداد .

٧ ـ الحبس في القلاع والحصون .



١ ـ سجون الدولة

في معركة القادسية ، في السنة ١٤ ، كان القائد سعد بن أبي وقاص ، قد حبس أبا محجن الثقفي ، وآسمه عمرو بن حبيب ، وقيّده ، وكان حبسه في حجرة من حجر القصر ، ولما التحم المسلمون والفرس في المعركة يوم أغواث ، صعد أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص قائد جند المسلمين ، وتوسّل إليه أن يطلقه ليحارب ، فزبره سعد ، وردّه ، فنزل ، وكلّم سلمى ، زوجة سعد ، وقال لها : يا سلمى ، أريد أن تخلّي عنّي ، وتعيريني البلقاء (فرس سعد) فلله عليّ ، إن سلّمني الله ، أن أرجع إليك ، حتى أضع رجلي في قيدي ، فقالت : وما أنا وذاك ، فرجع يرسف في قيوده ، وهو يقول :

كفى حزناً أن تعثر الخيل بالقنا	وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمت عنّاني الحديد وأغلقت	مصاريع دوني قد تصمّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة	فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده	لئن فرجت ألّا أزور الحوانيا

فأطلقته سلمى ، فأخذ أبو محجن الفرس ، وخاض المعركة ، وأخذ يقصف الفُرسَ قصفاً منكراً ، وتعجّب منه الناس ، ولم يعرفه أحد منهم ، وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس ، والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن ، وهذه البلقاء ، ولما انتصف الليل ، تحاجز الناس ، فأعاد أبو محجن الفرس إلى مكانها ، ووضع رجله في القيد من جديد ، فذهبت سلمىٰ إلى زوجها سعد ، وأخبرته بخبر أبي محجن ، فدعا به سعد ، وأطلقه (الطبري ٣/٥٤٨ ـ ٥٥٠) .

وقال بعض جلساء يزيد بن المهلّب له : لم لا تتخذ لك داراً ؟ فقال : وما أصنع بها ؟ ولي دار حاصلة مجهّزة على الدوام ، فقال له : وأين هي ؟ قال : إن كنت متولّياً فدار الإمارة ، وإن كنت معزولاً فالسجن (وفيات الأعيان ٦/٢٩٤) .

أقول : حبس يزيد بن المهلّب مرّتين ، حبسه الحجّاج في الأولى ، وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب ، وحبسه عمر بن عبد العزيز في الثانية ، وذلك إنّ سليمان بن عبد الملك كان قد ولّى يزيد بن المهلّب على العراق وخراسان ، فأعدّ يزيد حملة فتح بها جرجان وطبرستان فأصاب غنائم كثيرة ، فكتب إلى سليمان بن عبد الملك : إنّي قد فتحت طبرستان وجرجان ، وإنّي باعث إليك بقطران عليها الأموال ، يكون أوّلها عندك وآخرها عندي ، فلما مات سليمان وخلفه عمر بن عبد العزيز ، أخذه بهذا الكتاب وطالبه بالأموال ، فقال يزيد : إنّي كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنّما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أنّ سليمان لم يكن ليأخذني بشيء مما سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال عمر : ما أجد في أمرك إلّا حبسك . فاتّق الله وأدّ ما قبلك ، فإنّها حقوق المسلمين ، ولا يسعني تركها ، وحبسه ، وظلّ في محبسه حتى بلغه مرض عمر ، وخشي أن يموت عمر ، ويخلفه يزيد بن عبد الملك ، وكان عدوّاً له ، ففرّ من السجن ، وكتب إلى عمر : إنّي ـ والله ـ لو علمتُ أنّك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكنّي لا آمن يزيد بن عبد الملك ، وكان سبب عداوة يزيد بن عبد الملك له ، إنّ يزيد بن المهلّب لما ولي العراق ، اعتقل بأمر من سليمان ، جميع آل أبي عقيل رهط الحجّاج ، وعذّبهم ، وكانت أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ، وهي ابنة أخي الحجّاج ، تحت يزيد بن عبد الملك ، وهي أم ولده الوليد ، فكتب يزيد بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلّب في التخفيف عن آل أبي عقيل ، فردّ عليه يزيد ردّاً عنيفاً ، فحلف يزيد بأنّه إذا تمكّن من يزيد بن

المهلّب أن يقطع منه طابقاً ، فكان يزيد بن المهلّب يخشى ذلك . راجع التفصيل في ترجمة يزيد بن المهلّب في وفيات الاعيان (٦/٢٧٨ ـ ٣٠٩)

وحبس عمر بن عبد العزيز ، مخنّثاً مدنيّاً ، ووكّل به معلّماً يعلّمه القرآن ، وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة .

أقول : قيل لعمر بن عبد العزيز إنّ بالمدينة مخنّثاً قد أفسد نساءها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله ، فأدخل عليه ، فإذا شيخ خضيب اللحية والأطراف ، معتجر بسبنيّة ، قد حمل دفّاً في خريطته ، فلما وقف بين يدي عمر ، صعّد بصره فيه وصوّبه وقال : سوءة لهذه الشيبة ، وهذه القامة ، أتحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ، قال : قبّحك الله ، وأشار إليه من حضره ، فقالوا : أسكت ، فسكت ، فقال له عمر : أتقرأ من المفصّل شيئاً ؟ قال : وما المفصّل ؟ قال : ويلك ، أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، اقرأ « الحمد لله » وأخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ « قل أعوذ برب الناس » وأخطىء فيها ، واقرأ « قل هو الله أحد » مثل الماء الجاري ، قال : ضعوه في الحبس ، ووكّلوا به معلّماً يعلّمه القرآن ، وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة ، وأجروا عليه في كلّ يوم ثلاثة دراهم ، وعلى معلّمه ثلاثة دراهم أخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع ، فكان كلّما علّم سورة نسي التي قبلها ، فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين وجّه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً ، فإنّي لا أقدر على حمله جملة واحدة ، فيئس عمر من فلاحه ، وقال : ما أرى هذه الدراهم إلّا ضائعة ، ولو أطعمناها جائعاً ، أو أعطيناها محتاجاً ، أو كسوناها عرياناً ، لكان أصلح ، ثم نفاه ، راجع القصّة بتفاصيلها في الأغاني ٦/٣٣٧ و٣٣٨ .

وكان بلال بن أبي بردة ، قد اتّخذ داراً بالكوفة ، فما نزلها في السنة ١٢٠ إلّا مقيّداً ، ثم اتّخذت من بعد ذلك سجناً (الطبري ٧/١٥٣) .

وفي السنة ١٢٥ أراد الوليد بن يزيد أن يبايع بولاية العهد لولديه الحكم وعثمان ، فشاور سعيد بن بيهس ، فنهاه ، وقال : لا تفعل فإنّهما غلامان لم يحتلما ، فغضب ، وحبسه ، حتى مات في الحبس (الطبري ٢٣٢/٧) .

وفي السنة ١٢٥ أمر الوليد بن يزيد بابن عمّه سليمان بن هشام ، فضربه مائة سوط ، وحلق راسه ولحيته ، ونفاه إلى معان من أرض الشام ، فلم يزل محبوساً هناك ، الى أن قتل الوليد (الطبري ٢٣١/٧) .

ولما قدم يوسف بن عمر الثقفي العراق ، عاملًا لهشام ، اعتقل سلفه في الإمارة ، خالد بن عبد الله القسري ، وأخذ يزيد بن خالد ، فضربه ثلاثين سوطاً (وفيات الأعيان ١٠٥/٧) .

وغضب المهدي العباسي ، على أبي العتاهية ، لأنّه ترك قول الشعر ، فأمر بأن يحبس في حبس الجرائم ، فلما وضع في الحبس دهش ، وذهل عقله ، ورأى منظراً هاله ، ثم أبصر كهلا حسن المنظر ، تبين عليه سيماء الخير ، فقصده ، وجلس إليه ، فأنشد الرجل :

تعوّدت مسّ الضر حتى أِلفْتُهُ ... وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وصيّرني يأسي من الناس واثقاً ... بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

وتبيّن أنّ الرجل اسمه حاضر ، صاحب عيسى بن زيد العلوي ، وقد حبسه المهدي ، لأنّه أبى أن يرشده إلى موضع عيسى .

راجع القصّة بتفصيلها في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، رقم القصة ١٧٣ ج ٢ ص ١١٦ - ١١٩ .

ولما قتل مروان الجعدي بمصر ، كان معه ولداه عبد الله وعبيد الله ، ففرّا عنه ، إلى أسوان من صعيد مصر ، ثم صارا إلى بلاد النوبة ، ونالهما وأصحابهما جهد شديد ، وضرّ عظيم ، فهلك عبيد الله بن مروان في جماعة ممن كان معه ، قتلاً ، وعطشاً ، وضرّاً ، وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد

وضروب المكاره ، ووقـع عبد الله في عـدّة ممن نجا معـه في أرض البجة ثم عبروا إلى ساحل الحجاز ، وتنقّـل هو ومن معـه من أهله ومواليـه ، في البلاد متخفّين ، ثم ظفـر به السفّـاح ؛ فحبسه ، وظـلّ محبوسـاً بقيّة أيّـام السفّاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، وبعض أيّام الرشيد ، وأخرجه الرشيد وهـو شيـخ ضريـر ، فسألـه ، فقال : يـا أمير المؤمنين ، حبست غـلامـاً بصيـراً ، وأخرجت شيخاً ضريراً (شرح نهج البلاغة ٧/ ١٢١ و١٢٢) .

وذكر السنديّ بن شاهك ، وكانت إليه الشرطة في مدينة السلام ، قال : كنت نائماً ذات ليلة في غرفة الشرطة ، بـالجانب الغـربي من مدينـة السلام ، كمـا جـرى بـه رسم ولاة الشـرطـة من المبيت في أعمـالهم ، إلاّ في ليـال معلومة ، فسمعت قعقعة لجم البـريد ، ودقّ بـاب الغرفـة ، فأمـرت بفتحها ، فدخل عليّ سلام الأبرش الخادم ، وكان الرشيد يوجّهه في مهمّاتـه ، وأعطاني كتاباً ، ففتحتـه واذابه من الـرشيد ، وفيـه : يا سنـديّ ، هذا كتـابنا بخـطّنا ، مختوم بالخاتم الذي في يدنا ، ومـوصله سلام الأبـرش ، فإذا قـرأته فقبـل أن تضعـه من يدك ، إمض إلى دار يحيى بن خـالد ، لـلإحـاطـة عليـه ، وسـلام معك ، حتى تقبض عليه وتوقره حـديداً ، وتحمله إلى الحبس في مـدينة أميـر المؤمنين المنصور ، المعروف بحبس الزنادقة ، وتتقدّم إلى بـاذام بن عبد الله خليفتك، بالمصير إلى الفضل ابنه ، عند ركوبك إلى دار يحيى ، وقبل انتشار الخبر ، وتقدّم إليه بأن يفعل بالفضـل ، ما تقـدّمت به إليـك في يحيى ، وأن يحمله إلى حبس الزنادقة ، فإذا فـرغت منهما ، فمـر أصحابـك بالقبض على أولاد يحيى ، وأولاد إخوته ، وقراباته (الهفوات النادرة ١٩٢ و١٩٣) .

وفـي السنـة ١٧٥ حبس هشام بن عبـد الرحمـان الـداخـل ، صـاحب الانـدلس ، ابنه عبـد الملك ، لشيء بلغه عنـه ، فبقي مسجونـاً حيـاة أبيـه ، وبعض ولاية أخيه ، وتوفّي محبوساً في السنة ١٩٨ (ابن الأثير ٦/ ١٢٤) .

وفي السنة ١٩٨ ثار أهل الربض بقرطبة على أميرهم الحكم المرواني ، وهاجموه وحصروه في قصره ، وكان بزيع مولى أميّة بن عبد الرحمن الداخل ، محبوساً في حبس الدم بقرطبة ، وفي رجليه قيد ثقيل ، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند ، سأل الحرس أن يفرجوا له ، فأخذوا عليه العهود إن سلم ، أن يعود إليهم ، وأطلقوه فخرج ، فقاتل قتالاً شديداً ، فلما انهزم أهل الربض ، عاد إلى السجن ، فانتهى خبره إلى الحكم ، فأطلقه ، وأحسن إليه (ابن الأثير ٦/ ٣٠٠) .

وفي السنة ٢٠٢ قبض ابراهيم بن المهدي ، إبّان حكمه القصير الأمد ، على رجل من أصحاب سهل بن سلامة الأنصاري ، من دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يدعى محمد الرواعي ، فضربه ابراهيم ، ونتف لحيته ، وقيّده ، وحبسه (الطبري ٨/ ٥٦٣) .

وفي السنة ٢٣٠ زاد شرّ بنو سليم حول المدينة بالحجاز ، وحاربهم أمير المدينة ، فكسروه ، وقتلوا جماعة من قريش والأنصار ، فوجّه إليهم الواثق بغا الكبير ، فحاربهم ، وكسرهم ، ونزلوا على حكم الواثق ، فحبس بغا منهم من عرف بالشرّ والفساد ، مقدارهم ألف رجل ، في دار يزيد بن معاوية بالمدينة ، وبعد انقضاء موسم الحجّ ، توجّه إلى بني هلال ، وأخذ من مردتهم وعتائهم نحواً من ثلثمائة ، حبسهم مع من حبس من بني سليم ، فأصبح مجموعهم ألفاً وثلثمائة فنقبوا الدار ليخرجوا ، ورأى أهل المدينة النقب ، فجاءوا ، فوجدوهم قد وثبوا على الموكّلين بهم ، وقتلوا بعضهم ، وأخذوا سلاحهم ، فاجتمع عليهم أهل المدينة ، أحرارهم وعبيدهم ، وحاربوهم ، فقتلوهم أجمعين ، وكان رئيسهم يرتجز : (الطبري ٩/ ١٢٩ ـ ١٣٣) .

لا بدّ من زحم وان ضاق الباب   الموت خيرٌ للفتى من العاب

وفي السنة ٢٥٤ قتل القائد التركي بغا الشرابي ، فأمر المعتزّ باعتقال أولاده ، وكانوا قد فرّوا إلى بغداد ، فاعتقل منهم بقصر الذهب خمسة عشر ، وأودع عشرة منهم في المطبق (الطبري ٩/ ٣٨١) .

ولما قَتَلَ الواثق ، في السنة ٢٣١ أحمد بن نصر الخزاعي ، تتبّع مشايعيه فوضعوا في الحبوس ، وأخذ منهم اثنان وعشرون ، حبسوا في حبس الظلمة ، ومنع عنهم الزوّار ، ومنع عنهم الصدقة التي يعطاها أهل السجون ، وثقّلوا بالحديد (الطبري ٩/ ١٣٩) .

وفي السنة ٢٧٢ كانت للزنج حركة بواسط ، وصاحوا : أنكلاي يا منصور ، وكان أنكلاي (ابن صاحب الزنج) والمهلّبي وسليمان بن جامع ، والشعراني والهمداني ، وآخر معهم من قوّاد الزنج ، محبّسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، بمدينة السلام وفي دار البطّيخ في يد غلام من غلمان الموفّق ، يقال له فتح السعدي فكتب الموفّق الى فتح يأمره بأن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستّة ، فضرب أعناقهم ، ووجّه برؤوسهم إلى الموفّق (الطبري ١٠/ ١١) .

وفي السنة ٢٧٥ أمر أبو أحمد (الأمير الموفّق) بتقييد الطائي (أحد كبار العمّال) وحبسه ، وكان يلي الكوفة وسوادها ، وطريق خراسان ، وسامراء والشرطة ببغداد ، وخراج بادوريا ، وقطربّل ، ومسكن ، وشيئاً من ضياع الخاصّة ، كما أمر بحبس ولده أبي العباس أحمد (المعتضد فيما بعد) فشغب أصحابه ، وحملوا السلاح ، وركب غلمانه ، وآضطربت بغداد لذلك ، فركب أبو أحمد الموفّق ، حتى بلغ باب الرصافة ، وقال لأصحاب أبي العباس : ما شأنكم ؟ أترونكم أشفق على إبني منّي ؟ هو ولدي ، وآحتجت إلى تقويمه ، فآنصرف الناس (الطبري ١٠/ ١٥) .

وحبس أحمد بن طولون ، كاتبه أحمد بن أيمن ، وصادر أمواله ، فلم

يخرج من الحبس إلا بعد وفاة أحمد ، وسبب ذلك إنّ أحمد رقص في مجلس خاص حضره أحمد بن طولون وحاشيته ، فغمزه ابن طولون أن يسقط على أبي ذؤيب ، وكان أبو ذؤيب يعمل غمّازاً لأحمد ، يسعى إليه بالكتّاب والمعاملين ، فتزالق أحمد بن أيمن ، وسقط على أبي ذؤيب ، فأخذ أبو ذؤيب يبكي ، فصاح عليه ابن طولون ، فقال له : لم يوجعني ما سقط عليّ من بدنه ، إنّما آلمني ثقله لما على ظهره من بدر الأموال التي اختانها وحازها من أموال الأمير ، فاضطغنها ابن طولون ، واعتقل ابن أيمن بعد مديدة ، وصادر أمواله ، وأودعه السجن (المكافأة ٩١) .

وفي السنة ٢٨٠ وجّه يوسف بن أبي الساج ٣٢ نفساً من الخوارج ، من طريق الموصل ، فضربت أعناق ٢٥ منهم ، وصلبوا ، وحبس سبعة منهم في **الحبس الجديد** . (الطبري ١٠/٣٤) .

وفي السنة ٢٨١ بعث عامل ديار مضر ، إلى بغداد ، نيفاً وأربعين نفساً من أصحاب أبي الأغرّ ، على جمال ، عليهم برانس ، ودراريع حرير ، فحبسوا في **الحبس الجديد** . (الطبري ١٠/ ٣٦) .

وفي السنة ٢٨٢ قبض على بكتمر بن طاشتمر ، وقيّد ، وحبس ، وصودرت أمواله وضياعه ودوره ، وكان من كبار القوّاد في الدولة ، وكان في السنة ٢٦٠ والياً على حمص ، وقاد في السنة ٢٦٦ حملة لقتال أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فظفر به وعاد إلى بغداد ، فولي الدينور ، وشارك في محاربة صاحب الزنج (الطبري ٩/٥١٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٨٤ و١٠/٢١ و٤٠) .

وفي السنة ٢٨٩ بعد قتل بدر المعتضدي ، قبض على ستّة عشر قائداً من أصحاب بدر ، وحدروا في سفينة مطبقة عليهم مقيّدين ، إلى البصرة ، فحبسوا في سجنها (الطبري ١٠/ ٩٣) .

وفي السنة **٢٩٠** خرج إبراهيم الخليجي بمصر ، فحاربه الجيش العباسي ، وأسره وآخرين من أتباعه ، وأدخل إلى دار السلام ، ومعه **٢١** من أتباعه ، مشهرين على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، فأمر المكتفي بحبس ابن الخليجي في الدار (دار الخلافة) وبحبس الباقين **في الحبس الجديد** . (الطبري ١٠/١٢٩) .

وفي السنة **٢٩٢** وجّه عامل البصرة ، إلى السلطان ببغداد ، رجلاً ذكر إنّه أراد الخروج على السلطان ، وصار إلى واسط ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أصحابه ، فحمل على الفالج وبين يديه ابن له صبيّ على جمل ، ومعه تسعة وثلاثون إنساناً على جمال ، وعلى جماعتهم برانس الحرير ودراريع الحرير ، وأكثرهم يستغيث ويبكي ، ويحلف إنّه بريء ، وجازوا بهم في التمّارين وباب الكرخ والخلد ، حتى وصلوا إلى دار المكتفي ، فأمر بردّهم ، وحبسهم في الحبس الجديد (الطبري ١٠/١١٨) .

وفي السنة **٢٩٦** صادر الوزير ابن الفرات ، أبا عمر القاضي على مائة ألف دينار ، واعتقله **في ديوان بيت المال** ، فأدّى أكثر المال ، فأطلقه ابن الفرات إلى منزله (تجارب الأمم ١/١٤) .

وفي السنة **٣٠٦** وقعت فتنة ببغداد ، بين العامّة والحنابلة ، فأخذ الخليفة جماعة منهم ، وسيّرهم إلى البصرة ، فحبسوا بها (ابن الأثير ٨/١١٥) .

وفي السنة **٣١٦** وقع شرّ بين سوّاس هارون بن غريب الخال ، وسوّاس نازوك ،فأخذ نازوك (وكان صاحب الشرطة) ، سوّاس هارون ، وضربهم ، **وأودعهم سجن الجرائم** . (تجارب الأمم ١/١٨٧) .

وفي السنة **٣١٨** عظم الأمر في تسحّب الرجّالة المصافيّة ، وكثرت مطالباتهم ، فركب محمد بن ياقوت ، صاحب الشرطة ، في الفرسان ، وطرد

المصافيّة من دار السلطان ، ونادى أن لا يقيم أحد منهم ببغداد ، وأخذ من بقي منهم بعد النداء ، **فأودعهم سجن الجرائم (تجارب الأمم ١/ ٢٠٣)** .

وفي السنة **٣٢١** وجّه القاهر إلى إسحق بن علي القنائي ، وعبد الوهاب بن عبد الله الخاقاني ، على أن يقلّد أحدهما الوزارة ، والآخر الدواوين ، فلما حضرا ، قبّل القوّاد أيديهما ، وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب ، فلم يلبث أن خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما ، وإدخالهما **الحبوس الغامضة** ، ثم وجّه القاهر إلى سليمان بن الحسن ، وآستحضره للوزارة ، وحضر في طيّاره ، وتلقّاه الناس والقوّاد ، وقبّلوا يده ، وجلس الاستاذون بين يديه في دار السلطان ، ووجّه القاهر من قبض عليه وأدخله **الحبوس الغامضة** ، ووجّه إلى الفضل بن جعفر للوزارة ، فآستتر الفضل . (تجارب الأمم ١/ ٢٧٢) .

وفي السنة **٣٢٧** خالف القائد التركي بالبا ، على الراضي ، وكان بالبا من قوّاد بجكم ، فقلّده أعمال طريق الفرات بأسرها ، ليكون في وجه ابن رائق ، وكان ابن رائق بالشام ، فاتّفق بالبا مع ابن رائق ، وخلع الراضي ، فسيّر إليه بجكم طائفة من عسكره ، فكبسوه بالرحبة ، فاستتر منهم ، فظفروا به ، وأخذوه ، وأدخلوه إلى بغداد على جمل ، ثم حبس ، فكان آخر العهد به (ابن الأثير ٨/ ٣٥٥) .

وروى لنا القاضي التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٠٨ رقم القصّة ١٠٨ إنّ أمير البصرة ، حبس معتزليّاً ، لأنّه قال : إنّ القرآن مخلوق ، فطاف إسماعيل الصفّار ، شيخ المعتزلة بالبصرة ، على أصحابه ، وحضر مع ألف منهم ، ودخل إلى الأمير ، وقال له : أعزّ الله الأمير ، بلغنا أنّك حبست رجلاً منّا لأنّه قال إنّ القرآن مخلوق ، وها هنا ألف ، كلّ واحد منهم يقول إنّ القرآن مخلوق ، فإمّا حبستنا جميعاً ، أو أطلقته لنا ، فاضطرّ الأمير إلى إطلاقه .

وفي السنة ٣٣٤ كان الخليفة المستكفي جالساً على سريره ، ومجلسه غاصّ بالناس ، وحضر معزّ الدولة البويهي ، ورسول صاحب خراسان ، فحضر رجلان من نقباء الديلم ، يصيحان ، وتناولا يد المستكفي ، فظن أنّهما يريدان تقبيل يده ، فمدّها إليهما ، فجذباه عن سريره ، وجعلا عمامته في حلقه ، وساق الديلميّان الخليفة ماشياً إلى دار معزّ الدولة (هي دار مؤنس المجاورة لدار الخلافة) فاعتقل بها ، ثم سمل ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء ، وقبض على كاتب الخليفة ، وأخذت علم ، قهرمانة الخليفة ، فقطع لسانها (ابن الأثير ٨/ ٤٥٠ و٤٥١) .

أقول : دار مؤنس ، كانت على شاطىء دجلة ، مجاورة لدار الخلافة (رسوم دار الخلافة ١٣٦) وكان الجسر بحضرتها (المنتظم ٧/ ١٧١) وكانت بسوق الثلاثاء (المنتظم ٦/ ٢٠٦ والتكملة ١١٠) وهو سوق البزازين (معجم البلدان ٣/ ١٩٣) ومن دار مؤنس اقتطعت المدرسة النظامية (التكملة ١٤٨) وكانت في وسط سوق الثلاثاء (ابن بطوطة ١/ ١٧٥) واقتطعت منها كذلك المدرسة المستنصرية وكانت في آخر سوق الثلاثاء (ابن بطوطة ١/ ١٧٥) ، ويبدو من هذه الدلالات إنّ دار مؤنس كانت واقعة على دجلة شمالي دار الخلافة ، يفصلها عنها السوق الذي ينزل من دجلة من قهوة الشطّ ، ماراً بخان دلّة ، والممتد إلى الشورجه ، أما طرفها الثاني فقد كان مطلاً على الجسر ، وقد كان في موضعه الذي هو فيه الآن ، ولا يستغرب أن تكون دار مؤنس بهذه السعة ، فقد كان القائد العام للجيش ، وكانت سلطته تزيد على سلطة الخليفة ، وكانت داره تشتمل على مواضع لكتّابه ، وعمّاله ، وحرسه ، وغلمانه ، مع دوابهّم وأتباعهم ، وما يقتضي إعداده لإيوائهم وإطعامهم ، وأصبحت هذه الدار بعد مقتل مؤنس ، مقرّاً للحكّام الذين تسلّطوا على بغداد ، فنزلها ابن رائق لما أصبح أميراً للأمراء في السنة ٣٢٤ ، ونزلها من بعده بجكم في السنة ٣٢٦ (التكملة ١١٠) ونزلها من بعدهما أبو الحسين

البريدي لما استولى على بغداد في السنة ٣٣٠ في عهد المتّقي (التكملة ١٢٧) كما نزلها توزون لما نصب أميراً للأمراء في السنة ٣٣١ (التكملة ١٣٤) وأقام فيها من بعده سيف الدولة الحمداني في السنة ٣٣١ (التكملة ١٣٤) وأقام بها كذلك معزّ الدولة البويهي ، لما استولى على بغداد في السنة ٣٣٤ (التكملة ١٤٨) إلى أن بنى داره بالشماسية (الصليخ) فانتقل إليها في السنة ٣٥٠ قبل أن يتمّ بناؤها (تجارب الأمم ١٨٣/٢ والتكملة ١٧٩) ، وبعد أن تركها معزّ الدولة أصبحت مقرّاً للأمراء من أولاده (التكملة ٢١٤) ، إنّ المدرسة المستنصرية ما تزال ماثلة تحدّد لنا الجانب الشمالي من دار مؤنس ، أمّا المدرسة النظامية ، وسوقها الملاصق لها ، فيبدو أنّها كانت على قطعة الأرض المستطيلة التي يحدّها من الشرق سوق الجوخجية (باعة الجوخ) ومن الغرب سوق المصبغة ، ومن الشمال سوق اليمنجيّة ، وهم صنّاع الأحذية الحمراء الصرّارة المسمّاة باليمنيّات ، مفردها اليمني ، ومن الجنوب السوق النازل من دجلة ، من قهوة الشطّ ، ماراً بخان دلّة ، والممتد إلى سوق العطّارين ، وعلى هذا فإن المدرسة النظامية ، التي كانت الامثال تضرب بحسنها (ابن بطوطة ١٧٥/١) لم يبق منها الآن إلّا قطعة صغيرة من الأرض ، بين الدكاكين ، لعلّها لا تزيد في المساحة على حجرة واحدة من حجراتها الماضية ، اتّخذت كتّاباً للصبيان ، كان فيه مؤدّب يعلّمهم الكتابة وقراءة القرآن ، اسمه الملا أحمد ، لم أدركه ، وأدركت ولده الملا إبراهيم ، توفّي ، وخلفه أخوه الملا مسلم ، ولما مات أغلق بابها ، وظلّت سنين مهجورة ، ثم أقدم بعض البزّازين من أصحاب الدكاكين المحيطة بهذه القطعة ، ففتحوا بابها ، ورمّو شعتها ، وفرشوها بالحصر والبواري ، وجهّزوها بالماء والنور ، وآتّخذوها مصلّى لأهل سوقهم .

وفي السنة ٣٣٦ كان محمد بن عبد الرزاق بطوس وأعمالها ، فخالف على الأمير نوح الساماني ، صاحب خراسان وما وراء النهر ، فأمر نوح قائده

منصور بن قراتكين بأن يسير إلى محمد وأن يطرده عما في يده من الأعمال ، فسار إلى نيسابور ، ثم اسقوا ، وطرد محمداً منها ، ثم قصد طوس ، وكان بها رافع بن عبد الرزاق ، ففرّ رافع منها ، واحتمى بقلعة درك ، فحصره منصور ، فهرب منها ، ولما احتلّ منصور قلعة درك ، وجد بها عيال محمد بن عبد الرزاق ووالدته ، فأنفذهم إلى بخارى فآعتقلهم بها (ابن الأثير ٨ / ٤٧٠ و٤٧١) .

وفي السنة ٣٥٣ قبض بمصر على رجل يعرف بابن أبي الليث الواسطي ، ينسب إلى التشيّع ، فضرب مائتي سوط ، ثم ضرب خمسمائة سوط ، وجعل في عنقه غلّ ، وحبس ، وكان يتفقّد في كلّ يوم لئلاّ يخفّف عنه ، ويبصق في وجهه ، فمات في محبسه ، وحمل ليلاً ، ودفن (خطط المقريزي ٢ / ٣٤٠) .

وفي السنة ٣٧٩ قبض بهاء الدولة البويهي ، على نحرير الخادم ، واعتقله في الخزانة (أي في دار الإمارة) ، ثم خيّر فاختار أن يعتقل في دار أبي جعفر الحجّاج ، ثم ألحّ الحسين الفراش ، فأذن له بهاء الدولة أن ينقله إلى داره (دار الحسين) ، ويعتقله فيها . (ذيل تجارب الأمم ١٥٤ - ١٥٧) .

وفي السنة ٣٨٠ قبض على أبي الفرج محمد بن أحمد ، المعروف بابن الزطّي ، صاحب المعونة ببغداد ، واعتقل بالخزانة (ذيل تجارب الأمم ١٧٩ - ١٨١) .

وأمر الصاحب بن عبّاد ، بحبس مكّي المنشد ، فحبس في دار الضرب ، فآتّفق أنّ الصاحب صعد إلى سطح داره ، وأشرف على دار الضرب ، فناداه مكّي : فآطّلع فرآه في سواء الجحيم ، فضحك الصاحب ، وقال : اخسئوا فيها ولا تكلّمون ، وأمر بإطلاقه (معجم الأدباء ٢ / ٢٨١) .

وفي السنة ٣٨١ أرسل بهاء الدولة البويهي بن عضد الدولة ، إلى الخليفة الطائع ، يسأله أن يأذن له بالحضور لخدمته ، ليجدّد العهد به ، فأذن له في ذلك ، وجلس له كما جرت العادة ، فدخل بهاء الدولة ، وقبّل الأرض ، وأجلس على كرسي ، فدخل بعض الديلم ، ومدّ يده كأنّه يريد أن يقبّل يد الخليفة ، ثم جذب يد الخليفة ، فأنزله عن سريره ، والخليفة يقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وهو يستغيث ولا يلتفت إليه ، وحمل في الحال إلى دار بهاء الدولة (دار مؤنس) حيث حبس هناك ، وأشهد عليه بالخلع ، وكان من جملة الحاضرين في المجلس الشريف الرضي ، فقال في ذلك أبياتاً منها : (شرح نهج البلاغة ٧٩/٩ و٨٠) .

من بعد ما كان ربّ الملك مبتسماً	إليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه	لقد تقارب بين العزّ والهون
ومنظر كان بالسرّاء يضحكني	يا قرب ما عاد بالضرّاء يبكيني
هيهات أغترّ بالسلطان ثانية	قد ضلّ ولّاج أبواب السلاطين

وفي السنة ٣٨٣ كان أبو القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي ، أحد الوزراء السابقين ، معتقلاً عند الوزير أبي نصر سابور ، فاختفى أبو نصر ، واستتر ، وطولب بأن يسلم أبا القاسم ، فأسلمه ، وحمل إلى الخزانة في دار المملكة ، وعاد إلى الوزارة ، ثم خاف فاستتر . (ذيل تجارب الأمم ٢٥١ و٢٥٢) .

وفي السنة ٤١٤ كان القاسم بن حمّود على قرطبة يسنده البربر ، فحاربه أهل قرطبة ، وهزموا البربر هزيمة منكرة ، فسار القاسم عنها إلى إشبيلية ، فمنعه أهل إشبيلية من دخولها ، فنزل بشريش ، فزحف إليه يحيى ابن أخيه علي بن حمّود ، فأخذه أسيراً وحبسه يحيى ، فبقي في حبسه إلى أن توفّي يحيى ، وملك أخوه إدريس ، فقتله في الحبس في السنة ٤٣١ بعد أن ظلّ محبوساً ستّ عشرة سنة (ابن الأثير ٢٧٣/٩ ـ ٢٧٦) .

وفي السنة ٤١٥ قبض بالقاهرة على رجل تاجر ، كان جالساً في قيسارية البرّ بمصر ، وهو سكران ، في هذا الشهر العظيم (رمضان) فاعتقل في حبس الشرطة السفلى (أخبار مصر للمسبحي ٦٣) .

وفي السنة ٤٢٠ احتلّ يمين الدولة محمود بن سبكتكين الريّ ، واعتقل صاحبها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه ، وكانت أمّ مجد الدولة تدبّر أمره ، فلما ماتت في السنة ٤١٩ اختلّت أحواله ، فكاتب محمود بن سبكتكين ، فبعث إليه قائداً أمره أن يقبض على مجد الدولة ، فاحتلّ القائد الريّ ، وقبض على مجد الدولة ، وعلى ولده أبي دلف ، ولما علم يمين الدولة ، باعتقال مجد الدولة ، سار إلى الريّ ، وأحضر مجد الدولة ، وقال له : أما قرأت الشاهنامه تاريخ الفرس ، وتاريخ الطبري تاريخ المسلمين ؟ قال : بلى ، قال : ما حالك حال من قرأها ، أما لعبت الشطرنج ؟ قال : بلى ، قال : فهل رأيت شاهاً يدخل على شاه ؟ قال : لا ، قال : فما حملك على أن أسلمت نفسك إلى من هو أقوى منك ؟ ثم سيّره إلى خرسان مقبوضاً ، ثم ملك قزوين وقلاعها ، وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين ، وسيّره إلى خراسان (ابن الأثير ٩/ ٣٧١ و٣٧٢) .

وفي السنة ٤٢١ توفّي يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، وأوصى بأن يخلفه ولده محمد ، فعارضه أخوه مسعود ، وأغرى الحاجب على خويشاوند ، وعمّه يوسف بن سبكتكين ، فقبضا على محمد ، وحبساه في قلعة تكناباد ، ونادياً بشعار مسعود ، فلما تسلطن مسعود ، كان أول ما صنعه أن قتل الحاجب علياً ، وحبس عمّه يوسف (ابن الأثير ٩/ ٣٨٩ - ٤٠٠) .

وفي السنة ٤٣٠ توفّي الوزير أبو القاسم بن ماكولا ، محبوساً بهيت ، وكان مقامه في الحبس سنتين وخمسة أشهر ، وكان جلال الدولة أسلمه إلى قرواش ، فحبسه بهيت حتى مات (ابن الأثير ٩/ ٤٦٦) .

وفي السنة ٤٣٩ قبض الملك أبو كاليجار فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه ، على وزيره محمد بن جعفر بن أبي الفرج ، الملقّب بذي السعادات بن فسانجس ، وسجنه ، وهرب ولده أبو الغنائم ، وبقي الوزير مسجوناً حتى مات في رمضان من السنة ٤٤٠ ، وقيل أرسل إليه أبو كاليجار من قتله في السجن (ابن الأثير ٥٤٢/٩) .

وكان شرف الدولة مسلم بن قريش ، قد ملك من السندية على نهر عيسى ببغداد ، إلى منبج بالشام ، وما والاها من البلاد ، وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة ، والموصل ، وحلب ، وما كان لأبيه وعمّه قرواش ، ولما قتل في السنة ٤٧٧ قصد بنو عقيل أخاه إبراهيم بن قريش ، وكان أخوه قد حبسه ، فأخرجوه من الحبس ، وملّكوه أمرهم ، وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة ، بحيث انّه لم يمكنه المشي والحركة لما أخرج (ابن الأثير ١٤١/١٠) .

وفي السنة ٤٨٣ غضب الأمير عبد الله بن بلكين ، على وزيره أبي جعفر أحمد بن خلف القليعي ، وحبسه في قصره ، ثم أطلقه ، ففرّ إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأغراه بفتح غرناطة ، فقصدها ، وفتحها (الاحاطة ١٥٤ ـ ١٥٦) .

وفي السنة ٤٨٤ هاجم جيش أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، صاحب بلاد المغرب ، إشبيلية ، وفيها المعتمد بن عبّاد اللخمي ، الأمير ، الأديب ، الشاعر ، الكثير المحاسن ، فآشتبك الجيشان في معركة ضارية ، وكان الظفر فيها لجيش أمير المسلمين ، فأسر المعتمد ، وأسرت معه زوجته وأولاده الذكور والإناث ، وحملوا إلى مدينة أغمات ، فحبسوا فيها ، « وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممن قبله ، ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده ، إلاّ من رضي بهذه الرذيلة ، وذلك إنّه سجنهم ، ولم يجر عليهم ما يقوم بهم ، حتى كانت بنات المعتمد يغزلن

للناس بأجرة ، ينفقونها على أنفسهم » ، فأبان أمير المسلمين بذلك الفعل ، عن صغر نفس ولؤم قدرة (ابن الأثير ١٠/١٨٧ ـ ١٩٠) .

وفي السنة ٥٣٩ قبض السلطان مسعود، على وزيره البروجردي، ووزرله بعده المرزبان بن عبيد الله الأصبهاني ، وسلّم إليه البروجردي ، فاستخرج أمواله ، ومات في الحبس (ابن الأثير ١١/١٠٢) .

وفي السنة ٥٤٠ اتّصل بالخليفة المقتفي عن أخيه أبي طالب ما كرهه ، فضيّق عليه ، وآحتاط على غيره من أقاربه (يعني إنّه حبسهم) (ابن الأثير ١١/١٠٦) .

وفي السنة ٥٤٣ أرسل رجار صاحب صقلية ، أسطولاً بقيادة قائده جرجي ، فقصد المهديّة ، وكان فيها الحسن صاحب إفريقية ، فخرج عنها مع أولاده وثقله ، واستولى جرجي على المدينة ، وأراد الحسن أن يصل إلى عبد المؤمن الموحّدي ، صاحب المغرب ، فاستأذن من صاحب بجاية يحيى بن عبدالعزيز بن حمّاد،وهو من أبناء عمّه، أن يسمح له بزيارته ليمرّ منه إلى عبد المؤمن ، فأذن له ، فلما مرّ به ، غدر به ، وأخذه وأولاده ، وسيّرهم إلى جزيرة بني مزغناي ، ووكّل بهم من يمنعهم من التصرّف ، وبقوا هناك محبوسين إلى السنة ٥٤٧ فلما ملك عبد المؤمن بجاية ، أحسن إلى الحسن ، وأعلى مرتبته ولما فتح عبد المؤمن المهدية ، أمر واليها بأن يقتدي برأي الحسن ، ويرجع إلى قوله (ابن الأثير ١١/١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٥٨) .

وفي السنة ٥٤٧ اعتقل أبو النجيب مدرّس النظامية ، وأخذ إلى باب النوبي ، حيث درّر (أي ضرب بالدرّة وهي العصا) ، ثم أعيد إلى حبس الجرائم ، لأنّه عاد إلى تدريس النظامية ، دون إذن من الخليفة (المنتظم ١٠/١٤٧) .

وفي السنة ٥٤٧ أمر المقتفي بتأديب جماعة ممن كانوا يتعصّبون

للسلطان مسعود السلجوقي ، فقبض على الحيص بيص الشاعر ، وأخذ من بيته حافياً ، مهاناً ، وحمل إلى حبس اللصوص (المنتظم ١٤٧/١٠) .

وفي السنة ٥٥٥ لما استخلف المستنجد ، قبض على القاضي ابن المرخّم ، وكان من أهل الرشا ، واستصفيت أمواله ، وأعيد منها إلى الناس ما آدّعوا عليه ، وكان قد ضرب فلم يقرّ ، فضرب ابنه ، فأقرّ بأموال كثيرة ، وأحرقت كتبه في الرحبة ، وحبس، فمات في الحبس (المنتظم ١٩٤/١٠).

وكذلك حبس المستنجد في السنة ٥٥٥ القاضي المأموني أحمد بن علي النحوي ، وكان قد ولي القضاء في السنة ٥٣٤ ، فلما ولي المستنجد ، حبس القضاة ، والمأموني فيهم، وصادر جميع ما يملكه ، وبقي في الحبس إحدى عشرة سنة ، ولما ولي المستضيء في السنة ٥٦٦ أفرج عن المحبوسين ،والمأموني فيهم ،وأعاد عليهم ما صودر منهم (الوافي بالوفيات ٢١٣/٧) .

وفي السنة ٦٠٢ توفّي الفرضي البغدادي ، محمد بن محمد ، وكان في أوّل أمره، مع الفتّاك الشطّار، وحبس مدّة سبع عشرة سنة (الوافي بالوفيات ١٤٤/١).

وفي السنة ٦٢٦ أحضر أبو القاسم علي بن البوري ، إلى باب النوبي وضرب مائة عصا ، وقطع لسانه ، وحمل إلى حبس المدائن (الحوادث الجامعة ٤٥٣) .

وفي السنة ٦٢٧ توفّي أبو الفتوح عبد الرحمن بن عرند الدنيسري الشاعر ، وكان محتسباً بمدينة دنيسر ، بلدة قرب ماردين ، حبسه صاحب ماردين ، فمات في حبسه (شذرات الذهب ١٢٥/٥) .

وفي السنة ٧١٠ سجن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الأمير غانم بن أطلس ، ثم أطلقه في السنة ٧٣٥ بعد أن ظلّ في السجن خمساً وعشرين سنة ، وكان غانم من أتباع المظفّر بيبرس ، فخامر عليه إلى الناصر بالكرك ، فما أفاده ذلك ، وحبسه الناصر (الدرر الكامنة ٢٩٧/٣) .

وفي السنة ٧١١ مات الأمير برلغي في الحبس ، وكان قد ظاهر السلطان الظاهر بيبرس الجاشنكير ، وتزوّج آبنته ، فلما تحرّك الملك الناصر من الكرك ، خرج برلغي بالعسكر ليصدّه ، فغدر بيبرس ، ولحق بالناصر ، ولكنّ الناصر لم يثق به ، فاعتقله ، في السنة ٧٠٩ وحبسه ، وأجرى عليه راتباً ، وشفع فيه مهنا أمير فضل ، فوعده السلطان بإطلاقه ، ولم يطلقه حتى مات في حبسه (الدرر الكامنة ٢/٩ و١٠) .

وفي السنة ٧١١ مات في السجن الأميران بتخاص المنصوري ، وأسندمر نائب طرابلس وكان سبب سجن الأمير بتخاص أنّه أعان السلطان بيبرس الجاشنكير لما تسلطن وولي له أمره أوّل سلطنته ،فلما قدم الناصر محمد بن قلاوون من الكرك في السنة ٧٠٩ أراد بتخاص أن يتحرّك عليه ، وآتّفق مع بكتمر الجوكندار ، نائب السلطنة ، على أن يسلطنا موسى بن الصالح علي بن المنصور ، وبلغ السلطان ذلك ، فأرسل من يحضره ، فامتنع في داره ، فأمر بإحراقها عليه ، ثم قبض عليه ، وسجن بالكرك ، ومات بها في السجن في السنة ٧١١ (الدرر الكامنة ٢/٥) .

وفي السنة ٧١٢ اتّهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، الأمير بانيجار المنصوري ، بأنّه يريد الفتك به ، فقبض عليه ، وسجنه ، وظلّ مسجوناً إلى أن مات في السنة ٧١٦ (الدرر الكامنة ٢/٤) .

وفي السنة ٧١٥ قبض الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير بهادر بن عبد الله التركماني ، وحبسه خمس عشرة سنة ، ثم أطلقه ، وقرّبه ، وتوفي في السنة ٧٣٩ (الدرر الكامنة ٢/٢٩) .

وغضب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على الأمير تمر الساقي المنصوري ، في السنة ٧١٥ فاعتقله ، وبقي معتقلاً عشرين سنة ،

وأفرج عنه في السنـة ٧٣٥ وأعطي إمـرة طبلخانـاه بدمشق ، وتـوفّي في السنة ٧٤٣ (الدرر الكامنة ٢/ ٥٤) .

وفي السنـة نيف وعشـرين وسبعمـائـة مـات في سجن الكـرك ، الأميـر طوغان المنصوري ، اعتقله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأبقاه في الاعتقال حتى مات (الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٩) .

وفي السنة ٧٣١ مات الأمير لاجين المنصوري ، وكان السلطان الناصـر محمد بن قلاوون ، سجنه في السنة ٧١٠ فأقام في السجن سبعة عشر عـاماً ، وكـان يعمل في اعتقـاله كـوفيّات من الصـوف المرعـز ، فتباع لحسنهـا بأغلى الأثمان ، وكان يتصدّق بأثمانها (الدرر الكامنة ٣/ ٣٥٧ و٣٥٨) .

وفي السنـة ٧٣٢ مات محتـرقاً شـرف الدين النـاسخ ، عيسى بن محبّ النابلسي ، وكان قد اتّخذ التزوير صناعة ، فكـان يكتب على هوامش القصص مـا يريـد ، ويحاكي خطّ كـاتب السرّ إذ ذاك عـلاء الدين بن الأثيـر ، فيتـوجّه صاحب القصّة إلى الدوادار ، فيدخل بها العلامة ، فمشت بذلك حـاله ، إلى أن عثر عليه ابن الأثيـر ، فرفعـه للسلطان فأمـر بحبسه ، فحبس سبـع سنين ، إلى أن انفصل ابن الأثير ، فأفرج عنه ، فلم يلبث أن بات ليلة وفي يده طوافة (وهي الفتيلة الموقدة يطاف بها ليلاً) فنعس ، فاحترق ، وأصبح ميتـاً (الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٧ ـ و٢٨٨) .

وفي السنة ٧٤١ مات الأمير تنكز نائب الشام ، وهـو معتقل بمصـر ، اذ بلغ السلطان النـاصر محمـد بن قـلاوون ، أنّـه على وشـك الخـروج عليـه ، فاعتقله في السنة ٧٤٠ وحمـل إلى مصر ، فبعث إليـه السلطان يسألـه : أبصر من يكون وصيّك ، فردّ عليه : إنّ خـدمتك ونصيحتـك لم تترك لي صـديقاً ، فأمر بحمله إلى سجن الإسكندرية ، وآستمرّ في الإعتقال دون الشهـر ، ومات في حبسه (الدرر الكامنة ٢/ ٥٥ ـ ٦٢) .

وفي السنة ٧٤ توفّي الأمير بلبان المحمدي ، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون لما عاد من الكرك ، اعتقله ، وسجنه ، فأقام في السجن سبعاً وعشرين سنة ، ثم أطلقه وولّاه أمرة بطرابلس ، ثم نقل إلى إمرة بدمشق ، فمات في يوم وصوله إليها (الدرر الكامنة ٢/٢٨) .

وفي السنة ٧٤٩ مات الأمير برلغي الصغير ، وكان قريب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لأمّه ، وكان قدم مصر في السنة ٧٠٤ وترقّى إلى أن صار من جملة الأمراء ، ثم تنكّر له الناصر فحبسه ، وأبقاه محبوساً ثلاث عشرة سنة ، ثم أفرج عنه ، ولم يتركه مرتاحاً ، فإما أن يبعثه في تجريده ، وإما أن يعتقله ،ولما توفّي السلطان في السنة ٧٤١ أمّر من بعده ، ومات بالطاعون (الدرر الكامنة ٢/١٠) .

وفي السنة ٧٥٢ مات في السجن بالقاهرة ، الأمير طفيل بن منصور ، أمير المدينة ، قبض عليه في موسم السنة ٧٥١ وحمل إلى مصر ، حيث حبس ومات في الحبس ، وسبب حبسه إنّه عزله السلطان في السنة ٧٥٠ عن المدينة ، وولّى ابن عمّه سعد بن ثابت ، فهجم طفيل على المدينة ، ونهب ما كان بها للحاج ، فاعتقل في الموسم التالي ، وحبس ومات (الدرر الكامنة ٢/٣٢٥) .

وفي السنة ٧٦١ أحضر شمس الدين الباجريقي الفقيه ، أمام القاضي تاج الدين السبكي بالقاهرة ، وادّعي عليه أنّه قال : ليس كلّ الحقّ مع أهل السنّة ، بل إنّ بعض أقوال المعتزلة قد تكون حقّاً ، فعزّره القاضي على هذا القول ، بأن أمر به فكشف رأسه ، ونودي عليه من العادلية إلى الشامية البرّانية ، ثم سجن (الدرر الكامنة ٣/٤١٤) .

وفي السنة ٧٦٩ مات في سجن الاسكندرية ، الأمير بكتمر المحمدي ، وكان أميراً كبيراً فبلغ الأشرف شعبان ، إنّه يتآمر عليه ليعزله ويولّي ابن

زوجته ، اسماعيل بن الناصر حسن ، فقبض عليه ، وعلى غيره ممن آتّهمهم معه ، وأرسلهم إلى الاسكندرية ، فمات الأمير بكتمر في السجن (الدرر الكامنة ٢ / ٢١) .

ومما يؤثر عن ناظر الجيش عبد الله بن مشكور الحلبي ، المتوفّى سنة ٧٧٨ إنّه وقف على المحبوسين من الشرع بحلب ، وكانوا قبل في حبس أهل الجرائم (الدرر الكامنة ٢/ ٤١٢) .

وفي السنة ٨٠٠ أراد السلطان الظاهر برقوق بالقاهرة ، القبض على الأمير نوروز ، فأظهر السلطان انّه تعب من المشي ، واتّكأ على الأمير نوروز ، ولما وصل إلى الباب الذي يطلع منه إلى القصر ، أدار السلطان يده على عنق نوروز ، فبادره الخاصكية باللكم وأسقطوه الأرض ، وقيّدوه وحملوه إلى السجن .

وفي السنة ٨١٧ مات في السجن بالقاهرة ، الشريف سليمان بن وهبة بن جماز ، أمير المدينة ، وليها مدة ، ثم عزل ، وقبض عليه المؤيّد شيخ ، وسجنه ، حتى مات في سجنه بالقاهرة ، وهو في عشر الأربعين (الضوء اللامع ٣/ ٢٧٠) .

وفي السنة ٨٢٥ مات في سجنه بقلعة القاهرة ، الشريف غرير بن هيازع ، أمير المدينة وينبع ، وكان قد حصل خلاف بينه وبين ابن عمّه عجلان ، فهجم غرير على حاصل المسجد ، وأخذ منه مالاً ، فأمر السلطان باعتقاله ، فاعتقل ، وحمل إلى القاهرة في السنة ٨٢٤ ومات في سجنه في السنة ٨٢٥ (الضوء اللامع ٥/ ١٦١) .

وفي السنة ٨٣٣ توفّي السلطان شهاب الدين أبو السعادات أحمد بن شيخ المحمودي ، مسجوناً في سجن الاسكندرية ، ولم تزد سنّه عن احدى عشرة سنة ، وكان قد ولي السلطنة خلفاً لأبيه شيخ ، ثم خلع وحبس ومات ،

وكان فيه حول فاحش في عينيه حصل عند سلطنته من دقّ الكوسات على حين غفلة (الضوء اللامع ١/٣١٣) .

وفي السنة ٨٤٥ ولي علي بن حسن بن عجلان ، إمارة مكّة ، ونقل عنه إلى السلطان بالقاهرة ، ما أوغر صدره عليه ، فقبض عليه وعلى أخيه إبراهيم ، وحبسا في برج القلعة ، ثم نقله هو وجماعة إلى الإسكندرية ، ثم إلى دمياط ، حتى توفّي في السنة ٨٥٣ وهو في سجنه (الضوء اللامع ٥/٢١١) .

وفي السنة ٨٥٥ توفّي الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان الحسني المكّي ، وكانت وفاته بثغر دمياط ، وكان السلطان حبسه أوّلاً بالبرج ، ثم نقله إلى الإسكندرية ثم إلى دمياط ، حيث توفّي بها (الضوء اللامع ١/٤١) .

وفي السنة ٨٦٢ توفّي في سجن الإسكندرية ، القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن الخليفة المتوكّل على الله محمد ، بويع له بالخلافة بالقاهرة في السنة ٨٥٥ ، وخلع منها في السنة ٨٥٩ وسجن بالاسكندرية ، وظلّ فيها سجيناً حتى مات في السنة ٨٦٢ (نظم العقيان ١٠٧ و١٠٨) .

وحبس السلطان قانصوه الغوري ، سلطان مصر ، الشيخ أمين الدين محمد بن النجار الدمياطي (ت ٩٢٨) ، وسبب ذلك : إنّ بعض التجار أودع عنده مالاً له صورة ، وقال له : إذا بلغ ولدي بعد موتي فادفعه إليه ، فجاء الولد إليه ، وهو دون البلوغ ، يطلب منه المال ، فقال له : حتى تبلغ ، فشكاه إلى السلطان ، فطلبه السلطان ، وطالبه بالوديعة ، فأنكرها ، وحلف على إنكاره ، ثم لما بلغ الولد ، دفع الوديعة إليه ، وبلغ السلطان ذلك ، فأحضره ، وقال له : كيف تحلف على إنكار الوديعة ، ثم تقرّ بها ؟ فقال له : إنّ فقهاء الشافعية ، رخّصوا للوديع ، أن ينكر الوديعة ، إذا طلبها السلطان الظالم وخاف منه عليها ، ورخّصوا له أن يحلف على إنكاره ، وأنت ظالم ،

فرسم عليه السلطان ، أي أمر بحبسه (الكواكب السائرة ١/٣٣ و٣٤) .

وفي السنة ٩٧٧ توفي مسجوناً السلطان بدر بن عبد الله الكثيري ، سلطان حضرموت ، وكان قد قبض عليه ولده عبد الله ، وسجنه ، وتسلطن من بعده ، ومات بدر في السجن (شذرات الذهب ٨/٣٨٣) .

وفي السنة ١٢١٣ (١٧٩٨ م) لما استولى الفرنسيّون على مصر ، وبلغ الخبر إلى مصطفى باشا ، حاكم الجزائر (١٢١٢ ـ ١٢٢٢) استدعى القنصل الفرنسي ، وسأله عن ذلك ، فأخبره باستيلاء الجيش الفرنسي على مصر ، فآغتاظ الباشا ، وأمر بالقنصل ، فقيّد وحبس ، وأمر بجميع قناصل فرنسا في بلاد الجزائر ، فأحضرهم وحبسهم وقيّدهم ، فكتبت حكومة فرنسا إلى السلطان العثماني ، فكتب السلطان إلى أمير الجزائر بإطلاقهم ، فأطلقهم ، وعادوا إلى بلادهم (مذكرات الزهار ٧٦) .

٢ ـ سجون الأمراء والأميرات والوزراء والعمّال

لما اعتقل الحجّاج يزيد بن المهلّب ، اعتقل معه أخويه المفضّل وعبد الملك ، وكان إذا خرج أخرجهم معه ، وجعل عليهم في العسكر كهيأة الخندق ، وجعلهم في فسطاط قريباً منه ، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام (وفيات الأعيان ٦/٢٩١) .

أقول : في السنة ٨٥ عزل الحجّاج يزيد بن المهلّب عن خراسان ، وأحضره ، وحاسبه ، وحبسه ، وحبس معه أخويه المفضّل وعبد الملك ، وطالبهم بستّة آلاف ألف ، وأخذ يعذّبهم ، وكان يزيد يصبر على العذاب ، وكان الحجّاج يغيظه ذلك ، فقيل له : إنّه رمي بنشّابة ، فثبت نصلها في ساقه ، فلا يمسها شيء إلّا صاح ، فأمر بأن يعذّب بدهق ساقه ، فلما فعل به ذلك ، صاح ، وأخته هند بنت المهلّب عند الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاحت ، وناحت ، فطلّقها ، ولما خرج الحجّاج إلى رستقباد في السنة ٩٠ أخرج يزيد وأخويه معه ، وجعلهم في عسكره ، وجعل عليهم كهيأة الخندق ، وجعلهم في فسطاط قريباً من حجرته ، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام ، واعتقل الحجّاج أخاهم حبيب بن المهلّب ، وحبسه بالبصرة ، وبسط عليه العذاب ، فدبّروا أمرهم ، وفرّوا من سجن الحجّاج ، والتجأوا إلى سليمان بن عبد الملك ، فأجارهم ، فغضب الوليد ، وأمر بإحضار يزيد ، فبعث به سليمان إلى الوليد ، وجعل معه ولده أيّوب بن سليمان في سلسلة

واحـدة ، فرقّ لـه الوليـد ، وأمّن يزيـد ، وكتب إلى الحجّاج أن يكفّ عن آل المهلّب (الطبري ٦/٣٩٣ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ـ ٤٥٨) .

وفي السنـة ٩٠ نقض نيـزك طـرخـان ، الصلح الـذي كـان بينـه وبين المسلمين ، فقصده قتيبة بن مسلم في السنة ٩١ ، واحتال عليه حتى جاء إليه بغير أمانٍ ، فدفع نيـزك إلى بسّام الليثي ، فجعـل نيزك في قبّـة ، وحفر حـول القبـة خندقـاً ، ووضع عليـه حرسـاً ، ثم دعا بـه قتيبة ، ودعـا بسيف حنفي ، فآنتضـاه ، وطوّل كمّيه ، ثم ضرب عنقه بيده ، وأمر عبدالرحمن فضـرب عنق صول ، وأمر صالحاً فقتل شقران ابن أخي نيزك ، وقتل مع نيزك سبعمـائة من أصحابه (الطبري ٦/٤٤٥) .

ويـروي لنـا القـاضي التنـوخي في القصّـة ١٧٤ من كتـاب الفـرج بعـد الشـدة ، خبـراً عن الفيض بن أبي صـالـح ، يـدلّ على مـا يتحلّى بـه هـذا الرجل ، من نبلٍ وشهامة ، وخلاصة الخبر : إنّ السيّدة أم جعفر (زبيدة) ، حبست وكيلاً لها ، وجب عليـه أداء مائتي ألف درهم ، فكتب المحبـوس إلى صديقين له ، يستغيث بهما ، فركب هذان إلى داود كاتب السيّـدة ليكلّماه في أمر صديقهما المحبوس ، ولقيا في طريقهمـا الفيض بن أبي صالـح ، وأخذاه معهما ، ليكلّم كاتب السيّدة ، ولما صـار الثلاثـة إلى كاتب السيّـدة ، وكلّموه في إطلاق الرجـل ، قال : أكتب إلى أمّ جعفـر ، فعادت الـرقعة منهـا بأنّـه لا سبيل إلى إطلاقه إلّا بعد أداء مـا بذمّتـه من مال ، فلمـا قرأ الأوّلان التـوقيع ، قالا : قد قضينا حقّ الرجل ، فقوموا ننصرف ، فقال لهما الفيض : كأنّنـا إنّما جئنا لنؤكّد حبس الرجل ؟ فقالا له : ماذا نصنع ؟ فقال : نؤدّي المال عنـه ، ثم أخـذ الدواة ، وكتب إلى وكيله كتـاباً يـطلب فيه منـه أن يحمل مـائتي ألف درهم إلى كاتب السيّدة ، ودفع الفيض الكتاب إلى داود كاتب السيّدة ، وقـال له : قد أزحنـا علّتك في المـال فآدفـع إلينا صـاحبنا ، هـذا والفيض لا يعرف الرجل ، وإنّما جاء معيناً لصديقيه الآخرين .

وكان لعليّة بنت المهدي ، وكيل إسمه سباع ، فوقفت على خيانة منه لها ، فضربته ، **وحبسته** .

وغضب القاسم بن الرشيد ، على أبي العتاهية ، فأحضره ، وشتمه ، وضربه ، **وحبسه في داره** ، أي في دار القاسم ، فاستغاث أبو العتاهية ، بأمّ جعفر ، فكلّمت الرشيد ، فأمر بإطلاقه . (الأغاني ٤/٦٦) .

وروى سليمان بن وهب ، إنّه كان مع أحمد بن الخصيب ، وخَلْق من العمّال والكتّاب ، معتقلين **في حبس الوزير** محمد بن عبد الملك الزيات في آخر وزارته للواثق ، مطالبين بما صودروا عليه ، فسعى قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد في إطلاقهم ، فأطلقوا ، وأطلق لهم ضياعهم ، راجع تفصيل ذلك في كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، تحقيق المؤلّف ، رقم القصّة ١٦٤ ب .

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى الاسكافي ، إنّه كان يكتب لبغا الكبير ، وإنّه صرفه ، ونكبه ، وصادره ، **وحبسه** ، وقصده بكلّ مكروه ، ثم أحضره أمامه ، فحمل إليه في قيوده ، وعليه ثياب في نهاية الوسخ ، فأطلقه ، راجع سبب إطلاقه في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٩٠ .

وفي السنة ٢٧٢ كانت للزنج بواسط ، حركة ، وصاحوا : انكلاي ، يا منصور ، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وكان انكلاي وآخرون من قوّاد صاحب الزنج ، **محبوسين في دار أمير بغداد** محمد بن عبد الله بن طاهر ، وفي دار البطّيخ في يد غلام من غلمان الموفّق ، فأمر الموفّق بقتلهم ، فدخل الغلام ، واسمه فتح عليهم وجعل يخرجهم واحداً واحداً ، فيذبحهم غلام له ، وطرح أجسادهم في بالوعة ، وبعث برؤوسهم إلى الموفق (الطبري ١٠/١١) .

وفي السنة ٢٧٢ توفي أبو أيّوب سليمان بن وهب ، وهو في حبس الموفّق . (الطبري ٩/١٠) .

ولما احتضر الموفّق ، كان ولده أبو العبّاس أحمد (المعتضد) في حبس أبيه ، فكسر غلمان أبي العباس الأقفال ، وأحضروه لمواجهة أبيه (الطبري ٢٠/١٠) .

أقول : كان سبب حبس الموفّق ، ولده أبا العباس أحمد (المعتضد فيما بعد) أنّه أمره أن يسير على رأس جيش إلى بعض الوجوه ، فأبى ، وقال : لا أخرج إلّا إلى الشام ، لأنّها الولاية التي ولّانيها أمير المؤمنيني (أي المعتمد) ، فاغتاظ منه أبوه ، وأمر بإحضاره ، فأحضر ، فأمر بعض خدمه أن يحبسه في حجرة من حجر داره ، فلما حبس ثار القوّاد من أصحابه ومن تبعهم ، وركبوا ، واضطربت بغداد ، فركب الموفّق إلى الميدان ، وقال لهم : ما شأنكم ، أترون أنّكم أشفق منّي على ولدي ، وقد احتجت إلى تقويمه ، فانصرفوا ، للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ج ١ ص ١٨٢ ـ ١٨٥ رقم القصة ٦٥ .

وفي السنة ٢٨٧ قبض المعتمد على محمد بن شيخ ، وجماعة من أهله ، وحبسهم في دار ابن طاهر (الطبري ٧٤/١٠) .

وكان القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، معروفاً بالقسوة ، وكان يحضر عذاب من أراد تعذيبه ، وكان آل عبيد الله بن سليمان ، يحقدون على أحمد بن محمد بن بسطام ، سوالف منكرة ، فلما حبس القاسم ، ابن بسطام ، قبض على جميع خلفائه في الأعمال ، وأمر بهم فحملوا إلى داره ، وأحضرهم وأحضر لهم الجلّادين والسياط ، راجع تفصيل القصّة في كتاب المكافأة ص ١٧٦ و١٧٧ وراجع كذلك كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي تحقيق المؤلف رقم القصة ١٩٣ .

وفي السنة ٣١١ اعتقل الوزير ابن الفرات ، وزير المقتدر ، سلفه في الوزارة حامد بن العباس ، **في دار الوزارة** ، وأمر أن يفرش له موضعه فرشاً حسناً ، وأن يتفقّد في طعامه وشرابه وطيبه ، حتى يخدم بمثل ما كان يخدم به وهو وزير ، وأن تقطع له كسوة فاخرة ، ويجعل معه لخدمته من الخدم والفراشين من يوثق به . (تجارب الأمم ١/٩٨) .

وفي السنة ٣١٤ عزل المقتدر وزيره أبا العباس الخصيبي ، وقبض عليه وعلى ولده وكتّابه ، وحملوا إلى دار السلطان ، وحبسوا عند زيدان القهرمانة ، وحمل باقي **المعتقلين إلى دار الوزارة بالمخرم** (تجارب الأمم ١/١٤٩) .

وطالب أبو جعفر بن شيرزاد ، وزير أمير الأمراء توزون ، أبا عبد الله العلوي ، ببغداد ، وآعتقله في دار الوزارة ، مطالباً إيّاه ببقايا من الأموال الأميرية ، وكان أبو جعفر سمحاً على الطعام ، يحب أن يأكل الناس على مائدته ، فانتظر العلويّ ، حتى نصبت مائدة أبي جعفر ، وجلس ليأكل ، وكان يأكل في كلّ يوم مرّة ، بعد المغرب ، فتقدّم أبو عبد الله العلوي ، وجلس على المائدة ، فتهلّل وجه أبي جعفر ، وصاح به : إلى عندي يا سيّدي ، إلى عندي ، وأجلسه إلى جانبه ، فلما انتهى الطعام ، قال له أبو جعفر : لقد آذيتك يا سيّدي أبا عبد الله بتأخيرك عن منزلك ، ثم أخرج أوراق المطالبة ، وسلّمها إليه ، وأطلقه ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ٢ ص ٣٣٦ ـ ٣٣٨ رقم القصة ١٧٧ .

وفي السنة ٤٤٥ اعتقل المعتضد بن عبّاد ، صاحب إشبيلية (ت ٤٦٤) عزّ الدولة محمد بن نوح الزناتي ، صاحب مدينة مورور بالأندلس ، وحبسه في حمّام بإشبيلية ، وكبّله بالحديد ، ثم قتله (الاعلام ٧/٣٤٩) .

واعتقل السلطان علي بن عثمان المريني ، سلطان المغرب ، في السنة ٧٣٤ أخاه عمر ، وأحضره إلى فاس ، وحبسه في حجرة من حجرات قصره (الاعلام ٥/٢١٤) .

وفي السنة ٦٣٧ ببغداد ، تحيّل قوم غرباء كانوا في « حبس الوزير » في داره بدرب البطّيخ ، ونقبوه وخرجوا ليلاً ، ومضوا لا يعلمون أين يقصدون ، فساقهم القضاء إلى دار حاجب باب النوبي تاج الدين ابن الدوامي ، فأنكرهم الغلمان ، وسألوهم عن حالهم ، فاستجاروا بهم ، وقالوا : قد هربنا من حبس الوزير ، فقبضوا عليهم ، وعرّفوا حاجب الباب ، فحبسهم ، وأنهى حالهم ، فتقدّم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف (الحوادث الجامعة ١٢٧) .

٣ ـ حبس الانسان في داره

في السنة ١٢٦ خاف نصر بن سيّار أمير خراسان ، من جديع بن علي بن شبيب الأزدي ، الملقّب بالكرماني ، لأنّه ولد في كرمان، أن يحدث فتنة ، فحبسه ، فكلّمه فيه قومه ، فقال نصر : إنّي حلفت أن أحبسه ، ولا يبدؤه منّي سوء ، فإن خفتم عليه ، فآختاروا رجلاً يكون معه ، فآختاروا يزيد النحوي ، فكان معه في القهندز ، فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوماً ، ثم تسلّل من سرب في موضع مجرى الماء ، فخرج ، وكان قد آلتفّت على بطنه ، وهو في المجرى حيّة ، فلم تضره ، فقال أصحابه من الأزد : كانت الحيّة أزدية ، فلم تضره ، ولما خرج الكرماني ، جمع ليحارب نصراً ، ثم سفر بينهما الناس ، فوضع الكرماني يده في يد نصر ، فألزمه أن يلزم بيته (الطبري ٧/٢٨٨ و٢٨٩) .

ولما قتل الرشيد ، جعفر البرمكي في السنة ١٨٧ ، حوّل أخوه الفضل ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد ، أما أبوهما يحيى فحبس في منزله ، ثم حبس الفضل ويحيى ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ، وصيّر معهم زبيدة بنت منير ، أمّ الفضل ، ودنانير جارية يحيى (الطبري ٨/٢٩٦ و٢٩٧) .

ولما عزل الرشيد ، عليّ بن عيسى بن ماهان ، عن ولاية خراسان ،

وحمل إلى بغداد في السنة ١٩٢ ، أمر الرشيد به ، فحبس في بيته (الطبري ٨/٣٤٠) .

ووجد الأمين ، على العبّاس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور ، فأراد قتله ، ثم أمر أن يحبس في حجرة من حجر داره (دار العباس) ، ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه ، من مشايخهم يخدمونه ، ويجعل له وظيفة في كلّ يوم ثلاثة ألوان (الطبري ٨/٥١١) .

ولما دخل المأمون بغداد ، أمر في السنة ٢٠٥ بحبس الطبيب جبرئيل بن بختيشوع في منزله (تاريخ الحكماء ١٤١) .

أقول : الظاهر إنّ سبب حبس المأمون بختيشوع ، لأنّ بختيشوع كان عيناً للأمين على أبيه الرشيد ، وكان مسرور الخادم رقيب المأمون ، وكان الرشيد عالماً بذلك ، راجع التفاصيل في تاريخ الطبري ٨/٣٣٨ و٣٣٩ .

وفي السنة ٢١٩ غضب المعتصم على الفضل بن مروان ، وأخذه برفع حسابه ، فلما أنجزه ، لم يناظره فيه ، وأمر بحبسه في منزله ببغداد ، في شارع الميدان (الطبري ٩/٢٠) .

وحبس الواثق ، الامام أحمد بن حنبل ، على القول بخلق القرآن ، حبسه في داره ، أي في دار أحمد بن حنبل ، ومنعه من الخروج منها . (وفيات الأعيان ١/٦٤) .

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب ، في كتابه المكافأة (ص ٤٨ ـ ٥٠) : إنّ حبس الإنسان في داره ، في أيّام أحمد بن طولون ، يؤيس من خلاصه .

ولما اختلف أحمد بن طولون ، صاحب مصر والشام . مع الأمير الموفّق ، الحاكم في دولة أخيه المعتمد ، طلب أحمد من قاضي مصر ، بكّار بن قتيبة ، أن يعلن خلع الموفّق من ولاية العهد ، فأبى ، فحبسه في دار ،

وظلّ مسجوناً عدة سنين ، حتى توفّي في السنة ٢٧٠ ، وكان يجلس في السجن لأصحاب الحديث ، ويحدّثهم فيه ، ولما مات أحمد بن طولون ، قيل لبكّار : انصرف إلى منزلك ، فقال : الدار بأجرة ، وقد صلحت لي ، واستقرّ فيها ، وأخذ يدفع أجرها (وفيات الأعيان ١/٢٧٩ و٢٨١) .

وفي السنة ٥١٢ توفّي الخليفة المستظهر بالله ، فخلفه ولده المسترشد بالله ، وهرب منه أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر ، والتجأ إلى الأمير دبيس ، صاحب الحلّة ، ثم فارقه وجمع جمعاً ، وتفرّق جمعه وحمل إلى أخيه المسترشد ، فأنزله داراً حسنة ، كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة (يعني إنّه اعتقله فيها اعتقالاً جميلاً) (ابن الأثير ١٠/٥٣٨) .

وفي السنة ٤٥٦ عزل السلطان ألب أرسلان ، عميد الملك الكندري ، من الوزارة ، **وحبسه بنيسابور في دار عميد خراسان** ، ثم نقله إلى مرو الروذ ، وحبسه في داره ، ثم بعث إليه من قتله . (وفيات الأعيان ٥/١٤٢) .

وفي السنة ٥٤٢ قبض صاحب الموصل ، سيف الدين غازي ، على الفقيهين كمال الدين الشهرزوري ، وأخيه تاج الدين ، **واعتقلهما بقلعة الموصل** ، فشفع لهما الخليفة ، فأخرجا من الاعتقال ، وقعدا في بيوتهما ، وعليهما الترسيم ، **أي أنّهما حبسا في بيوتهما** .,(وفيات الأعيان ٤/٢٤١ و٢٤٢) .

وفي السنة ٥٤٧ قبض على البديع المتصوّف الواعظ ، ووجدت عنده ألواح طين فيها قبل (جمع قبلة بكسر القاف) وعليها مكتوب أسماء الأئمة الإثنى عشر ، فاتّهم بالرفض (التشيّع) وشهر بباب النوبي ، وكشف رأسه ، وأدّب (أي ضرب) وألزم بيته (أي حبس في داره) (المنتظم ١٠/١٤٨) .

وفي السنة ٦٠٦ عزل الخليفة الناصر فخر الدين بن امسينا عن نيابة

الوزارة ، وألزم بيته ، ثم نقل إلى المخـزن على سبيل الاستـظهار عليـه (ابن الأثير ١٢/٢٨٧) .

وفي السنـة ٦١٠ توفّي الـوزير معـزّ الدين أبـو المعالي سعـد بن علي ، المعروف بابن حديدة ، وزير الخليفة الناصر ، وكان الخليفة قد عزله ، وألزمه بيته (ابن الأثير ١٢/٣٠٢) .

٤ ـ الحبس عند احد رجال الدولة

استأمن عمير بن الحباب السلمي ، إلى عبد الملك بن مروان ، فأمّنه ، ثم غدر به ، فحبسه عند مولاه الريان (ابن الأثير ٤/٣٠٩) .

ولما استخلف المهدي العباسي في السنة ١٥٩ أخرج الحسن بن إبراهيم بن عبد الله العلوي ، من المطبق ، وحوّله إلى نصير الوصيف ، فحبسه عنده (الطبري ٨/١١٧) .

وفي السنة ١٦٤ عزل المهدي عبد الله بن سليمان ، عامله على اليمن ، ووجّه من يستقبله ، ويفتّش متاعه ، ثم أمر بحبسه عند الربيع حين قدم (الطبري ٨/١٥١).

وكان الإمام موسى بن جعفر ، في عهد المهدي العباسي ، محبوساً عند الربيع الحاجب (الطبري ٨/١٧٧) .

ولما استخلف الرشيد ، أمر بحبس إبراهيم الحراني ، الذي كان وزيراً للهادي ، عند يحيى بن خالد البرمكي في داره ، ثم كلّمه فيه محمد بن سليمان ، فأطلقه (الطبري ٨/٢٣٣) .

ولما تواترت الأخبار على الرشيد ، بميل الناس إلى أحمد بن عيسى بن زيد العلوي ، أمر بحمله ، فحمل إلى بغداد ، **فحبسه عند الفضل بن الربيع ، في داره الشارعة ، على دجلة** ، قرب رأس الجسر ، بمشرعة

الصخر ، راجع التفصيل في القصّة **١٩٥** من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، تحقيق مؤلّف هذا الكتاب .

وكان الرشيد ، قد أعطى أماناً ليحيى بن عبد الله العلوي ، فحضر بساطه ، ثم بدا له ، فأعاد اعتقاله ، وحبسه عند مسرور الكبير ، في سرداب (مقاتل الطالبيّين **٤٧٢**) .

وفي السنة **١٨٧** سعى بعبد الملك بن صالح العباسي ، ولده عبد الرحمن وكاتبه قمامة ، إلى الرشيد ، واتّهماه بأنّه يسعى لنفسه في الخلافة ، فاعتقله الرشيد وحبسه عند الفضل بن الربيع (اعلام النبلاء **١/١٧١** والطبري **٨/٣٠٢**) .

ولما اعتقل الرشيد ، الإمام موسى بن جعفر ، بالمدينة ، أخذه معه إلى العراق ، **وحبسه عند الفضل بن يحيى البرمكي** ، ثم بلغه أنّه عنده في رفاهية وسعة ودعة ، **فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك** (مقاتل الطالبيين **٥٠٣**) .

ولمّا اعتقل الإمام موسى الكاظم ، في دار السنديّ بن شاهك ، تولّت أخت السندي ، حبسه ، فكانت تقول : خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل الصالح . (ابن الأثير **٦/١٦٤**) .

ولما قبض على إبراهيم بن المهدي ، أمر المأمون **بحبسه في دار أحمد بن أبي خالد** الأحول الوزير ،للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة ، القصة **٣٤٩** .

وحبس المأمون ، يحيى بن خاقان ، أخا الفتح بن خاقان ، وطالبه بخمسة آلاف ألف درهم ، **وجعل محبسه عند أحمد بن هشام** ، فقال أحمد للموكّلين بيحيى : إحفظوه ، واحذروا أن يسمّ نفسه ، فبلغ ذلك المأمون ، وكان يعلم بأنّ بين يحيى وأحمد عداوة وشرّ ، فقال لأحمد : لا يأكل يحيى

بن خاقان إلّا ما يؤتي به من منزله ، راجع في القصّة **١٧٧** من كتاب الفرج بعد الشدة، كيف تخلّص يحيى من سجنه .

ولما تآمر العباس بن المأمون ، على عمّه المعتصم ، في السنة **٢٢٣** ، اعتقل المعتصم العبّاس ، ومنع عنه الماء ، **فمات بمنبج** ، ودفن هناك ، ولما ورد المعتصم سامراء ، أمر بأولاد سندس (أشقاء العباس) من ولد المأمون ، فسلّموا إلى إيتاخ ، **فحبسوا في سرداب من داره** ، ثم ماتوا بعد (الطبري **٧٩/٩**) .

وسخط الواثق على إبراهيم بن رياح ، صاحب ديوان الضياع ، فدفعه إلى عمر بن فرج الرخجي ، **فحبسه** . (اعتاب الكتاب **١٤٥**) .

واعتقل المتوكّل ، أبا سعيد الثغري ، القائد الشهير ، صاحب النكاية في حرب بابك ، وحروب الثغور ، **وأسلمه إلى أبي الحسين النصراني الجهبذ** ، فأخذ يعذّبه ، فشقّ ذلك على المسلمين ، راجع كيفية إطلاقه ، وسببه ، في كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، تحقيق المؤلّف ، رقم القصة **١٥٤** .

ولما أراد المتوكّل قتل إيتاخ ، أمر إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، بأن يعتقله إذا عاد من الحجّ إلى بغداد ، فاعتقله ، **وحبسه في بيته بالجانب الشرقي من بغداد** ، وقيّده بقيد ثقيل ، وصيّر في عنقه ثمانين رطلاً (الطبري **١٦٩/٩**) .

ولما غضب المتوكّل في السنة **٢٣٧** على القاضي النبيل أحمد بن أبي دؤاد ، وكان مشلولاً طريح الفراش ، قبض ضياعه ، **وحبس ولده محمد في ديوان الخراج** ، **وحبس إخوته عند خليفة صاحب الشرطة** . (الطبري **١٨٩/٩**) .

ولما ضرب أبو نوح ، بأمر من صالح بن وصيف ، في سامراء ، في

السنة ٢٥٥ ضرب التلف ، مات في يومه في حبس السرخسي خليفة طلمجور على شرط الخاصة (الطبري ٩/ ٣٩٨) .

وكان الحسن بن مخلد الكاتب ، محبوساً في دار القائد صالح بن وصيف ، فلما آستتر صالح في السنة ٢٥٦ خوفاً من موسى بن بغا الذي قدم سامراء ، ذهب يا جور صاحب موسى فأخرج الحسن من حبسه . (الطبري ٩/ ٤٤٠) .

ولما أعاد محمد بن سليمان ، فتح مصر ، جمع جميع آل طولون ، وهم بضعة عشر رجلاً ، فحبسهم وقيّدهم ، واستصفى أموالهم ، وبعث بهم الى بغداد فحبسوا في دار صاعد . (النجوم الزاهرة ٣/ ١١١) .

وفي السنة ٣٠١ عزل المقتدر وزيره أبا علي الخاقاني ، وقبض عليه ، وعلى ولديه عبد الله وعبد الواحد ، وعلى أسبابه وكتّابه ، واعتقلوا في يد نذير الحرمي (تجارب الأمم ١/ ٢٦) .

وفي السنة ٣١١ لما ناظر الوزير ابن الفرات ، أبا الحسن علي بن عيسى ، أمر أن يعتقل في بيت شفيع اللؤلؤي ، فنهض علي بن عيسى مع شفيع ، فأجلسه شفيع في صدر طياره وحمله الى داره (تجارب الأمم ١/ ١١١ و١١٢) .

كما إنّه لما عزل ابن الفرات في السنة ٣١١ اعتقل في بيت شفيع اللؤلؤي أيضاً ، ثم طلب الوزير الخاقاني أن يعتقل ابن الفرات عنده ، فأسلم إليه ، فناظره ابن بعد شرّ ، وأوقع به مكروهاً ، فطلب ابن الفرات أن ينقل اعتقاله الى دار شفيع اللؤلؤي ، أو غيره من ثقات السلطان (تجارب الأمم ١/ ١٢٧ ـ ١٣١) .

ومما يذكر أنّ علي بن عيسى لما صعد درجة شفيع إلى داره مدّ شفيع إليه يده ، فآتّكأ عليها ، ولما صعد ابن الفرات درجة شفيع ، جعل يزحف على

الدرج ، فلم يعنه شفيع ، فعاتبه ابن الفرات ، وقال له : لِمَ لَمْ تعطني يدك ، كما أعطيتها علياً ؟ فقال له : لأنّ علياً أتقى لله منك (التكملة ٤١) .

وفي السنة ٣١٢ لما عزل المقتدر الوزير ابن الفرات ، عن وزارته الثالثة ، بعث إليه القائدين نازوك ويلبق ، فدخلوا عليه في دار حرمه ، وأخرجوه حافياً ، مكشوف الرأس ، وأخذ الى دجلة ، فألقى عليه القائد يلبق طيلساناً غطّى به رأسه ، وحمل إلى طيّار فيه مؤنس المظفّر ، ومعه هلال بن بدر ، ثم سلّم إلى شفيع اللؤلؤي ، فحبس عنده ، ثم قبض على ولده المحسّن ، فردّ إلى دار الوزير ، فعذّب بأنواع العذاب فلم يجب إلى أداء دينار واحد ، وقال : لا أجمع لكم بين نفسي ومالي ، وأراد المقتدر نقل الوزير وولده المحسّن إلى دار الخلافة ، فاحتجّ القواد ورجال الدولة على ذلك ، وطالبوا بقتلهما ، فأصدر المقتدر أمره الى نازوك بقتلهما ، فقتل المحسّن أوّلاً ، وحمل رأسه إلى أبيه ، فارتاع إرتياعاً شديداً ، ثم عرض على السيف ، فقتل وهو ابن إحدى وسبعين سنة ، وحمل رأساهما الى المقتدر ، فأمر بتغريقهما (ابن الأثير ٨/ ١٤٩ ـ ١٥٣) .

وفي السنة ٣١٨ وردت على أحمد بن نصر القشوري ، وكان على المعاون بالأهواز ، رقعة من المقتدر بخطّه ، يطلب فيها اعتقال البريديّين الإخوة الثلاثة (أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين) ، وتحصيلهم في داره ، حتى يرد عليه توقيع آخر بخطّه ، فقبض عليهم ، **واعتقلهم في داره الشاطئية** ، حتى ورد عليه كتاب المقتدر بحملهم الى الحضرة (تجارب الأمم ١/ ٢٠٦ و٢٠٧) .

وفي السنة ٣١٨ عزل المقتدر ، وزيره ابن مقلة ، وصادره ، فشفع فيه مؤنس ، أن يعفى من المصادرة ، وأن **يعتقل عند مرشد** الخادم ، فأجيب الى ذلك . (تجارب الأمم ١/ ٢٠٩) .

وفي السنة **٣١٩** اعتقل القائد هارون بن غريب (ابن خال المقتدر) أبا بكر محمد بن أحمد بن قرابة وحبسه عنده ، ووكّل به حاجبه ، وعدّه من غلمانه ، وكان ابن قرابة شريراً ، توصّل إلى المقتدر ، وأخذ يسعى إليه برجال الدولة ، فيصادرهم ، ويقرض الدولة كلّ دينار بربح درهم ، وكان آخر من سعى به للمقتدر ، القائد هارون بن غريب ، وذكر للمقتدر أنّ عند هارون آزاجاً مملوءة مالاً ، فذكر المقتدر ذلك لهارون ، فضمن له أن يستخرج من ابن قرابة ، إن أسلم إليه ، خمسمائة ألف دينار ، فأمره المقتدر باعتقاله ومطالبته ، فاعتقله ، وأنزل به من المكروه ، ما أشفى به على التلف ، ثم حصلت واقعة قتل المقتدر ، ففرّ من كان موكّلاً به ، وبقي معه غلامان أعطاهما خمسمائة دينار ، فصارا معه إلى فرضة جعفر (بالجانب الغربي) ، وأدخلاه إلى مسجد ، وأحضرا حدّاداً ، وحلّا قيوده ، وأطلقاه (تجارب الأمم ١ /٢٣٠ و ٢٣١) .

ولما قتل المقتدر في السنة **٣٢٠** طلب محمد بن المعتضد لمبايعته ، وكان هو ومحمد بن المكتفي ، معتقلين في يد فائق الحرمي وجه القصعة ، أحد خدم المقتدر . (تجارب الأمم ١/٢٤٢) .

وفي السنة **٣٢١** قبض الوزير ابن مقلة ، وزير القاهر ، على سلفه الوزير الكلوذاني ، وعلى أسبابه ، وكاتبه ، واعتقلهم ، **وحبسهم عند أبي بكر بن قرابة** (تجارب الأمم ١/٢٤٦) .

وفي السنة **٣٢١** قبض الوزير ابن مقلة ، وزير القاهر ، على الإخوة الثلاثة بني البريدي ، وأسلمهم إلى محمد بن خلف النيرماني ، **فاعتقلهم محمد بن خلف في داره** ، وفرّق بينهم ، ورفّه عن أكبرهم أبي عبد الله ، وأوقع بأخويه ، وعلّق عليهما الجرار المملوءة ، ودهقهما ، وأوقع بهما مكاره عظيمة . (تجارب الأمم ١/٢٤٦ و٢٤٧) .

وفي السنة **٣٥٠** احتاج معزّ الدولة الى مال للنفقة على بناء داره فاعتقل

الوزيرُ المهلّبي ، حاشيةَ الأمير معزّ الدولة ، وألزمهم بأداء مبالغ آلتزموا بها ، فلم يلتزم أبو علي الخازن بشيء ، وادّعى الفقر ، فاعتقله الوزير **في حجرة من حجر داره** . (تجارب الأمم ٢/١٨٦) .

وفي السنة **٣٥٩** عزل بختيار البويهي ، وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، فتسلّم أبو الفرج ، أبا الفضل ، **وحبسه في داره** ، وضيّق عليه (تجارب الأمم ٢/٢٦٣) .

وكان القائد الديلمي أسفار بن كردويه ، ببغداد في السنة **٣٧٢** وكان ذا سلطان ، **يحبس في داره** ، **ويقيّد** ، وكان من الظلم على حال معروفة ، وهو أحد اثنين رفع عضد الدولة العدوى عنهما ، أي إنّه أن لا تسمع بحقّهما دعوى في المحكمة ، راجع في ذيل تجارب الأمم ٤٧ قصّة التانىء الذي حبسه أسفار وكيف خرج يحجل في قيوده حتّى شكا حاله لعضد الدولة .

وفي السنة ٣٨٧ قبض المقلّد بن المسيّب العقيلي ، بالموصل ، على أخيه علي بن المسيب ، بأن نقب على بيته ليلاً ، ودخل عليه ، فأخذه وحصّله في خزانته ، **أي في حبسه بداره** ، فآستنفر أخوهما الحسن بن المسيب حلل العرب ، فنفر منهم عشرة آلاف رجل ، وحشد المقلّد جيشاً ، وقبل أن تنشب المعركة بين الأخوين ، قدمت رهيلة بنت المسيب ، أخت المقلد ونادت أخاها ، وهي في هودج ، وقالت له : يا مقلّد ، قد ركبت مركباً وضيعاً ، وقطعت رحمك ، وعققت آبن أبيك ، فراجع الأولى بك ، وخلّ عن الرجل ، وآكفف هذه الفتنة ، ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة ، فلان المقلد في يدها ، وأمر بفكّ قيد أخيه ، وأطلقه ، وردّ عليه جميع ما أخذ منه (تاريخ الصابي ٨/٣٠٠ ـ ٣٠٢) .

وفي السنة **٥٦٠** لما توفّي الوزير ابن هبيرة ، أخذ حاجبه ابن تركان ،

وحبس في دار أستاذ الدار (المنتظم ١٠/٢١١) .

وفي السنة ٥٧٣ بعث صاحب المخزن (وزير الداخلية) ببغداد ، إلى تتامش ليحضر عنده ، وكانت له عادة بزيارته في الليل يخلوان للحديث ، فحضر عنده ، فوكّل به في حجرة من دار صاحب المخزن ، وأنفذ إلى داره ، فأخذ الخيل والكوسات ، وكلّ ما في الدار ، وبقي موكّلاً به في دار صاحب المخزن (المنتظم ١٠/٢٧٤) .

٥ ـ حبس الامراء العباسيين بالجوسق في سامراء

في السنة **٢٥١** لما انحدر المستعين إلى بغداد ، وعجز أتراك سامراء عن إغرائه بالعودة ، عمدوا إلى المعتز ، وكان **هو والمؤيّد محبوسين في حجرة صغيرة في الجوسق** ، فأخرجوه من الحبس ، وأخذوا من شعره ، وبايعوه بالخلافة ، وبايعوا لأخيه ابراهيم المؤيّد ، بولاية العهد . (ابن الأثير ١٣٩/٧ ـ ١٤٢ والطبري ٢٨٤/٩ ، ٢٨٥) .

وفي السنة **٢٥٢** غضب المعتزّ على أخويه أبي أحمد ، والمؤيّد ، وهما شقيقان ، **فحبسهما في الجوسق** ، وقيّد المؤيّد ، وصيّره في حجرة ضيّقة ، وضربه خمسين مقرعة وحبس كنجور حاجب المؤيّد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة سوط ، وطوّف به على جمل (الطبري ٣٦١/٩ و٣٦٢) .

ولما قتل المهتدي ، وأرادوا مبايعة المعتمد ، أخرجوه **من محبسه في الجوسق** بسامراء ، وبايعوه (الطبري ٤٦٧/٩ وابن الأثير ٢٣٥/٧) .

وفي السنة **٢٥٢** سخط على كنجور ، من أعاظم القوّاد ، وكان قائماً بحماية الثغور ، فأمر بحبسه في الجوسق ، ثم حمل إلى بغداد مقيّداً ، ثم وجّه به إلى اليمامة ، فحبس هناك (الطبري ٣٧٢/٩) .

٦ ـ الحبس في دار الخلافة ببغداد

في السنة ١٣٩ اعتقل أبو جعفر المنصور عمّه عبد الله بن علي ، وحبسه في قصره ، في محبس خاصّ ، كان قد هيّأه له من قبل (الطبري ٧/٥٠١ و٥٠٢) .

أقول : لما بويع المنصور بالخلافة ، بعد وفاة أخيه السفّاح ، خرج عليه عمّه عبد الله بن علي وادّعى أنّ أبا العبّاس السفّاح ، طلب منه أن ينتدب لقتال مروان ، على أن يكون وليّ عهده ، وشهد له بذلك عدد من القوّاد ، فوجّه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني ، فاشتبك معه في معركة ضارية ، فانفلّ جيش عبد الله ، وفرّ عبد الله وقوّاده إلى البصرة ، حيث لجأ إلى أخيه سليمان بن علي ، فكتب أبو جعفر إلى سليمان وأخيه عيسى ، يطلب منهما إشخاص عبد الله إليه ، وأعطاهما من الأمان ما وثقا به ، فقدما على المنصور ، ومعهما أخوهما عبد الله ، وعامّة قوّاده ، وخواصّ أصحابه ومواليه ، فلما دخلا على أبي جعفر وأعلماه بحضور عبد الله ، وسألاه أن يأذن له بالدخول ، أنعم لهما بذلك ، وشغلهما بالحديث ، وكان قد هيّأ لعبد الله محبساً في قصره ، وأمر أن يصرف إليه ساعة وصوله ، ففعل به ذلك ، ونهض أبو جعفر من مجلسه ، وقال لعيسى وعلي : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا لم يجداه ، فعلما أنّه قد حبس ، فعادا إلى أبي جعفر ، فحيل بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت سيوف من حضر من أصحاب عبد الله وحبسوا ، وكان أحدهم خفاف بن منصور ، حذّرهم غدر المنصور ، فلم

يسمعوا ، فلما رأى دلائل الغدر ، قال لهم : إن أطعتموني شددنا شدّة واحدة على أبي جعفر ، فلا يحول بيننا وبينه حائل ، حتى نأتي على نفسه وننجو بأنفسنا ، فعصوه ، فلما أخذت سيوفهم ، جعل خفاف يضرط في لحيته (يعفط) ويتفل في وجوه أصحابه ، ثم أمر أبو جعفر فقتل بعضهم في حضرته ، وبعث بالبقيّة إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم هناك ، أمّا فيما يتعلّق بمصير عبد الله بن علي ، فإن المنصور قتله في السنة ١٤٧ وان كان المؤرّخون قد اختلفوا في كيفية القتل ، فمن قائل انّ المحبس الذي كان المنصور قد هيّأه له ، كان قد بناه على أساس من الملح ، وانّه أجرى إليه الماء ليلاً فآنهدم على عبد الله وقتله ، والى ذلك ذهب أكثر المؤرّخين ، ومن قائل انّه قتله خنقاً ، وإليه ذهب صاحب مروج الذهب ٢٤١/٢ ولعلّه جمع بين القتلتين بأن خنقه ثم هدم عليه البيت ، وكان عبد الله سفّاكاً للدماء ، غدّاراً ، راجع نتفاً من أخبار غدره وسفكه للدماء ، في هذا الكتاب ، في الباب الحادي عشر « القتل بآلة من آلات القتل » الفصل الأول « القتل بالسيف » القسم الثالث « القتل غدراً » .

في السنة **١٩٦** وثب الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ، أحد قواد الأمين ، بالأمين ، فأخرجه من قصر الخلد ، **وحبسه في قصر أبي جعفر بالمدينة** . (الطبري ٤٢٩/٨) .

وفي السنة **٢٩٣** أخرج المكتفي مضاربه إلى الشمّاسيّة (الصليخ) على أن يخرج إلى الشام بسبب الخليجي ، ثم وردت الكتب بأن القوّاد في مصر حاربوا ابن الخليجي ، وهزموه ، وأسروه ، ووجّهوا به إلى الحضرة ، فأدخل إلى مدينة السلام من باب الشمّاسيّة ، وقدّم بين يديه واحد وعشرون رجلاً على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، فلما وصل الخليجي إلى المكتفي ، نظر إليه ، وأمر بحبسه في الدار (دار الخلافة) ، وأمر بحبس الآخرين في الحبس الجديد (الطبري ١٢٨/١٠ و١٢٩) .

وذكر قاضي القضاة أبو عمر ، أنّه لما بويع ابن المعتز ، ثم انتقضت بيعته ، أخذ مع أبي المثنّى القاضي ، ومحمد بن داود الجرّاح ، **وحبسوا في دار الخلافة** ، في ثلاثة أبيات متلاصقة ، وأنّ محمد بن داود الجراح ، وأبا المثنّى القاضي ، ذبحا أمامه في صحن الدار واحداً بعد الآخر ، فلما أصبح تخلّص من الموت ، ولكنّه أبصر مقدّم لحيته وقد آبيضّت فيه طاقات شعر مما لاقى في ليلته تلك ، راجع تفصيل القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، في القصّة رقم **١٧٩** .

وفي السنة **٢٩٦** لما فسد أمر ابن المعتز ، إستتر علي بن عيسى ومحمد بن عبدون ، فكبس عليهما ، وأخرجا ، ووكّل بهما **في دار الخلافة** (تجارب الأمم ١/٧) .

وفي السنة **٢٩٧** أدخل إلى بغداد طاهر ويعقوب، ابنا محمد بن عمرو بن الليث الصفار ، أسيرين ، في قبّة على بغل ، وقد كشف جلالها ، **وحبسا في دار السلطان (دار الخلافة)** . (تجارب الأمم ١/١٦) .

وفي السنة **٣٠١** قبض على الحلّاج بالسوس ، وأدخل بغداد ، مشهراً على جمل فصلب وهو حيّ ، وصاحبه خال ولده ، في الجانبين جميعاً ، وحبس الحلّاج وحده **في دار السلطان** . (تجارب الأمم ١/٣٢) .

وفي السنة **٣٠٣** حمل الحسين بن حمدان ، من باب الشمّاسيّة إلى دار السلطان مصلوباً على نقنق ، منصوباً بأعلى ظهر فالج ، وابنه مشهور على جمل آخر ، والبرانس على رؤوسهما ، وسار بين يديه الأمير أبو العباس (الراضي) والوزير علي بن عيسى ، والقوّاد ، والجيش والفيلة ، فلما وصلوا إلى دار السلطان ، وقف الحسين بين يدي المقتدر ، ثم أمر بتسليمه إلى زيدان القهرمانة ، فحبس عندها **في دار السلطان** . (تجارب الأمم ١/٣٧ و٣٨) .

وفي السنة **٣١١** أخرج ابن الفرات من حجرته التي كان معتقلاً فيها **بدار السلطان** ، عند زيدان القهرمانة ، ووضع مكانه علي بن عيسى حيث عزل واعتقل ، ووزّر ابن الفرات وزارته الثالثة . (تجارب الأمم ١ /٨٨) .

ولما خاف حامد بن العباس ، سطوة غريمه ابن الفرات وزير المقتدر ، جاء إلى دار الخلافة ، وكلّم مفلح ، أحد خدم المقتدر ، بأن يكلّم الخليفة في أن يعتقل حامد **في دار الخلافة** كما اعتقل فيها علي بن عيسى ، وأن لا يسلم إلى الوزير ابن الفرات . (تجارب الأمم ١ /٩٧) .

وكان في دار الخلافة ، في عهد المقتدر ، **دارٌ خاصة** ، **تشرف عليها زيدان القهرمانة** ، **يحبس فيها الوزراء** ، **والقوّاد** ، **وكبار رجال الدولة** ، وقد حبس فيها في السنة **٣٠٤** القائد الحسين بن حمدان التغلبي وولده ، والوزير أبو الحسن علي بن عيسى ، والأمير يوسف بن أبي الساج ، كما اعتقل فيها في السنة **٣٠٦** الوزير أبو الحسن بن الفرات ، وظلّ معتقلا فيها خمس سنين ، واعتقل فيها في السنة **٣١٤** الوزير الخصيبي ، وفي السنة **٣١٦** الوزير علي بن عيسى ، ولما عزل المقتدر ، وأعيد إلى الخلافة ، حمل من دار مؤنس إلى دار زيدان القهرمانة (تجارب الأمم ١ /٣٨ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٨) .

وفي السنة **٣١٢** لما اعتقل الوزير أبو الحسن بن الفرات ، أحدر إلى دار السلطان (**دار الخلافة**) ، أما أولاده وكتّابه ، فاعتقلوا في **دار نصر الحاجب** (تجارب الأمم ١ /١٢٦) . ثم احتجّ القواد على بقائه في دار الخلافة ، **فحبس في دار شفيع اللؤلؤي** (تجارب الأمم ١ /١٢٧) . وكان المحسّن ، ابن الوزير ، قد استتر ، ثم قبض عليه ، فحبس في دار الوزراة بالمخرّم (العلوازية) (تجارب الأمم ١ /١٣٢) .

ولما عزل أبو العباس الخصيبي في السنة ٣١٤ **حبس في دار الخلافة عند زيدان ، ثم حمل إلى ثمل القهرمانة ، فاعتقل عندها** . (تجارب الأمم ١٥٧/١) .

وفي السنة **٣١٦** عزل الوزير علي بن عيسى ، وصار إليه القائد هارون بن غريب ، فاعتقله وأخاه عبد الرحمن بن عيسى ، وحملا إلى دار السلطان ، فسلّم علي بن عيسى **إلى زيدان القهرمانة ، واعتقل عبد الرحمن عند نصر** . (تجارب الأمم ١٨٥/١) .

وفي السنة ٣١٧ خلع المقتدر ، ونصب أخوه القاهر خليفة بدلاً منه ، وأخرج مؤنس علي بن عيسى من الحبس من دار السلطان (أي دار الخلافة) ومن المحبوسين الذين أخرجهم من دار الخلافة ، أبو القاسم الحسين بن روح ، وكان في الحبس منذ خمس سنين (تجارب الأمم ١٩٣/١ و١٩٥) ثم انقلب الحال وعاد المقتدر إلى الخلافة ، فأخذ القاهر يبكي ويقول : يا أمير المؤمنين ، نفسي ، نفسي ، فطمأنه المقتدر ، وقال له : أنا أعلم أنّه لا ذنب لك ، وأنّك قهرت ، ولو لقّبوك المقهور ، لكان أولى من تلقيبك بالقاهر ، ثم انّ المقتدر حبس القاهر عند والدته (والد المقتدر) فأحسنت إليه ، وأكرمته ، ووسّعت عليه في النفقة ، وآشترت له السراري والجواري للخدمة ، وبالغت في إكرامه والإحسان إليه بكلّ طريق (ابن الأثير ٢٠٧/٨) .

أقول : راجع في هذا الكتاب ، في الباب الخامس ، في القسم الثاني من الفصل الثاني (التعليق) ما جازى به هذا العاقّ اللئيم ، أمّ المقتدر .

وفي السنة **٣١٩** عزل المقتدر وزيره سليمان بن الحسن بن مخلد ، وقبض عليه وعلى أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني ، وحملا إلى دار السلطان (دار الخلافة) فاعتقلا فيها (تجارب الأمم ٢١١/١) .

ومما يشبه الحبس ، ما عاناه أحد عرفاء الفراشين في دار المقتدر ،

وكان مكلّفاً برشّ الخيش في مجلس أعدّ للمقتدر ، فلما رشّ الخيش ، أغفى في إحدى زوايا المكان ، ولم ينتبه إلاّ والمقتدر في مجلسه ، وحوله الجواري ، وهو يشرب ويستمع للغناء ، وعلم العريف أنّه إن ظهر قتل ، فصعد إلى باطن بادهنج (بادكير) في الموضع ، وظلّ فيه إلى أن انتهى المجلس ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٨٠ .

وفي السنة ٣٢١ ضيّق القوّاد على القاهر ، ونقل علي بن يلبق ، المحبوسين **في دار السلطان** (**دار الخلافة**) ، إلى داره ، ومنهم السيّدة أمّ المقتدر (تجارب الأمم ١/ ٢٦٠) .

ولما قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل ، **وضع في محبسه بدار السلطان** ، الفضل بن جعفر ، الذي كان وزيراً للمقتدر . ((تجارب الأمم ١/ ٢٨٧) .

وفي السنة ٣٢١ بعث القاهر خادمه سابور ، فقبض على وزيره محمد بن القاسم ، وأخذه وأخذ المحبوسين في داره ، **فنقلهم إلى دار السلطان** (**دار الخلافة**) . (تجارب الأمم ١/ ٢٧٢) .

ولما قتل القاهر في السنة ٣٢١ القائد مؤنس ، أرسل رأسه إلى أبي العباس بن المقتدر (الراضي) ، **وكان في حبس القاهر** . (تجارب الأمم ١/ ٢٦٨) .

وفي السنة ٣٢٢ تحرّك الغلمان الساجيّة والحجريّة لخلع القاهر ، لأنّهم بلغهم إنّه قد بنى لهم المطامير ليحبسهم فيها ، فحلف لهم القاهر ، أنّ ما يبنيه ، ليس بمطامير وإنّما هي حمامات روميّة للحرم . (تجارب الأمم ١/ ٢٨٦) .

وكان القاهر قد اعتقل طريف السبكري ، **وحبسه في دار السلطان** (دار

الخلافة) ، فلما تحرّك الغلمان على القاهر ، واعتقلوه ، فتحوا محبس طريف السبكري ، وكسروا قيده ، وأطلقوه ، وأدخلوا القاهر إلى موضعه ، وحبسوه فيه ، ووكّلوا بالباب جماعة من الساجيّة والحجريّة (تجارب الأمم ١/ ٢٨٩) .

ولما خلع القاهر في السنة ٣٢٢ ، سألوا عن المكان الذي كان فيه أبو العباس بن المقتدر ، وكان هو ووالدته محبوسين ، فأخرجوه من السجن ، وأجلسوه ، وبايعوه بالخلافة ، ولقّب بالراضي بالله . (ابن الأثير ٨/ ٢٨٢) .

ولما بويع الراضي في السنة ٣٢٢ ، استوزر ابن مقلة، فأطلق كلّ من كان في حبس القاهر من كاتب وجندي (يريد المدنيّين والعسكريّين) (تجارب الأمم ١/ ٢٩٥) .

وفي السنة ٣٢٤ لما عزل الراضي ، عبد الرحمن بن عيسى وزيره ، اعتقله وأخاه أبا الحسن علي بن عيسى ، وحبسه في دار الخلافة ، فتوسّط الأمر أبو محمد الصلحي وكلّم الراضي ، فأمر بنقله إلى دار الوزير . (الوزراء ٣٦٠) .

أقول : ذكر صاحب رسوم دار الخلافة (ص ٦٠ و٦١) انّه لما عزل الراضي وزيره عبد الرحمن بن عيسى عن وزارته ، اعتقل أخاه علي بن عيسى في دار الخلافة ، فتوسّط أبو محمد الحسن بن عمر الصلحي ، في أمره ، وكلّم الراضي فوجده مغتاظاً من علي بن عيسى ، وقال له : إنّه ما خاطبني إلاّ قال لي : واك (أصلها ويلك ، خفّفت إلى والك ، ثم خفّفت إلى واك) فهل يتلقّى الخلفاء بمثل هذا ؟ فما زال الصلحي به حتى أمر بنقله إلى الاعتقال في دار الوزارة ، حيث صحّح (أي أدّى) ما أخذ به خطّه (أي ما صودر عليه) وصرف إلى منزله .

وفي السنة **٣٢٩** دخل الأمير ابن رائق بغداد ، وظفر بكورتكين ، **فحبسه بدار الخليفة** . (ابن الأثير ٨/٣٧٧) .

وفي السنة **٣٣٠** اعتقل كورنكيج ، رئيس الجند الديلم ، **وحمل إلى دار السلطان** (دار الخلافة) ، ولما آحتلّ أبو الحسين البريدي بغداد ، أخذ كورنكيج وقيّده ، وأصدره إلى أخيه أبي عبد الله ، فكان آخر العهد به . (تجارب الأمم ٢ / ٢٢ و٢٥) .

وفي السنة **٣٨١** تقدم الى الخليفة الطائع ، وهو في مجلسه ، أصحاب بهاء الدولة البويهي ، وأنزلوه من سريره ، ولفّوه في كساء ، وحملوه في زبزب ، حيث اعتقل في دار المملكة (المخرّم) ولما استقرّ القادر في الخلافة ، سلّم إليه الطائع ، فأنزله حجرة من خاصّ حجره ، ووكّل به من يخدمه (ويحفظه) من خواصّ خدمه ، وأحسن ضيافته ، وكان يطلب الزيادة في الخدمة ، كما كان أيّام الخلافة ، فيأمر له القادر بذلك ، وحكي عنه إنّ القادر أرسل إليه طيباً ، فقال : من هذا يتطيّب أبو العبّاس ؟ يعني القادر ، قالوا : نعم ، فقال : قولوا له عنّي ، في الموضع الفلاني كندوج فيه طيب كنت أستعمله ، فليرسل إليّ بعضه ، ويأخذ الباقي لنفسه ، ففعل ذلك ، وأرسل إليه القادر يوماً عدسيّة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : عدسيّة ، فقال : عدس وسلق ، أو قد أكل أبو العبّاس منها ؟ قالوا : نعم ، قال : قولوا له عنّي ، لما أردت أن تأكل عدسيّة لم اختفيت ؟ فما كانت العدسيّة تعوزك ، ولم تقلّدت هذا الأمر ؟ فأمر القادر أن تفرد له جارية من طبّاخاته تطبخ له ما يلتمسه كلّ يوم (ذيل تجارب الأمم ٢٠٣ و٢٤٥ وابن الأثير ٩/٩٣) .

وفي السنة **٤٩٦** قبض على وزير الخليفة ، سديد الملك أبي المعالي ، وحبس في دار بدار الخلافة ، وكان أهله قد وردوا عليه من إصبهان ، فنقلوا إليه ، وكان محبسه جميلاً ، وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة ، وأطلق في السنة **٤٩٧** من الحبس (ابن الأثير ١٠/٣٦٢ و٣٧٧) .

وفي السنة **٥٣١** استوزر الحافظ العلوي ، صاحب مصر ، رضوان بن الولخشي ، ولقّبه الملك الأفضل ، وعزله في السنة **٥٣٣** ففرّ إلى الشام ، وعاد في السنة **٥٣٤** مع عسكر ، فقاتل ، وانكسر ، فأخذه الحافظ ، وحبسه في قصره ، وجمع بينه وبين عياله في القصر ، فبقي محبوساً في القصر إلى السنة **٥٤٣** ، فنقب الحبس وخرج ، وجمع جمعاً ، وحارب ، فانكسر ، وعمد أحد أصحابه إليه ، فضرب رأسه بالسيف ، فقتله ، وحمل رأسه إلى الحافظ (ابن الأثير ١١/٤٩) .

ولما مات المستنجد في السنة **٥٦٦** ، كان ولده أبو محمد الحسن ، محبوساً ، على سنّة بني العباس ، في حبس الأولاد والأقارب ، فعمد أستاذ الدار عضد الدين ، واستخرج أبا محمد الحسن من حبسه ، وشرط عليه شروطاً ، منها أن يكون هو الوزير ، وأن يكون ولده أستاذ الدار ، وفلان أمير العسكر ، وفلان كذا وكذا ، فالتزم له بجميع ما طلب ، وحلف له على ذلك أيماناً مغلظة ، فبايعه أستاذ الدار ، وبايعه الآخرون من الحاشية في داخل الدار البيعة الخاصة ، ولقب بالمستضيء (الفخري ٣١٨ و٣١٩) .

وفي السنة **٥٧٥** توفّي الخليفة المستضيء ، وخلفه ولده الناصر ، فقبض على ظهير الدين بن العطّار ، وكان متمكّناً في دولة المستضيء ، ووكّل به في داره ، **ثم نقل إلى التاج ، وقيّد ، ووكّل به** . (ابن الأثير ١١/٤٥٩) .

وفي السنة ٦٠١ سخط الخليفة الناصر العباسي على ولده محمد (الظاهر فيما بعد) وعزله عن ولاية العهد ، وألزمه أن يخلع نفسه ، فخلعها وأشهد على نفسه ، وحبسه في دار من دور الخلافة مبيّضة الأرجاء ، حتى ضعف بصره ، وكان حرّاسه يفتّشون ما يرد إليه حتى اللحم والطعام ، وكان أبوه لما عزله عهد بولاية العهد إلى ولده الثاني أبي الحسن علي ، وحدث أن توفي أبو الحسن علي في السنة ٦١٨ فأعيد الظاهر إلى ولاية العهد ، ولما

توفّي الناصر في السنة ٦٢٢ خلفه ولده الظاهر ، وهو ابن ٥٢ سنة (الوافي بالوفيات ٢/٩٦ و٩٧) .

وفي السنة ٦٠٤ قبض الناصر العباسي ، على وزيره نصير الدين الرازي، وحبسه في دار بدار الخلافة ، تحت الاستظهار ، حتى مات في الحبس في السنة ٦١٧ (الفخري ٣٢٦) .

وفي السنة ٦٠٦ عزل نائب الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن امسينا الواسطي ، وأغلق بابه ، ونقل من دار الوزارة الى **دار الخلافة العزيزة ، ليلاً ، وحبس في باطنها** ، وكان آخر العهد به . (الجامع المختصر ٢٨٥) .

وفي السنة ٦٢٩ توفّي مؤيّد الدين القمّي ، وزّر للناصر العباسي ، ثم لولده الظاهر ، ثم لولده المستنصر ، وقبض عليه المستنصر ، وحبسه في باطن دار الخلافة مدّة ، فمرض ، فأخرج فمات (الفخري ٣٢٨) .

وكان الخلفاء العباسيّون ، يحبسون إخوانهم ، وأعمامهم ، وأقرباءهم ، على تكرمة ، في دور يحفظون فيها مع أفراد عائلتهم ، من زوجات وسراري ، وبنين وبنات ، وكان مقرّ هؤلاء الأمراء أوّل الأمر ، دوراً في الحريم الطاهري ، بالجانب الغربي ، وكان الحريم الطاهري ، محاطاً بسور يحرسه قوم فرضت عليهم أوامر مشدّدة بأن لا يدعو أحداً من الأمراء يبارحه إلا بأمر من الخليفة أو من الأمير النافذ الحكم في الدولة (القصة ١٦٣ و١٦٦ من كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، وتجارب الأمم ١/٣ ، ١٩٣ ، ومعجم البلدان ٢/٢٥٥ والتكملة ٥٩ والفخري ٣٣٣) .

ثم نقل مقر هؤلاء الأمراء ، إلى دور في داخل دار الخلافة ، لتكون مراقبتهم أسهل ، والسيطرة على تصرفاتهم أقوى ، ونورد على سبيل المثال : أنّ الخليفة المستظهر لما توفّي ، واستخلف ولده المسترشد ، فرّ أخوه الأمير

أبـو الحسن إلى الحلّة في السنة ٥١٢ ، واستقـرّ ضيفـاً عنـد أميـرهـا دبيس ، فحاول المسترشـدربمختلف الطرق أن يستعيـد أخاه ، ولمـا استعاده حبسـه ، وقتل من أعانه على الهرب ، وشدّد في التضييق عليه ، حتى إنّه سدّ عليه باب حبسـه ، وأبقى منه مـوضعاً يكفي لإيصـال الحوائـج إليـه ، وفي السنـة ٥١٤ طالب السلطان محمود السلجـوقي ، الخليفة المستـرشد بـأن يفرج عن الأميـر أبي الحسن ، فبـذل لـه المستـرشـد ثلثمـائـة ألف دينـار ، ليسكت عن هـذه المطالبة (المنتظم ١٩٨/٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨) .

ولما فتح التتر بقيادة هولاكو بغـداد ، أخرجـوا الأمراء العبـاسيّين من دار الخـلافة ، من الـدور التي كانـوا معتقلين فيها ، وهم إخـوة الخليفة وأعمـامـه وأقاربه ، وقتلوهم جميعاً .

٧ ـ الحبس في القلاع والحصون

أراد المتوكّل ، أن يختبر الطبيب حنين بن اسحاق ، فأحضره ، ووصله ، واكرمه ، وأمره أن يركّب دواءً سامّاً ليقتل به عدوّاً له ، فاعتذر حنين بأنّه لم يتعلّم صنع السموم فتهدّده ، فأصرّ على قوله ، فحبسه في إحدى القلاع ، وأحضره بعد سنة ، وراوضه من جديد في صنع الدواء السامّ ، فأصرّ على الاعتذار ، فاقتنع المتوكّل بشرف حنين وذمّته ، وخلع عليه وأكرمه . (تاريخ الحكماء ١٧٥ ـ ١٧٧) .

واتّهمت فاطمة بنت أحمد بن علي الهزارمردي الكردي ، زوجة ناصر الدولة ، أحد عمّالها بخيانة في مالها ، **فاعتقلته في إحدى القلاع** ، ثم كتبت تأمر بقتله ، ولم يكن أحد في القلعة يحسن القراءة والكتابة غيره ، فلما قرأ في الكتاب الأمر بقتله ، أغفل قراءته ، ثم احتال في الهرب ، راجع تفصيل ذلك في القصّة ١٧٠ من كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

وفي السنة ٣٥٦ قبض أبو تغلب الحمداني ، على أبيه ناصر الدولة ، باتّفاق مع أمّه فاطمة بنت أحمد الكرديّة ، وأخيه أبي البركات ، وأخته جميلة ، وحبسه ، فلما فعل ذلك اختلف الإخوة فيما بينهم ، وتفرّقت كلمتهم وانتشر أمرهم ، ثم عثروا على مكاتبة من أبيهم لأولاده الآخرين ، فتحرّزوا منه ، ونقلوه إلى قلعة كواشي (أردمشت) (ابن الأثير ٨/٦٣١ ـ ٦٣٤) ، وسيّر أبا تغلب أخاه محمداً لمحاربة أخيهما حمدان ، ثم بلغه أنّ محمداً قد

خامر عليه مع حمدان ، فأحضره ، واستصفى أمواله ، واعتقله في قلعة أردمشت ، ثم كتب يأمر بقتله ، فتأخرّ تنفذ ذلك حتى تخلّص محمد ، وحلّ محلّ أخيه أبي تغلب في الإمارة والحكم ، في قصّة طريفة ، راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف رقم القصة ١٩٦ .

وفي السنة ٣٣٦ خالف كوركير القائد الديلمي ، على معزّ الدولة بن بويه ، فسار إليه الصيمري ، وزير معزّ الدولة ، وقاتله ، وأسره ، فحبسه معز الدولة ، بقلعة رامهرمز (ابن الأثير ٨/٤٦٩) .

وفي السنة ٣٣٧ سار السلار المرزبان بن محمد ، الى الري ، ليطرد ركن الدولة عنها ، فحاربه ركن الدولة ، وأسره ، مع ثلاثة عشر قائداً من قوّاده ، وحمله إلى القلعة بسميرم ، وحبسه فيها (تجارب الأمم ٢/١١٥) .

وفي السنة ٣٤٢ تخلّص المرزبان ، من حبس ركن الدولة ، وكان ركن الدولة قد حبسه في قلعة سميرم ، فسعت أمّ المرزبان ، وهي بنت جستان بن وهسوزان الملك ، ووضعت جماعة للسعي في تخليص ابنها ، فقصدوا قلعة سميرم ، وأظهروا أنّهم تجّار ، وإنّ المرزبان قد أخذ منهم أمتعة نفيسة ولم يؤدّ إليهم ثمنها، وآجتمعوا بمتولّي قلعة سميرم ، واسمه شير أسفار، وعرّفوه قصّتهم ، وسألوه أن يجمع بينهم وبين المرزبان ، ليحاسبوه ، ويأخذوا خطّه إلى والدته ، لتؤدّي إليهم حقّهم ، فرقّ لهم أسفار ، وجمعهم بالمرزبان ، فطالبوه ، فأنكر ، فغمزه بعضهم ، ففطن ، وآعترف لهم ، وآستمهلهم حتى يتذكّر ، فأقاموا في القلعة ، وبذلوا الأموال لشير أسفار والأجناد ، وضمنوا لهم الأموال الجليلة، إذا حصلوا على مالهم بذمّة المرزبان فصاروا يدخلون الحصن بغير إذن ، وكان لشير أسفار غلام أمرد جميل الوجه يحمل ترسه وزوبينه ، فتظاهر المرزبان ، بأنّه قد عشق ذلك الغلام ، وأعطاه مالاً كثيراً ، فواطأه على ما يريد ، وأوصل إليه مبارد ، فبرد قيده ، وأصبح يتمكّن من إخراجه من ساقه متى شاء واتّفق المرزبان وأصحابه والغلام على

قتل شير أسفار في يوم عيّنوه ، وكان شير أسفار يقصد المرزبان كلّ أسبوع ذلك اليوم يتفقّده وقيوده ، فلما كان يوم الموعد دخل أحد أولئك التجار فقعد عند المرزبان ، وجلس آخر عند البوّاب ، وأقام الباقون بباب الحصن ينتظرون الصوت ، ودخل أسفار إلى المرزبان ، فأخرج ساقه من القيد ثم أخذ الترس والزوبين من الغلام ، وقتل شير أسفار ، وثار التاجر الذي عند البوّاب فقتله ، ودخل الذين كانوا بباب الحصن إلى المرزبان، وأمّن المرزبان الباقين من جند القلعة وأخرجهم ، ثم لحق بأمّه وأخيه (ابن الأثير ٨/٥٠٢ و٥٠٣) .

وفي السنة **٣٤٤** هجم ابن ماكان على إصبهان ، واستولى عليها ، فحاربه ابن العميد وزير ركن الدولة ، وأسره ، وجميع قوّاده ، وحملهم إلى القلعة بخان لنجان ، واعتقلهم بها (تجارب الأمم ٢/١٥٩ و١٦٠) .

وفي السنة **٣٦٤** خالف أهل كرمان على عضد الدولة ، وأمّروا قائداً تركيّاً ، اسمه يوزتمر ، وكانت الفتنة بتحريض من طاهر بن الصمّة ، من الجرومية ،فأصبح طاهر وزيراً ليوزتمر، فكتب عضد الدولة إلى قائده المطهّر بن عبد الله بقصد كرمان ، فحصر يوزتمر في حصن في وسط مدينة بم ، فطلب يوزتمر الأمان ، فأمّنه ، فخرج ومعه طاهر ، فأمر المطهّر بطاهر فأشهر ثم ضرب عنقه ، أما يوزتمر ، فرفعه إلى بعض القلاع ، فكان آخر العهد به (ابن الأثير ٨/٦٥٥ و٦٥٦) .

وفي السنة **٣٨٣** تخلّص أولاد بختيار البويهي من محبسهم في قلعة خرشنة ، وكان عضد الدولة قد حبسهم فيها بعد أن قتل أباهم ، فلما ولي شرف الدولة بن عضد الدولة ، أحسن إليهم وأطلقهم ، وأنزلهم بشيراز ، وأقطعهم ، فلما مات شرف الدولة ، حبسوا في قلعة ببلاد فارس ، فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم ، فأفرجوا عنهم ، واجتمع عليهم جمع ، فسيّر إليهم صمصام الدولة جنداً ، فتحصّن بنو بختيار وكانوا ستّة ، ومن معهم من الديلم ، بالقلعة ، فاحتال قائد الجيش فملك القلعة ، وأسر أولاد بختيار ،

فأمر صمصام الدولة ، فقتل اثنان منهم ، وأعيد الأربعة الباقون إلى الحبس في قلعة الجنيد (ابن الأثير ٩/٩٦ ذيل تجارب الأمم ٢٤٨ و٢٤٩) .

وكان الوزير أبو مروان عبد الملك الخولاني ، أثيراً عند المنصور ابن أبي عامر ، ولكنّ المظفر بن المنصور اتّهمه ، فاعتقله في برج من ابراج قلعة طرطوشة ، حتى مات في الاعتقال (نفح الطيب ١/٥٨٦ و٥٨٧) .

وقبض عضد الدولة على أبي الوفا طاهر بن محمد ، واعتقله بقلعة الماهكي ، فلما توفّي عضد الدولة ، كتب الوزير ابن سعدان ، الى الموكّل بالقلعة ، فقتله ، وأنفذ رأسه في مخلاة ، إلى ابن سعدان ، فشاهده ، وتقدّم بدفنه ، فدفن تحت مسناة داره على دجلة ، بالجانب الشرقي ، في مشرعة باب الطاق (الصرّافية الآن) فلما قتل ابن سعدان ، رمي برأسه وبدنه في دجلة ، فانحدر الرأس إلى مشرعة المخرّم (العلوازية الآن) ودفن تحت مسنّاة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد (الهفوات النادرة ٢١٧) .

وفي السنة ٣٩٠ انقرضت الدولة السامانية ، وكان آخر أمرائها عبد الملك بن نوح ، تولّى الإمارة في السنة ٣٨٩ فقصده ايلك خان التركي وآسمه أبو نصر أحمد بن علي ، ولقبه شمس الدولة ، فاقتحم عليه مدينة بخارى ، فاستتر عبد الملك ، وبثّ عليه الطلب ، حتى ظفر به فحبسه ببافكند حتى مات ، وحبس معه أخاه أبا الحارث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله ، وأخويه أبا إبراهيم إسماعيل وأبا يعقوب إسحاق ، وعمّيه أبا زكريا وأبا سليمان ، وغيرهم من آل سامان ، وأفرد كلّ واحد منهم بحجرة ، وآخر ملوكهم هو عبد الملك بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ، كلّهم ملكوا (ابن الأثير ٩/١٢٩) .

وفي السنة ٣٩١ أعلن القادر العباسي البيعة بولاية العهد لولده أبي الفضل ، ولقّبه الغالب بالله ، وسبب ذلك إنّ أبا عبد الله الواثقي ، من أولاد

الواثق ، وكان من أهل نصيبين ، جاء إلى بغـداد ، ثم قصد خـراسان ، وعبـر إلى ما وراء النهر ، وقصـد هارون بن ايلك بغـراخان ، ملك التـرك ، وصحبه أبو الفضل الفقيه ، وادّعى الفقيه إنّـه رسول الخليفـة ، وانّه يـأمر بمـايعة هـذا الواثقي بولاية العهد ، فأجابه هارون خان ، وبايعه ، وخطب له ببلاده ، ونفق عليه ، فبلغ القادر ذلـك ، فعظم عليـه ، وراسل هـارون خان في أمـره ، فلم يصـغ إلى مراسلته ، ولما توفّي هارون ، وخلفه أحمد قراخان ، كاتبه الخليفة في معناه ، فأمر بإبعاده ، وحينئذ بايع الخليفة لولي عهده ، وأما الواثقي ، فإنّه قصد بغداد ، فـطلب ، وفرّ إلى البصـرة ، ثم إلى فارس ، فكـرمان ، ثم إلى بـلاد التـرك ، وراسـل الخليفـة الملوك في طلبـه ، فسـار إلى خـوارزم ، ثم فارقها ، فأخذه يمين الدولة ، فحبسه في قلعة ، إلى أن تـوفي بها (ابن الأثيـر **١٦٥/٩** و١٦٦) .

وفي السنـة **٤٤١** اختلف قرواش بن المقلّد ، الملقّب معتمـد الدولـة ، مع أخيه زعيم الدولة بركة أبي كامل ، واقتتـلا ، ثم فارق قـرواش أصحابـه ، فضعف أمره ، فجاء إليه أخوه بركة ، واجتمـع به ، ونقله إلى حلّتـه ، وأحسن عشرته ، وأنفذه إلى الموصـل محجوراً عليـه ، وجعل معـه بعض زوجاتـه في دار ، ثم جاء إليه ، وقبّل يده ، وصالحه ، وأعاده إلى التصرّف ، ثم عاد أخوه فمنعه من التصرّف ، وفي السنة **٤٤٣** توفّي بـركة ، وتـأمّر خلفـاً له قـريش بن بدران بن المقلّد ، فنقل عمّه قرواش إلى قلعة الجراحية من اعمال الموصل ، فـاعتقـل بهـا ، وتـوفي السنـة **٤٤٤** (ابن الأثيـر **٥٥٤/٩** ، **٥٦٤** ، **٥٧٩** ، **٥٨٧**) .

وفي السنة **٤٤٤** قبض عيسى بن خميس بن مقن ، على أخيه أبي غشام صاحب تكريت ، وسجنه في سرداب بـالقلعة ، واستـولى على تكريت ، وفي السنة **٤٤٨** مات عيسى ، وكـانت زوجته أميـرة بنت غريب بن مقن ، فخـافت أن يملك أبو غشام البلد ، فقتلته (ابن الأثير **٥٩١/٩** ، **٦٢٧**) .

ولما قتل طغرل في السنة ٤٤٤ تذاكر قوّاد الدولة الغزنويّة ، ميمن يولوه للسلطنة ، فأشاروا بولاية فرّخ زاد بن مسعود بن محمود ، **وكان محبوساً في إحدى القلاع** ، وأحضر ، وسلطن . (ابن الأثير ٥٨٤/٩) .

وفي السنة ٤٤٧ دخل السلطان طغرلبك بغداد ، فوثب العامّة بأتباعه ، فاتّهم الملك الرحيم البويهي ، وطلب حضوره ، وبعث له أماناً ، فقصده الملك الرحيم ، ومعه رسل من الخليفة ببراءته مما حصل ، فلما وصلوا إلى خيامه ، نهبهم الغزّ ، ونهبوا رسل الخليفة ، وأخذوا دوابّهم وثيابهم ، ولما دخل الملك الرحيم ، خيمة السلطان ، قبض عليه ، **وحبسه بقلعة السيروان ، ثم نقله إلى قلعة الري** ، حيث مات سنة ٤٥٠ (ابن الأثير ٦١٢/٩ و٦٥٠) .

وكانت أرملة فخر الدولة البويهي ، هي الحاكمة صاحبة الأمر والنهي في جميع بلاد الريّ والجبل ، والإسم لولدها مجد الدولة ، وأراد مجد الدولة أن يسيّر أمور الدولة بنفسه ، فضايق والدته وحجر عليها ، فهربت منه إلى بدر بن حسنويه ، واستعانت به فأعانها بجيش طرد مجد الدولة ، فنصبت بدلاً منه أخاه شمس الدولة ، وعادت هي إلى إدارة الحكم في البلاد ، **وقيّدت مجد الدولة ، وسجنته في القلعة** ، ثم رأت تغيّراً من شمس الدولة ، ورغبة منه في تسيير الأمور بنفسه ، فعزلته ، وأعادت ولدها مجد الدولة إلى الملك ، وصارت هي تدبّر الأمر ، وتسمع رسائل الملوك ، وتجيب عليها ، فاستنجد شمس الدولة ببدر بن حسنويه ، فأنجده بجيش لم يصنع شيئاً (ابن الأثير ٢٠٣/٩ و٢٠٤) .

وكان شرف الدولة مسلم بن قريش ، أمير بني عقيل (ت ٤٧٨) قد قبض على أخيه إبراهيم ، واعتقله في إحدى القلاع ، فلما أراد المضيّ إلى خراسان ، إلى السلطان ألب أرسلان ، استدعى مستحفظ القلعة ، وقال له : أنا ماضٍ إلى هذا السلطان ، ولستُ أعلم ما يكون منّي هناك ، فإن أنا

هلكتُ ، أو قبض عليّ ، فأطلق أخي إبراهيم ، ليقوم مقامي في إمارة العشيرة (الهفوات النادرة ٢٤٧) .

وأمر السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، باعتقال عزيز الدين المستوفي ، متولّي الخزانة ، **فاعتقل بقلعة تكريت** ، وحبسه فيها حتى قتله سنة **٥٢٥** (وفيات الأعيان ١/ ١٨٩) .

وفي السنة **٥١٥** مات الشاعر مسعود بن سعد اللاهوري ، نديم السلطان سيف الدين محمد بن ابراهيم الغزنوي ، **وكان موته في قلعة ناىء ، سجيناً** ، طال سجنه عشرين سنة حتى مات (الاعلام ٨/ ١١١) .

وفي السنة ٥١٥ وقعت معركة بين بلك بن بهرام ، ابن أخي ايلغازي صاحب حلب ، وبين جوسلين الافرنجي ، صاحب الرها ، فظفر بلك ، وأسر جوسلين ، وابن خالته كليام ، وجماعة من فرسانه المشهورين ، فحبس جوسلين في جلد جمل ، وخيط عليه ، وبذل في فداء نفسه مالاً جزيلاً ، فلم يجب إلى ذلك ، وحبسوا جميعاً في قلعة خرتبرت وفي السنة **٥١٧** حارب بلك ، ملك الفرنج بغدوين ، فأسره ، وأضافه إلى المحبوسين بقلعة خرتبرت (ابن الأثير ١٠/ ٥٩٣ و ٦١٣) .

وفي السنة **٥١٦** حارب دبيس بن صدقة ، عسكر السلطان محمود السلجوقي ، وظفر بهم ، فلما سمع السلطان محمود بخبر الوقعة ، قبض على منصور أخي دبيس ، وكحله (سمل عينيه) ، وقبض على ولده ، وحبسهما في قلعة برحين ، وهي مجاورة لكرج ، ولما بلغ دبيساً انّ السلطان كحل أخاه ، جزّ شعره ، ولبس السواد (ابن الأثير ١٠/ **٥٩٩** ، ٦٠٠ ، ٦٠٧) .

وفي المنة **٥٣٤** وقعت معركة بين الأمير بوزابه ، والملك سلجوق شاه بن السلطان محمود السلجوقي ، فوقع سلجوق شاه أسيراً في يد بوزابه ، فسجنه في قلعة بفارس (ابن الأثير ١١/ ٧٠) .

وفي السنة **٥٤١** حبس السلطان مسعود ، أخاه سليمان شاه ، بقلعة تكريت (ابن الأثير ١١/١١٨) .

وفي السنة **٥٤٢** قبض صاحب الموصل ، سيف الدين غازي ، ابن عماد الدين زنكي ، على الفقيهين كمال الدين الشهرزوري وأخيه تاج الدين ، **واعتقلهما بقلعة الموصل** ، فشفع لهما الخليفة ، فأخرجا من الاعتقال ، وقعدا في بيوتهما وعليهما الترسيم ، ولما مات سيف الدين ، رفع الترسيم عنهما . ((وفيات الاعيان ٤/٢٤١ و٢٤٢) .

وفي السنة **٥٥٩** حاصر شهاب الدين الغوري ، لهاوور ، واستنزل ملكها خسروشاه ، آخر الملوك الغوريّة من أولاد سبكتكين ، بالأمان على نفسه ، وأهله ، وماله ، وله من الاقطاع ما أراد ، فنزل على ذلك ، ثم ورد رسول من غياث الدين الغوري ، أخي شهاب الدين ، يطلب إنفاذ خسرو شاه ، فأنفذ إليه مع ولده ، **ورفعا في الطريق إلى بعض القلاع** ، فكان آخر العهد بهما . (ابن الأثير ١١/١٦٨ و١٦٩) .

وفي السنة ٦١٧ اعتقل الملك الأشرف ، بقلعة حرّان ، الأمير عماد الدين بن المشطوب ، وضيّق عليه تضييقاً شديداً ، من الحديد الثقيل في رجليه ، والخشب في يديه ، وحصل في رأسه ولحيته وثيابه من القمّل شيء كثير ، ومكث على تلك الحال في الاعتقال ، حتى توفّي في السنة ٦١٩ (وفيات الأعيان ١/١٨١) .

أقول : كان ابن المشطوب هذا مغرقاً في الخيانة والغدر والبغي ، وقد أدرجنا في هذا الكتاب ، نتفاً من غدراته في الباب الحادي عشر : القتل ، الفصل الأول : القتل بالسيف ، القسم الثالث : القتل غدراً .

وفي السنة ٦٣٧ لما استولى الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر ، قبض على أخيه العادل ، وحبسه في القلعة سنين (النجوم الزاهرة

٣١٢/٦) حتى توفّي في الحبس في السنة ٦٤٥ ، وكان للعادل ولد صغير ، يقال له الملك المغيث ، اعتقل في السنة ٦٦١ بقلعة الجبل بمصر ، وكان للمغيث ولد ينعت بالملك العزيز ، اعتقل كذلك في السنة ٦٦٦ بقلعة الجبل (وفيات الأعيان ٥/٨٦ و٨٧) .

وتآمر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود ، والامير ناصر الدين ابن يغمور ، على الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق ، فاطّلع الصالح على ما أضمراه ، واعتقلهما ، فسجن الملك الجواد بقلعة غزتا حيث مات في السنة ٦٤١ ، وسجن ابن يغمور بقلعة دمشق (فوات الوفيات ٤/٣٩٧) .

وتوجّس الملك الصالح نجم الدين ايوب (ت ٦٤٧) بن السلطان الملك الكامل الأيّوبي ، من المماليك الاشرفية ، فاعتقلهم جميعاً وسجنهم ، ثم قبض على شمس الدين الخاص وجوهر النوبي وعلى جماعة من الأمراء الكامليّة ، **وسجنهم بقلعة صَدْر بالقرب من أيلة** . (النجوم الزاهرة ٦/٣٢٠) .

وفي السنة ٦٩٤ بلغ السلطان ايرنجين بن أباقا التتاري (كيخاتو) (٦٩٠ ـ ٦٩٤) أنّ قسماً من الأمراء قد تآمروا عليه ، وأرادوا أن ينصبوا بايدوخان ، فاعتقلهم ، وأنفذهم إلى قلعة تبريز فحبسوا فيها (تاريخ الغياثي ٤٨ ، ٤٩) .

وفي السنة ٧١١ فرض الأمير كراي المنصوري ، نائب السلطنة بدمشق ، على أهل دمشق ضرائب ثقيلة على الأملاك ، فاجتمع القضاة والخطيب والعامّة ، وحملوا المصحف ، ووقفوا له بسوق الخيل ، فغضب ، وأمر بالشيخ نجم التونسي ، فضرب ضرباً شديداً ، ثم أمر بمدّ الخطيب جلال الدين القزويني ليضرب ، فشفع فيه ، ولما بلغ السلطان الملك الناصر ذلك ، أنكره أشد الانكار ، وبعث إلى الأمير كراي من أحضره معتقلاً ، فحبسه في

الكـرك من السنة ٧١١ الى السنـة ٧١٧ فأطلق وحضـر إلى القاهـرة ، فاعتقله السلطان بقلعة الجبل ، حتى مات في الحبس في السنة ٧١٩ (الدرر الكامنـة ٣٥٢/٣ و٣٥٣) .

وفي السنـة ٧٢٨ مـات في حبس القلعـة تقيّ الـدين بن تيميّـة ، وكـان بعض الفقهاء والقضاة في دمشق والقاهرة ، خاصموه ، وتألّبوا عليه ، وتعصّب له منهم جماعة ، فحبس بأحد أبراج القلعة بالقاهرة ، ثم نقل إلى الجبّ ، ثم أطلق بشفاعة الأمير مهنا أمير آل فضل ، ثم سجن بحارة الديلم بالقاهـرة ، ثم نقل إلى الاسكندرية ، فحبس هناك ببرج شرقي ، ثم أطلقه السلطان الناصر ، ثم حبس بقلعة دمشق ، ثم أطلق ، ثم حبس ثانيـة بقلعة دمشق ، ومـات وهو في حبس القلعة (الدرر الكامنة ١٥٤ ـ ١٧٠) .

أقول : الشيخ أبـو العباس أحمـد بن عبد الحليم الحـراني ، المعروف بابن تيميّة ، وهو لقب جدّه الأعلى (٦٦١ ـ ٧٢٨) فقيه ، محدّث ، حـافظ ، مفسّـر ، ذا سطوة وإقـدام ، وعدم مـداراة ، وكان مغـرى بسـبّ ابن عـربي ، والعفيف التلمسـاني ، وابن سبعين ، وكـان يقـول عن الغـزالي هـو قـاووز الفلاسفة ، يسخر به ، وكان كثير الحطّ على الإمـام فخر الـدين الرازي ، اما ابن المـطهّر الحلّي ، رأس الشيعـة في زمانـه ، فكـان يسمّيـه ابن المنجّس ، عقد له مجلس بمصر في مقالة قالها ، فحكم بحبسه فحبس بالاسكندرية ، ثم أطلق ، وكان العوامّ بمصر يعظمونه ، ثم تكلّم على السيدة نفيسة ، فأعرضـوا عنه ، ثم حوكم بـدمشق ، وأعيد إلى القـاهرة ، وحبس بـالقلعة ، ومـات وهو معتقل ، راجع ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥/٧ ـ ٣٣ .

وفي السنة ٧٢٨ مات بسجن القلعة بالقاهرة الأميـر بكتمر المنصـوري ، وكـان من أكابـر الأمراء ، غضب عليـه السلطان الناصـر محمـد بن قـلاوون ، فـاعتقله وحبسه بـالاسكندريـة ، ثم أفرج عنـه ، ثم أعتقله وسجنه بـالقلعـة ،

فمكث مسجوناً ستّ سنوات ، ومات في سجنه (الدرر الكامنة ٢/ ١٥ و١٦) .

وفي السنة ٧٣٦ مات المستمسك بالله محمد بن أحمد الحاكم العباسي ، في حياة أبيه مسجوناً بالبرج في القلعة ، وكان أكبر من أخيه المستكفي ، وقد ولي الخلافة ولده بعد المستكفي (الدرر الكامنة ٣/ ٤٦٥) .

وفي السنة ٧٥٣ توفّي عضد الدين عبد الرحمن ، قاضي قضاة المشرق ، وشيخ العلماء ، مات مسجوناً بقلعة بقرب إيج ، غضب عليه صاحب كرمان ، فحبسه بها ، وآستمر محبوساً إلى أن مات (شذرات الذهب ٦/ ١٧٥) .

وفي السنة ٧٦٠ اعتقل شاه شجاع ، أباه الأمير محمد بن مظفر ، وكحله (أي سمل عينيه) وسجنه بقلعة سرمق (الغياثي ١٤٧ ـ ١٥٠) .

وفي السنة ٧٦٩ قبض السلطان الاشرف بالقاهرة على جماعة من المماليك اليلبغاويّة ، ووجّه بهم إلى قلعة الكرك ، **حيث سجنوا في القلعة هناك بجبّ مظلم** ، وأقاموا به مدّة سنين . (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٧١) .

وفي السنة ٧٨٩ اعتقل صدر الدين سليمان بن يوسف الياسوفي ، وحبس في سجن القلعة بالشام ، فحصل له فزع شديد أورثه الإسهال ، فمات في حبس القلعة مبطوناً ، وسبب اعتقاله إنّه قام مع الشيخ شهاب بن البرهان بالشام في الدعوة إلى القيام على الملك الظاهر ، فلما عاد الملك الظاهر إلى السلطان ، جرى اعتقاله ، وموته في السجن (الدرر الكامنة ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٤) .

وفي السنة ٨٠٥ مات في سجنه بقلعة القاهرة الشريف عنان بن مغامس أمير مكّة ، وكان السلطان بالقاهرة ، قد حبسه بقلعة القاهرة في السنة ٧٩٥ ثم

نقله في السنة ٧٩٩ إلى السجن باسكندرية ، ثم أعيد إلى قلعة القاهرة في السنة ٨٠٤ وتوفّي في السنة ٨٠٥ في سجنه بقلعة القاهرة (الضوء اللامع ١٤٨/٥) .

وفي السنة ٨٣٣ مات في حبسه ببرج في قلعة القاهرة ، الأمير هابيل بن عثمان بن قرايلك ، صاحب الرها ، وكانت جيوش سلطان مصر قد حصرته ، فنزل بالأمان ، فحمل وتسعة من أعوانه إلى مصر مقيّدين ، فرسم السلطان الأشرف بحبسه في برج القلعة في السنة ٨٣٢ ومات في حبسه بعد سنة واحدة (الضوء اللامع ٢٠٦/١٠) .

وفي السنة ٨٤٧ مات في سجنه بقلعة صفد ، الأمير أزبك السيفي . الملقّب جحا ، اعتقله الملك الظاهر جقمق لما خرج عليه (الضوء اللامع ٢٧٠/٢) .

وفي السنة ٨٧٠ قبض السلطان الظاهر خشقدم على الأمير جانبك الأشرفي ، وحبسه بالاسكندرية ، ثم حمل فحبس بقلعة صفد ، حتى مات وهو في الحبس (الضوء اللامع ٥٣/٣) .

ولما قتل جهان شاه في السنة ٨٧٢ كان ولده حسن علي معتقلاً بقلعة يقال لها : قهقهة ، من أعمال أذربيجان ، فحضر أصحاب والده جهان شاه ، وأخرجوه ، وسلطنوه بأذربيجان (تاريخ الغياثي ٣٢٦) .

أقول : في السنة ٨٧٢ لما قتل جهان شاه بن قرا يوسف ، خلفه في حكم اذربيجان ولده حسن علي ، وكان مخبولاً ، فإنّه لما تسلطن أمر بقصّ أذناب الخيل ومعارفها وأن لا يتركوا شعرها يظهر بحيث كلّما ظهر حلقوه بالموسى ، كما أمر النساء أن لا يلبسن السراويل ، وأمر كلّ من كان مقرون الحاجبين أن يحلق ما بينهما من الشعر ليظهرا مفترقين ، وكان يجمع النساء حوله عاريات ، ويجلس وسطهنّ ، ويعمل ما تطيب له نفسه . ويهتك ما

يجب ستره ، وكان يأمر البنات بالرقص عاريات ، ثم يختار واحدة منهنّ فيجامعها ، وكان يختار بنات أمرائه ، ويتزوّج منهن عنوة ، ثم يتركهنّ الى غيرهن (تاريخ الغياثي ٣٢٧ و٣٢٨) .

وفي السنة ٨٧٤ توفّي زين الدين يحيى بن عبد الرزاق الاستادار بالقاهرة ، وكان قد نكب بعد وفاة الملك الظاهر مراراً ، وصودر ، وضرب ، وقاسى أهوالاً ، وذلّاً ، ونفياً ، وصودر نحواً من عشرين مرة ، ثم صادره الاشرف قايتباي مرّة بعد أخرى ، وحبسه بالبرج من القلعة ، وأعاد ضربه إلى أن أشرف على الموت ، وحمل إلى البرج (يعني البرج الذي سجن فيه) ، حتى مات في السنة ٨٧٤ (الضوء اللامع ١٠/٢٣٤) .

وفي السنة ٧٨٩ مات الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفلح الياسوفي محبوساً في قلعة دمشق ، وسبب حبسه إنّه صدر أمر بالقبض على أحمد الظاهري ومن ينسب إليه فاتّفق أن عثر على أحد المنسوبين إلى أحمد الظاهري ، ومعه اثنان من طلبة الياسوفي ، فقبض عليهما أيضاً ، وعلى الياسوفي ، وحبس في قلعة دمشق حتى مات (شذرات الذهب ٦/٣٠٧ و٣٠٨) .

وفي السنة ٩٢٦ انتزع السلطان بدر بن عبد الله ، من السلطان محمد بن بدر الكثيري مدينة شبام ، وسجنه في حصن قرية مريمة ، وظل محبوساً عشرين سنة ، ومات سنة ٩٤٦ (الاعلام ٦/٢٧٥) .

وفي السنة ٩٣٧ توفّي قاضي القضاة ولّي الدين محمد المعروف بابن الفرفور ، محبوساً في حبس القلعة بدمشق (شذرات الذهب ٨/٢٢٥) .

وفي السنة ٩٦٣ تسلطن جهانكير بن كيكاوس بن أشرف على مدينة نور ، ثم أسره طهماسب سلطان العجم ، وحبسه بألموت (قلعة) حتى مات في حبسه (معجم أنساب الأسر الحاكمة ٢٩٢) .

ووجدتُ في صدر مخطوطة الجزء الأوّل من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي « نسخة الظاهرية بدمشق » شرحاً من محمد رفيع الشافعي « المحبوس في سجن القلعة بدمشق » إنّ هذه المخطوطة أعارها إيّاه الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، ولم يذكر المستعير التاريخ ، والذي نعرفه أنّ الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي المحدث ، توفّي في السنة **١٢٦٢** حاجّاً بمكّة ، عن ثمانية وسبعين عاماً ، في عهد السلطان عبد المجيد العثماني ، الذي حكم (**١٢٥٥ - ١٢٧٧**) .

القسم الثاني

السجون غير الاعتياديّة

١ ـ الحبس في الحبوس الضيّقة

٢ ـ الحبس في المطبق .

٣ ـ الحبس في المطمورة .

٤ ـ الحبس في الجبّ .

٥ ـ الحبس في السرداب .

٦ ـ الحبس في زورق مطبق .



١ ـ الحبوس الضيّقة

أمّا بشأن الحبوس الخاصّة التي تمتاز بضيق مساحتها ، من أجل تعذيب المحبوس ، فإنّ أوّل ما بلغنا خبره منها ، سجن عبد الله بن الزبير ، المعروف **بسجن عارم حيث بنى عبد الله** بن الزبير بمكّة ، بناء ضيّقاً في السجن ، ذراعين في ذراعين ، وسجن فيه عارم ، غلام مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وعدّة معه ، وأطبق عليهم حتى ماتوا ، فسمّي السجن ، **سجن عارم** ، وفيه حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية وقوماً من بني هاشم ، حتى بعث إليهم المختار من الكوفة ، جنداً دخلوا مكّة ، وكسروا باب السجن ، وأخرجوهم ، قال كثير عزّة يخاطب عبد الله بن الزبير : (انساب الأشراف ٤/٢/٢٧) .

تحدّثُ من لاقيت أنّك عائذٌ	بل العائذ المحبوس في سجن عارم
فما ورق الدنيا بباق لأهلها	ولا شدّة البلوى بضربة لازم

وحبس عبد الله بن الزبير ، في سجن عارم ، الحسن بن محمد بن الحنفية ، وأراد قتله ، فأعمل الحيلة حتى تخلّص من السجن ، وتعسّف الطريق على الجبال ، حتى أتى منى ، وبها أبوه محمد بن الحنفية (شرح نهج البلاغة ٢٠/١٤٦) .

وكان للحجّاج بن يوسف الثقفي ، سجنان ، أحدهما واسع الرقعة ،

ليس فيه سترٌ يستر الناس من الشمس في الصيف ، ولا من المطر والبرد في الشتاء ، وربما كان المسجون يستتر بيده من الشمس ، فيرميه الحرس بالحجارة ، وكان أكثر المحبوسين فيه مقرّنين بالسلاسل ، وكانوا يسقون الزعاف ، ويطعمون الشعر المخلوط بالرماد ، وخلّف الحجّاج فيه ، لما هلك ، ثمانين ألفاً ، حبسوا بغير جرم ، منهم خمسون ألف رجل ، وثلاثون ألف امرأة ، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد (مروج الذهب ٢/١٢٨ والعيون والحدائق ٣/١٠ ومحاضرات الأدباء ٣/١٩٥) .

وكان للحجّاج سجن ثان **يسمّى الديماس** ، والديماس الحفيرة في باطن الأرض ، وكان الديماس من الضيق ، بحيث لا يجد المسجون فيه إلّا موضع مجلسه ، وكان كلّ جماعة من المسجونين يقرنون في سلسلة واحدة ، فإذا قاموا ، قاموا معاً ، واذا قعدوا قعدوا معاً (الفرج بعد الشدة ، لابن ابي الدنيا ، مخطوط ص ١١) ، ولا يجد المسجون المقيّد منهم إلّا موضع مجلسه ، فيه يأكلون ، وفيه يتغوّطون ، وفيه يصلّون وقد وصف إبراهيم بن يزيد التيميّ ، الرجل الزاهد ، هذا الديماس لما حبسه الحجّاج ، وأثبت ذلك القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدّة ، تحقيق المؤلف ، في القصة ٨٧ و٨٨ ، ومما يجدر ذكره ، أنّ هذا الرجل الزاهد ، كانت خاتمة حياته في ديماس الحجّاج هذا ، فإنّ الحجاج منع عنه الطعام ، وأرسل عليه الكلاب تنهشه حتى مات (اللباب ١/١٩٠) ، ولما مات رمى بجثّته في الخندق ، ولم يجرأ أحد أن يدفنه حتى مزّقته الكلاب (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٣٠٤) .

لما ولّى سليمان بن عبد الملك ، يزيد بن المهلّب العراق ، نظر في أمر نفسه ، فقال : إنّ العراق قد أخربها الحجّاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذّبتهم عليه ، صرت مثل

الحجّاج أدخل على الناس الخراب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها . (الطبري ٦/٥٢٣) .

وحبس المهدي ، إبراهيم الموصلي ، فحذق في الحبس القراءة والكتابة ، وكان قد منعه من الدخول على ولديه موسى وهارون ، ثم بلغه أنّه دخل عليهما ، وشرب معهما ، وكان مستهترين بالنبيذ ، فأحضره ، وأمر به فجرّد ، وضرب ثلثمائة وستّين سوطاً ، ثم ضربه بيده بالسيف في جفنه ، فشجّه ، ثم أمر به فأعيد ضربه ، ثم أمر عبد الله بن مالك ، بأن يصيّره في حبس شبيه بالقبر ، فأخذه عبد الله ، وأمر بكبش فذبح وسلخ ، وألبس جلده ، ليسكن ألم الضرب ، ثم دفعه إلى خادم له فصيّره في ذلك القبر ، ووكّل به جارية يقال لها : جشّة ، فتأذّى بنزٍّ كان في ذلك القبر وبالبقّ ، فدخن عليه بالفحم والكندر ، فكاد أن يموت اختناقاً ، وكان معه في القبر حيّتان تخرجان ثم تعودان إلى جحريهما ، ومكث في ذلك القبر حيناً ، ثم اخرج (الاغاني ٤/١٦١ و١٦٢) .

وحبس الرشيد ، أبا العتاهية ، في بيت ، خمسة أشبار في مثلها ، فصاح : الموت ، أخرجوني ، وأقول كلّما شئتم (الاغاني ٤/٦٤) .

وبنى المعتصم ، في بستان موسى ، سجناً كان القيّم به مسرور مولى الرشيد ، وكا كالبئر العظيمة ، حفرت إلى الماء ، وهو على هيأة المنارة ، مجوّف ، مدرّج من داخله ، قد حفرت فيه في مواضع من التدريج مستراحات ، في كلّ مستراح بيت ، يجلس فيه رجل واحد ، على مقداره ، يكون فيه مكبوباً على وجهه ، لا يمكنه أن يجلس فيه ، ولا أن يمدّ رجليه ، وحبس فيه محمد بن القاسم العلوي ، المعروف بالصوفي ، فلما استقرّ به ، أصابه من الجهد لضيق الموضع ، وظلمته ، ورطوبته ، ومن البرد والرطوبة ما كاد يتلفه من ساعته ، راجع تفصيل القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٩٤ .

ولمـا اعتقـل المعتصم ، الإفشين ، بنى لـه حبسـاً مـرتفعـاً ، وسمّـاه : اللؤلؤة ، أشبه شيء بالمنارة ، وجعل في وسطها مقـدار مجلسه فقط ، وكـان الرجال يدورون تحته حولها (الطبري ٩/١٠٦ و١٠٧ وتجـارب الأمم ٦/٥١٩ والعيون والحدائق ٣/٤٠٥) .

وكـان أحد الأتـراك ، ضمن لأعداء القـائد أشنـاس ، أن يقتله ، فـأمـر أشناس بحبسه ، فحبس في بيت مظلم ، وسدّ عليـه الباب ، وكـان يلقى إليه في كلّ يوم رغيف وكوز ماء (تجارب الأمم ٦/٥٠١) .

وفي السنة ٢٣٣ حبس المتوكـل وزيره محمـد بن عبد الملك الـزيات ، في تنوّر ، وكان يحقد عليه تصرفات عامله بها قبل الخلافة ، فلما استخلف ، أقرّه على الوزارة حيناً ، ثم أصدر أمره باعتقاله سرّاً إلى إيتاخ ، فلما بعث إليه ايتاخ ، ظنّ أنّ الخليفة دعا به ، فركب بعد غـدائه مبـادراً ، فلما حـاذى منزل إيتـاخ ، قيل لـه : اعدل إلى منـزل أبي منصور ، فعـدل ، وأوجس في نفسـه خيفة ، فلما جاء إلى الموضع الذي ينزل منه إلى إيتاخ، عدل به يمنة، فأحسّ بالشرّ ، ثم أدخل حجرة ، وأخذ سيفه ومنطقته ، وقلنسـوته ودرّاعتـه ، فدفعت إلى غلمانه ، وقيل لهم انصرفوا ، فانصـرفوا ، لا يشكّـون انّه مقيم عنـد إيتاخ ليشرب النبيذ ، وفي ذلك اليوم صودر ما في بيته ، وضبطت أمـواله وأمـلاكه ، ثم أمر إيتاخ بتقييده ، فقيّد ، وامتنع من الطعام ، وكان لا يـذوق شيئاً ، وكـان شديد الجزع في حبسه ، كثيـر البكاء ، قليـل الكلام ، كثيـر التفكّر ، فمكث أيّاماً ، ثم سوهر ، ومنع من النوم ، ثم ترك يوماً وليلة ، فنام وانتبـه ، فاشتهى فاكهة وعنباً ، فأكل ، ثم أعيد إلى المسـاهرة ، ثم أمـر بتنوّر من خشب ، فيـه مسـامير من حـديد قيـام ، كـان هـو قـد أمـر بعمله ، وعـذب بـه ابن اسبـاط المصري ، فابتلي هو وعذّب به ، وذكر المـوكّل بعـذابه ، قـال : كنت أخرج وأقفل الباب عليه ، فيمدّ يديه إلى السمـاء جميعاً ، حتى يـدقّ موضـع كتفه ،

ثم يدخل التنور فيجلس ، والتنور فيه مسامير حديد ، وفي وسطه خشبة معترضة ، يجلس عليها المعذّب إذا أراد أن يستريح ، فيجلس على الخشبة ساعة ، ثم يجيء الموكّل به ، فإذا هو سمع صوت الباب يفتح ، قام قائماً كما كان ، قال المعذّب : ثم خاتلته يوماً ، وأريته أنّي أقفلت الباب ، ولم أقفله ، إنّما أغلقته بالغلق ، ثم مكثت قليلاً ، ودفعت الباب على غفلة ، فإذا هو قاعد في التنّور على الخشبة ، فقلت له : أراك تعمل هذا العمل كلّما خرجت ، فكنت إذا خرجتُ بعد ذلك ، شددت خناقه ، فكان لا يقدر على القعود ، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه ، فما مكث بعد ذلك إلّا أياماً ثم مات (الطبري ٩/١٥٦ ـ ١٥٩) .

وقبض أحمد بن طولون ، على أحمد بن محمد بن المدبّر ، عامل الخراج بالشام ، وحبسه في حبس ضيق ، حتى ذهب بصره ، ومات ، راجع تفصيل ذلك في كتاب المكافأة ص ١٣١ ـ ١٣٨ .

وقال أحمد بن المدبّر : حبست في حبس لابن طولون ، ضيّق ، وكان فيه خلق ، وبعضنا على بعض ، فحبس معنا أعرابي ، فلم يجد مكاناً يقعد فيه ، فقال : يا قوم ، لقد خفت من كلّ شيء ، إلّا انّي ما خفت قطّ ، ألّا يكون لي موضع من الأرض في الحبس ، أقعد فيه ، ولا خطر ذلك ببالي ، فاستعيذوا بالله من حالنا . (الوافي بالوفيات ٨/٣٩) .

وقد فاق الجميع ، في اختيار أضيق الحبوس . الوزير ابن بقيّة ، وزير بختيار البويهي ، فإنّه في السنة ٣٦٤ اعتقل أبا نصر بن السراج ، وبعد أن عذّبه أضاف العذاب ، وبسط عليه ألوان المكاره ، حبسه في صندوق ، ومنع عنه الطعام ، حتى مات (تجارب الأمم ٢/٣٥٩) .

وفي السنة ٤٣١ اتّهم باديس صاحب غرناطة ، أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني بالتآمر ضدّه ، ففرّ منه إلى إشبيلية ، ثم آستسلم إليه ، فبعث

بـه إلى غرنـاطة ، حيث أشهـر ، ثم أودع حبساً ضيّقـاً ، ولما عـاد باديس إلى غرناطة قتله (الاحاطة ٤٦٢ ـ ٤٦٦) .

ومن الحبـوس الضيقـة ، الحبس الـذي اعتقـل فيـه جـوسلين صـاحب الـرهـا ، ففي السنـة ٥١٦ ظفـر بلك بن بهـرام ، ابن أخي ايلغـازي صـاحب حلب ، بجـوسلين الافرنجي صـاحب الرهـا وابن خالتـه قلران ، بالقـرب من سروج فأسرهما ، فجعـل جوسلين في جلد جمـل ، وخاطـه عليه ، ثم حمله الى قلعة خرتبـرت ، فحبسه بهـا في جبّ فيها ، فـأغرى جـوسلين ، وآخرون معـه من الافـرنـج ، جمـاعـة من أهـل الحصن ، فـأطلقـوهم ، ووثبـوا على الحصن ، فـامتلكوه ، وملكـوا ما فيـه من الخزائن ، فقصـد بلك خـرتبـرت ، وآستولى عليها ، وقتل أصحابـه الذين أطلقـوا الإفرنـج ، كما قتـل من فيه من الإفــرنـــج ، وأبقى على الملك بغــدوين ، وقلران ، وابن أخت بغــدوين ، وسيّـرهم إلى حـرّان فحبسهم بهـا ، ثم عـاد فنقلهم إلى حبس حلب (اعـلام النبلاء ١/٤٤٢ و٤٤٩ و٤٥٠ و٤٥٢ وابن الأثير ١٠/٥٩٣) .

وكان مروان بن عبد الله ، أحد أمراء بني أميّة ، قد تأمّر على بلنسيه في السنة ٥٤٠ ، وآستولى على لقنت وشاطبة ، ثم خلعه جنده ، ودفـع إلى عدوه عبد الله بن محمد صاحب بلنسبة قبله ، فأشخصه إلى ميورقة ، وحبســه عشر سنين في بيت مظلم . (الاعلام ٨/٩٦) .

وغضب السلطان محمد بن محمد بن محمد النصري (ت ٧١٠) على طائفة من مماليك أبيه ، فسجنهم في مطبق الأري بحمراء غرنـاطة (الاحـاطة ٥٥٥ و٥٥٦) .

أقول : الأري ، محبس الدواب .

وفي السنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) اعتقل حسن ، بـاي قسطنـطينة ، الأميـر يونس بن علي باشا حاكم تونس وحبسه في حجـرة ضيقة ، طيّن عليـه بابهـا ،

وتفصيل ذلك : إنه في عهد حاكم الجزائر ، علي باشا بوصباع ، الملقّب علي نكسيس ، أو بابا علي (١١٦٨ ـ ١١٧٩) (١٧٥٤ ـ ١٧٦٥) ثار الأمير يونس على أبيه علي باشا حاكم تونس ، فتدخّل حاكم الجزائر وقصد تونس في السنة ١١٧٠ ، وقتل الأمير علي باشا ، ونصب بدلاً منه الأمير محمد بن حاكم تونس السابق الحسين بن علي ، وأسر الأمير يونس ، وحبسه عند داي قسنطينة حسن باي أزرق عينه ، وهو ابن أخت علي باشا ، أمير الجزائر ، فاستأصل الباي حسن جميع ما كان يملكه يونس من أموال وذخائر ، وأمتعة وجواهر ، وطرد من كان معه من غلمانه وأتباعه ، ولم يترك معه إلّا كاتبه ورجلين يخدمانه ، وبنى عليه باب المحبس ، وترك فيه منفذاً يدخل إليه ما يحتاج منه ، ثم شرع في بناء محبس جديد في سقيفة داره ، وجصّص جدرانه ، وجعله ضيقاً جداً ، ونقله إليه وحده ، وطيّن عليه بابه ، وجعل فيه منفذاً يدخل إليه منه طعامه وشرابه (مذكرات الزهار ص ١٧) .

وفي السنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) كان حاكم البنغال سراج الدولة ، من نسل مرشد قلي خان ، فاختلف مع الإنكليز ، وحاربهم ، ودحرهم ، وأسر من بقي في كلكوتا من الإنكليز ، وكان عددهم مائة وستة وأربعون شخصاً ، فوضعهم في سجن كلكوتا الأسود ، وكانت مساحته ١٨ قدماً في ١٦ قدماً ، فحشرهم فيه حشراً ، وكان الوقت صيفاً ، فاختنقوا فيه ، وفي ثاني يوم لم يبق منهم سوى ثلاثة وعشرين فقط ، أطلق سراحهم (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٢٠٩) .

أقول : رأيت في لندن ، في متحف مدام توسو ، في القاعة المسماة : قاعة الرعب ، مثالاً لسجن من السجون الضيّقة ، وهو عبارة عن حجرة طولها متران ونصف متر ، وعرضها متر وربع متر ، ليس لها منفذ ولا شباك ولا كوة ، غير الباب ، وفي زاوية من الحجرة ، كومة من القش لنوم المحبوس ، وذكروا أنّ المحبوس قضى في هذه الحجرة سنين طوالاً .

وقـرأت في كتاب كتبـه بالانكليـزية طبيب ألمـانيّ ، ساقتـه ظروفـه إلى الخدمة في مدينة الهفوف هيأت له فيه الصدفة ، أن يـطّلع على السجن الذي يعتقل فيه الأشخاص الذين يكونون خطراً على الحكم القائم ، فذكر إنّـه دخل إلى بناء يشتمل على عدد من الحجر ليس لها كوى ولا شبابيك ، ولا منفذ لها إلا البـاب ، وكانت جميـع الحجر ، والممـرّات المؤدّية إليهـا مظلمـة ، تنـار بمصـابيح نفـطيّـة ، وأبصـر المسـاجين كـلّ مسجـون مـربـوط إلى زاويـة في الحجرة ، وقد ربطته سلسلة ، أحد طرفيهـا في ساقـه ، والطرف الثـاني مثبت بالحائط ، كي لا يتمكّن من مبارحة موضعه .

٢ ـ الحبس في المطبق

المطِبْق : السجن تحت الأرض ، سمّي بذلك لأنّه يطبق على المسجون ، فيحول بينه وبين رؤية النور ، ويتركه في ظلام دامس ، وعزلة موحشة ، ويعدّ ـ على الأكثر ـ للمساجين السياسيّين ، ويكون شديد الظلمة ، سيّىء التهوية ، ومن مكث فيه زماناً انطفأ بصره .

وأوّل من **اتّخذ المطبق** من العباسيّين المنصور ، بناه ببغداد ، وقبل أن يبني مطبقه ، كان يحبس خصومه السياسيين في سراديب تحت الأرض ، كالسرداب الذي حبس فيه آل الحسن العلويّين ، وسيأتي وصفه .

ولما خلف المهدي العباسي ، أباه المنصور ، أمر في السنة **١٥٩** باطلاق من كان في سجن المنصور ، إلاّ من كان قبله تباعة دم أو قتل ، أو كان معروفاً بالسعي بالفساد ، فأطلقوا ، وكان ممن أطلق يعقوب بن داود ، وكان الحسن بن إبراهيم بن عبد الله العلوي ، محبوساً مع يعقوب في مطبق واحد ، فلما أطلق يعقوب ، ساء ظنّ الحسن ، فأرسل بعض من يثق به ، فباشر بحفر سرب إلى الموضع الذي هو فيه ، لينسلّ منه ويتوارى ، وبلغ المهدي ذلك ، فأنفذ من أبصر السرب ، فحوّل الحسن من محبسه إلى نصير الوصيف فحبسه عنده ، فعاود أصحاب الحسن المحاولة ، وأخرجوه ، وطلب فلم يقع أحد له على أثر ، وكلّم المهدي يعقوب بن داود في أمره ، فقال :

إن أعطيته الأمان ، أحضرته ، فأعطاه الأمان ، فأحضره (الطبري ١١٧/٨ وابن الأثير ٣٧/٦) .

وفي السنة ١٦١ ظفر المهدي العباسي ، بعبد الله بن مروان الحمار ، فحبسه في المطبق ، ومات في السنة ١٧٠ في عهد الهادي (الطبري ١٣٥/٨ ، ٢٠٥) .

أقول : ورد في موضع آخر من هذا الكتاب ، إنّ عبد الله هذا ظفر به السفّاح ، وإنّه حبسه ، وظلّ محبوساً حتى أخرجه الرشيد وقد عمي ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، دخلت السجن شاباً بصيراً ، وتركته شيخاً ضريراً .

وأغزى المهدي العباسي ، في السنة ١٦٤ عبد الكبير بن عبد الحميد ، الروم ، فلم يقاتل ، وعاد فاشلاً ، فأراد المهدي ضرب عنقه ، فكلّم فيه ، فحبسه في المطبق . (الطبري ٨/ ١٥٠) .

وكتب محمد بن الليث ، أحد النسّاك ، رسالة إلى هارون الرشيد ، يعظه فيها ، فغضب عليه ، وأغراه به يحيى البرمكي ، فأمر بحبسه في المطبق ، فلما اصطلم البرامكة ، أحضره ، وقال له : يا محمد ، أتحبّني ؟ قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين ، وضعت في رجلي الأكبال ، وحلت بيني وبين العيال ، بلا ذنب ، فكيف أحبّك ؟ قال : صدقت ، وأمر بإطلاقه ، ثم قال له : يا محمد ، أتحبّني ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن قد ذهب ما في قلبي ، فأمر بأن يعطى مائة ألف درهم ، وقال له : يا محمد ، أتحبّني ؟ قال : أما الآن فنعم (الطبري ٢٨٨/٨) .

وحبس الرشيد يحيى بن عبد الله في المطبق ، وكان في أضيق البيوت وأظلمها ، ودخل عليه وقد مضى من الليل هجعة ، فكلّمه ، ثم أمر به ، فضرب مائة عصا . (مقاتل الطالبيين ٤٨١) .

وأخذ الرشيد ، قوماً من أصحاب يحيى بن عبد الله العلوي ، **فحبسهم**

جميعاً في المطبق ، فمكثوا فيه اثنتى عشرة سنة . (مقاتل الطالبيين ٤٨٥) .

وغضب الرشيد على إبراهيم الموصلي ، **فحبسه في المطبق** ، فقال أبو العتاهية : (وفيات الأعيان ١/٤١) .

سَلْم يا سَلْم ليس دونك سِرُّ — حُبِسَ الموصلي فالعيش مرّ
ما استطاب اللذّات منذ غاب في المطـ — ـبق راسُ اللذات في الناس حرٌّ
حبس اللهو والسرور فما في الـ — أرض شيء يلهي به ويسرّ

وأنشد الرشيد ، أبياتاً نسبت إلى أبي نواس ، فيها ما يخالف أحكام الدين ، فقال : عليّ بابن الفاعلة ، وطرحه في المطبق .

ذكر المرزباني ، في الموشح ٤٢٦ ـ ٤٢٨ إنّ الرشيد جلس مجلساً ، ذكر فيه الشعراء ، فغمز سليمان بن أبي جعفر من أبي نؤاس ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هو كافر بالله ، لا يرعوي من سكرة ، ولا يأنف من فاحشة ، وهو القائل :

يا ناظراً في الدين ما الأمر — لا قدر صحّ ولا جبر
ما صحّ عندي من جميع الذي — تذكر إلّا الموت والقبر

وهو القائل :

باح لساني بمضمر السرّ — وذاك إنّي أقول بالجبر
وليس بعد الممات مرتجع — وإنّما الموت بيضة العقر

فقال أحد الجلساء ، وقد قال في غلام نصراني :

تمرّ فاستحييك أن أتكلّما — ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلّما
أليس عظيماً عند كلّ موحّد — غزال مسيحيّ يعذّب مسلما
فلولا دخول النار بعد بصيرة — عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وقال في نصراني آخر :

ومِلحّة بالعذل ذات نصيحة ... ترجو أنابة ذي مجون سارق

بكرت تخوّفني المعاد وشيمتي ... غير المعاد ومذهبي وخلائقي

فأجبتها كفّي ملامك إنّني ... مختار دين أقسّة وجثالق

والله لولا أنّني متخوّف ... أن أبتلى بإمام جور فاسق

لتبعتهم في دينهم ودخلته ... ببصيرة منّي دخول الوامق

إنّي لأعلم أنّ ربي لم يكن ... ليخصّهم إلّا بدين صادق

فقال الرشيد للفضل : برئت من المنصور ، إن لم يبت هذا الكلب في المطبق ، لتنكرنّي فعلاً وقولاً ، فوجّه الفضل من ساعته من أخذ بأفواه السكك ، فوجد ، فأودع المطبق .

وفي السنة ٢١٠ اطّلع المأمون على أنّ ابراهيم بن عائشة ، وهو عبّاسي من أولاد ابراهيم الامام ، ومحمد بن إبراهيم الإفريقي ، ومالك بن شاهي ، وفرج البغدادي ، بصدد إحداث فتنة في بغداد لخلع المأمون ، ونصب إبراهيم بن المهدي خليفة ، فأمر المأمون بابراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيّام في الشمس ، على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسياط ، ثم حبسه في المطبق ، ثم ضرب مالك بن شاهي وأصحابه ، ثم بلغ المأمون أنّهم بصدد إحداث فتنة في المطبق ، فركب إليهم من ساعته بنفسه ، وكانوا قد سدّوا باب السجن من داخل ، فلم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، فلما وافي المطبق ، دعا بهؤلاء الأربعة ، فضرب أعناقهم صبراً ، وصلبهم على الجسر الأسفل ببغداد (الطبري ٨/٦٠٢ و٦٠٤) .

وكان المطبق في أيّام المأمون ، بباب الشام ، بمدينة المنصور (الاغاني ٢٠/١٧٩) .

وفي السنة ٢٢٧ خرج أبو حرب المبرقع اليماني بفلسطين ، وكان سبب

خروجه على السلطان ، إنّ أحد الجنود أراد أن ينزل في دار أبي حرب ، وهو غائب عنها ، فمنعته احدى حرم أبي حرب ، إمّا زوجته أو أخته ، فضربها بسوط كان معه ، فاتّقته بذراعها ، فأصاب السوط ذراعها ، فأثّر فيها ، فلما رجع أبو حرب إلى منزله ، بكت ، وشكت إليه ما فعل بها ، وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه ، فأخذ أبو حرب سيفه ، ومشى إلى الجندي ، فضربه به فقتله ، ثم خرج على السلطان ، وألبس وجهه برقعاً كي لا يعرف ، وصار إلى جبل من جبال الأردن ، وأخذ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، فاستجاب له جماعة ، وصار في زهاء مائة ألف ، فبعث إليه المعتصم رجاء بن أيّوب الحضاري ، وبعد وقائع ، أسر أبو حرب ، وأسر معه أحد قواده ابن بيهس من رؤساء اليمانيّة ، فحملا إلى سامراء ، وجعلا في المطبق (الطبري ١١٧/٩ و١١٨) .

وفي السنة ٢٣٥ اعتقل المتوكل يحيى بن عمر العلوي ، وكان إلى عمر بن فرج الرخجي أمر العلويّين ، فضربه عمر ثمان عشرة مقرعة ، **وحبسه ببغداد بالمطبق** (الطبري ١٨٢/٩ ، ٢٦٦) .

أقول : هذه المعاملة هي التي أخرجت يحيى وأدّى خروجه إلى قتله .

وفي السنة ٢٤٥ أمر المتوكّل ، فضرب بختيشوع المتطبّب مائة وخمسين مقرعة ، وأثقل بالحديد ، **وحبس في المطبق** . (الطبري ٢١٨/٩) .

وسعي إلى المتوكل ، بذي النون المصري ، فأمر بإحضاره من مصر ، فرآه إسحاق بن إبراهيم السرخسي بمكّة ، وفي يده الغلّ ، وفي رجليه القيد ، وهو **يساق إلى المطبق** ، والناس يبكون حوله . (وفيات الأعيان ١/ ٣١٦) .

ولما قتل بغا الشرابي ، أمر المعتز باعتقال أولاده ، وكانوا قد فرّوا إلى بغداد ، فاعتقل خمسة عشر منهم بقصر الذهب (بمدينة المنصور) ، **وأودع عشرة منهم في المطبق** . (الطبري ٩/ ٣٨١) .

ولما قدم سليمان بن عبد الله بن طاهر ، إلى بغداد ، والياً عليها ، في السنة **٢٥٥** كان قد حقد على الحسين بن اسماعيل المصعبي ، لنصرته لأخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأخذ كاتب الحسين **فحبسه في المطبق** ، وأخذ حاجبه **فحبسه في سجن باب الشام** (الطبري ٩/ ٤٠٠) .

أقول : سجن باب الشام هو مطبق ايضاً راجع الاغاني ٢٠/ ١٧٩ .

وفي السنة **٢٧٢ ثقب المطبق من داخله** ، وأخرج الذوائبي العلوي ، ونفسان معه ، فغلقت أبواب مدينة أبي جعفر ، وأعيد الفارّون إلى الاعتقال ، فأمر الموفّق بأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فقطعت في مجلس الجسر بالجانب الغربي ، وبمحضر من أمير بغداد محمد بن طاهر . (الطبري ١٠/ ٩) .

وغضب أحمد بن طولون (ت ٢٧٠) على أحمد بن إسماعيل بن عمار ، أحد أتباعه ، فحبسه في المطبق ، حتى مات ، وسبب ذلك انّ أحمد بن إسماعيل كان عظيم الإخلاص لأحمد ، وأشار عليه مشورة ، فلم يعمل بها ، فبسط لسانه بانتقاده على جهة الإشفاق عليه ، فقال عنه : أنّه لم يتمرّن في الرئاسة ، وفيه لجاج لا يؤمن عليه منه ، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فحبسه في المطبق حتى مات (المكافأة ١١٥) .

وكان أحمد بن طولون ، قد غضب على مهندس نصراني ، بنى له العين ، **ورماه في المطبق** ، ثم احتاج إليه ، فأحضره ، وقد طال شعره حتى نزل على وجهه . (خطط المقريزي ٢/ ٢٦٥) .

وفي السنة ٢٧٨ لما توفّي الموفق ، كسرت أبواب السجون ، ونقبت حيطانها ، وخرج كلّ من كان فيها ، **وخرج كلّ من كان في المطبق** . (الطبري ١٠/ ٢٢) .

وفي السنة **٢٨٥** أوقع صالح بن مدرك الطائي ، بالحاجّ ، وقتل منهم

خلقاً ، ومات منهم بالعطش أيضاً خلائق ، وأخذ من الناس نحواً من ألفي ألف دينار ، فظفر أبو الأغرّ ، خليفة المبارك السلمي ، بصالح بن مدرك ، وعلم صالح بسوء المنقلب ، فاستلب سكيناً وقتل نفسه ، وكان معه من الأسرى أربعة من أولاد عم صالح بن مدرك ، **أدخلوا المطبق** . (مروج الذهب ٢/٥١٩) .

وشهد رجل ، بمحضر المقتدر ، على الوزير المعزول ، ابن الفرات ، شهادة زور ، فأمر المقتدر بأن يضرب مائة سوط ، ويثقّل بالحديد ، **ويحبس في المطبق** ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة ، في القصة المرقمة ٤/١٢ .

وذكر النوري الصوفي ، أنّه اعتقل وجماعة من **الصوفيّة** ، **في المطبق** ببغداد ، ثم أخرجهم الوالي ليعذّبهم ، فتخلّصوا بأيسر سبب ، راجع تفصيل ذلك في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٨٦ .

وذكر أبو منصور أحمد بن محمد بن مطر ، إنّه كان محبوساً مع الحلّاج في المطبق (تاريخ بغداد للخطيب ٨/١١٦) .

وروى أبو علي الناقد ، **إنّه أبصر في المطبق ببغداد** ، في أيّام المقتدر ، رجلاً مغلولاً ، على ظهره لبنة حديد ، فيها ستّون رطلاً ، وكان الرجل مظلوماً ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدة ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٨٣ .

وحبس المنصور بن أبي عامر ، مروان بن عبد الرحمن الاموي ، **في المطبق** ، فأقام في الحبس سنين ، وكتب يوماً قصّة يشكو فيها أمره ، فرفعت للمنصور ، فأخذها في جملة رقاع ، ودخل إلى داره ، فجاءت نعامة كانت هناك ، فجعل يلقي إليها الرقاع ، فتبتلعها ، ولما ألقى إليها رقعة الأمويّ ،

أخذتها ودارت ثم عادت **فألقتها** ، في حجره ، صنعت ذلك ثلاث مرات ، فتعجّب المنصور ، وقرأ الرقعة ، وأمر بإطلاقه ، فسمّي ؛ طليق النعامة (المعجب للمراكشي ٢٨٦) .

وغضب المنصور ابن ابي عامر ، على كاتبه ابي مروان عبد الملك الجزيري ، **فسجنه في مطبق الزاهرة مدّة** . (اعتاب الكتاب ١٩٦) .

وفي السنة ٤٧٧ حاصر شرف الدولة مسلم بن قريش ، صاحب الموصل ، أنطاكية ، وجرت حرب ، سقط فيها شرف الدولة قتيلاً ، فأخرج أخوه إبراهيم بن قريش ، من السجن ، وكان أخوه قد سجنه ، وملّكوه أمرهم ، **وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة ، بحث أنّه لم يمكنه المشي والحركة لما أخرج** . (ابن الأثير ١٠/١٣٩ ـ ١٤١) .

وهجا المؤيّد الشاعر ، أبو سعيد عطاف بن محمد الألوسي ، المقتفي العباسي ، فحبسه ، **وظلّ في السجن عشر سنين ، وخرج من السجن أعمى** ، فسافر إلى الموصل وتوفي بها سنة ٥٥٧ . (الاعلام ٥/٣١) .

وفي السنة ٥٧٠ اختلت الأحوال بحلب ، على أثر وفاة السلطان الملك العادل نور الدين محمود ، وكان خلفه الملك الصالح إسماعيل في دمشق ، فحضر إلى حلب ، وكان المسيطرون في حلب ثلاثة أخوة ، مجد الدين ابن الداية ، وإليه قلعة حلب ، وأخوه شمس الدين علي وإليه أمور الجيش والديوان ، وبدر الدين حسن وإليه الشحنكيّة ، فلما وصل الملك الصالح إلى حلب ، خرج الناس الى لقائه ، وفي مقدمتهم بدر الدين حسن الذي يلي الشحنكية ، فلما وقعت عليه عين السلطان ترجّل ليخدم هو وأصحابه ، فتقدّم عز الدين جرديك ، أحد القوّاد ، وأخذ بيده ، وشتمه ، وجذبه ، ثم أركبه خلفه رديفاً وقبض سابق الدين أخوه في الحال ، وتخطّف أصحابه بأجمعهم ، وآحتيط عليهم ، واصعدوا إلى القلعة ، فقبضوا على مجد الدين ، وهو

مريض طريح الفراش ، فحمل إلى حيث الملك الصالح فاستقبله أحد مماليك نـور الـدين ، وركله بـرجله ركلة دحـاه بهـا على وجهـه ، فـانشقّت جبهتـه ، وصفّدوا جميعاً بالحديد ، وحبسوا في جبّ القلعـة ، كما قتـل أبو الفضـل بن الخشّـاب رأس الشيعة في حلب ، وكـان المتجرّد في كـلّ ما تقـدم عز الـدين جرديك الذي ولي من بعد ذلك مدينة حماة ، ثم انّ الأمير جرديـك قدم حلب يقترح على الملك الصالح أن يتصالح مع صلاح الدين الأيّوبي ، فغضب عليه الملك الصالح ، وأمر بحبسه ، فقبض عليه ، وثقّل بالحديد ، وأخذ بالعذاب الشديد ، وحمـل إلى الجبّ ، الذي فيـه أولاد الدايـة ، فلما قـدّم جرديـك ، وشدّ في وسطه الحبل ، ودلي إلى الجبّ ، وأحسّ به أولاد الـداية ، قـام إليه منهم حسن ، وشتمه أقبح شتم ، وسبّه الأم سبّ ، وحلف بالله إن أنـزل إليهم ليقتله ، فامتنعوا من تـدليته ، فحضـر الأمير سعـد الدين إلى الجبّ ، وصـاح على حسن ، وشتمه ، وتوعّده ، فسكن حسن ، وأمسك ، وأنزل جرديك إلى الجبّ ، فكـان عند اولاد الـداية ، وأسمعـه حسن كلّ مكـروه (اعلام النبـلاء ٢/٩٠-٩٤) .

وفي السنـة ٩١٠ توفّي عبـد الـرحمن بن عبـد اللطيف الحلبي الجلومي المشهـور بابن الفلكي ، ولي الحجـوبية بـطرابلس ، وعزل فعـاد إلى حلب ، فدسّ عليه بعض أعـدائه عنـد السلطان الغوري ، انّـه ظلم الناس ، وانّـه كان يضرب الفلاّح فيستجيـر بمحمد ﷺ ، فيقـول له : أضـربك إلى أن يخلّصـك منّي محمـد ، فطلبـه السلطان ، وحبسه بـالعرقـانة ، وهي سجن مـظلم جـدّاً بالقاهـرة ، فتركـه في هذا السجن تسـع سنين ، لم يحلق له فيهـا شعر ، ولم يقلّم له ظفر ، فاختلّ بصره ، وطال شعـره وأظفاره ، ثم انّ أختـه توسّلت إلى زوجة السلطان ، فكلّمت السلطان فأطلقه (اعلام النبلاء ٥/٣٦٤ و٣٦٥) .

وكان قراجا باشا ، أوّل باشا في حلب عيّنته الدولة العثمانية لما استولت على ديار الشام ، وكـان الأمير عـز الدين بن الشيـخ مند اليـزيدي ، أميـر لواء

أكراد حلب ، فدسّ لدى قراجا باشا على الأمير قاسم الكردي القصيري ، وقال لقراجا باشا : إنّ له تسع زوجات جمع بينهنّ ، فكتب بأمره إلى السلطان ، فطلب إلى الباب العالي السليمي ، فقتل هناك عند وصوله ، ثم أمر بولده جان بلاط فأبقاه بالسراي نحو ثمان سنين ، فلما تسلطن السلطان سليمان ، رافقه في فتح رودس ، ثم رقّاه حتى باشر سنجق المعرّة ، فقطع دابر المفسدين وقطّاع الطرق ، وكان قد أعدّ لهم سجناً هو بئر عميقة ، وأشبعهم بلاء (عذاباً) حتى حسم مادّتهم (اعلام النبلاء ٦/٨٧ و٨٨) .

وفي السنة ١٢٣٨ (١٨٢٢ م) قدم إلى الجزائر ، من تونس ، رجل من أولاد يونس (بن علي باي) وآلتجأ الى حاكم الجزائر ، فوهب له داراً في قسنطينة ، وأجرى له جارياً بجميع ما يحتاج إليه ، وفي أحد الأيّام ، هجم على مجلس الباي رجل هائل القامة ، عاري البدن ، أظافره مثل أظافر النسر ، وكان يصيح بأنّه يريد حكم الشرع ، فأحضره الباي ، واستنطقه ، فأخبره بأنّه منذ سنوات مسجون في سجن تحت الأرض ، لا يرى فيه النور ، وسأله الباي عمّن سجنه ، فقال : ابن يونس ، فأحضر الباي ابن يونس ، وسأله عن جليّة الأمر ، فخرس لسانه ولجلج ، فانتهره الباي ، وقال له : لو لم تكن غريب الدار لفعلتُ بك مثلما فعلتَ به ، ولكن إذهب إلى دارك وحسبك الله ، فعاد ابن يونس إلى داره وهو مرعوب ، وهرب ليلاً من قسنطينة ولجأ إلى الجبال (مذكرات الزهار ١٥٠) .

٣ ـ المطمورة

المطمورة : حفيرة تتّخذ في باطن الأرض ، ضيّقة الفوهة ، كانت تتّخذ لحفظ الحبوب ، ثم اتّخذ ما يشبهها على شكل حجر مظلمة تحت الأرض ، يوصل إليها دهليز مظلم ضيّق لا ينفذ إليه النور ، قال خالد الكاتب يرثي متاعه :

لا جزاك الله خيراً عن فتى   أيّها العضو العديم المنفعة
طالما طوّفت ساحات الوغى   وفتحت القلعة الممتنعة
وتقحّمت « مطامير الهوى »   فعرفت الضيق فيها والسعة

واتّخذ المعتضد المطامير ، وجعل فيها صنوف العذاب ، وجعل عليها نجاح الحرمي ، المتولّي لعذاب الناس ، فلما ولي المكتفي ، أمر بهدمها ، وإطلاق من كان محبوساً فيها (مروج الذهب ٢/٤٩٦ و٥٢٧) .

وقبض المعتضد على نديمه واستاذه أحمد بن الطيّب الفيلسوف ، وحبسه في المطامير ، ثم قتله ، لأنّه أفضى بسرّ من أسرار المعتضد ، وصل إليه بحكم مجالسته إيّاه ، وذلك إنّ المعتضد أخبر غلامه بدراً بأنّه على أن يعزل عبيد الله بن سليمان وزيره ، عن الوزارة ، فدافعه بدر عن ذلك ، وكان أحمد الطيّب حاضراً المجلس ، فأخبر عبيد الله بما دار من الكلام ، بعد أن أحلفه أن يستره ، فقلق عبيد الله ، وصار من غدٍ إلى المعتضد ، ومعه ثبت

بجميع ما يملك ، وتضرّع إليه كي لا يعزله ، فأنكر المعتضد انّه ارتأى ذلك ، وعنّف بدراً على إفشاء السر ، فحلف له أيماناً مغلظة على براءته ، ثم اعترف عبيد الله بأنّ الذي أخبره هو أحمد بن الطيّب ، فأمر به المعتضد إلى الحبس ، هذا ما ورد في كتاب إعتاب الكتّاب (ص ١٧٧ و١٧٨) وقد ذكر صاحب تاريخ الحكماء (ص ٧٧ و٧٨) انّ الذي حصلت معه القصّة هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، لما صار وزيراً للمعتضد .

وفي السنة ٢٨٤ اتّهم أبو هاشم بن صدقة الكاتب ، بمكاتبة القرامطة ، فاعتقل ، وقيّد ، **وحبس في المطامير** . (الطبري ١٠/٦٤) .

وفي السنة ٢٨٥ قطع صالح بن مدرك الطائي على الحاج بالأجفر ، واستباح القافلة وأخذ جماعة من النساء الحرائر والمماليك ، وقيل إنّه أخذ من القافلة بقيمة ألفي ألف دينار (الطبري ١٠/٦٧) وفي السنة ٢٨٧ واقع الجند العباسي طيئاً ، ووافى أبو الأغرّ ، مدينة السلام ومعه راس صالح بن مدرك هذا ، وراس غلام له أسود ، وأربعة أسارى من بني عمّ صالح ، فنصبت الرؤوس على رأس الجسر الأعلى بالجانب الشرقي ، **وأدخل الاسرى المطامير** (الطبري ١٠/٧٤ و٧٥) .

أقول : ورد هذا الخبر ، في بحث المطبق ، منقولاً عن مروج الذهب ، وقد أثبتناه في هذا البحث لاشتماله على تفصيل أكثر .

وفي السنة ٢٨٧ التقى جيش عمرو بن الليث الصفار ، وجيش اسماعيل بن احمد الساماني ، فأسر عمرو ، وبعث به السامانيّ إلى بغداد ، فحبسه المعتضد في مطمورة (النجوم الزاهرة ٣/١١٩) .

أقول : اقرأ في بحث الإشهار في القسم الأوّل من الفصل الثاني من الباب الخامس من هذا الكتاب ، كيفية دخول عمرو بن الليث مشهراً إلى بغداد ، حيث عرض على المعتضد ، ثم حبس .

وكان من جملة الأسباب التي دعت الغلمان الحجريّة والساجيّة ، إلى الأتّفاق على خلع القاهر العباسي ، إنّه حفر في دار الخلافة نحو خمسين مطمورة تحت الأرض ، وأحكم أبوابها ، فقيل لهم إنّه لمقدّمي الساجيّة والحجريّة ، فاتّفقوا على خلعه ، وخلعوه ، وساروا به إلى الحبس الذي كان قد حبس فيه قائدهم طريف السبكري ، فأخرجوا طريفاً من الحبس ، ووضعوا القاهر فيه (ابن الأثير ٨/٢٨١) .

وكان أبو العشائر محمد بن علي المعروف بابن البلالي ، غالياً في التسنّن ، وكان يقول : إنّ بلالاً خير من موسى بن جعفر ومن أبيه ، فنفاه الوزير القمّي الشيعي الى واسط ، وكان ناظرها غالياً في التشيّع ، فطرحه في مطمورة ، فمات فيها وانقطع خبره (شذرات الذهب ٥/٤٣) .

وكان المؤيّد الألوسي الشاعر (٤٩٤ - ٥٥٧) ، لجأ إلى خدمة السلطان مسعود السلجوقي ، وتعرّض لذكر المقتفي العبّاسي بالسوء ، فقبض عليه المقتفي وحبسه في مطمورة أكثر من عشر سنين ، ولما مات المقتفي أخرجه المستنجد ، وقد غشي بصره من ظلمة المطمورة . (وفيات الأعيان ٥/٣٤٦ و٣٤٧) .

ولما توفّي الوزير بن هبيرة في السنة ٥٦٠ قبض على ولديه ، فهرب أحدهما من السجن في السنة ٥٦١ ثم أعيد إلى الحبس فرمى به في مطمورة ، ولما أرادوا قتله أدلوا إليه حبلاً ، فتعلّق به وصعد . (المنتظم ١٠/٢١٨) .

وفي السنة ٦١٠ غضب الخليفة الناصر على فخر الدين إسماعيل بن علي الرفّاء ، المعروف بغلام ابن المنى ، فقطع لسانه ، وألقاه في مطمورة ، فمات فيها (الوافي بالوفيات ٩/١٥٩) .

وكان أبو إبراهيم اسماعيل بن حجاتن الرجراجي المغربي ، من

الأوتاد ، وغلبت عليه أحوال المشاهـدة ،وكان لا يتكلّم إلاّ بالعربي الفصيح ، وتكلّم ذات يوم في الجامـع ، فتكلّم في حقّ العامـل بكلام خـاف منه النـاس على أنفسهم ، وخرجوا من المسجد كلّهم ، وخرج العامل ، فقيـل له : هـذا هـو الـذي تكلّم في المسجـد بمـا سمعتــه ، فقـال : احملوه إلى السجن ، وقيّـدوه ، وآجعلوه في مطمـورة عميقة ، ففعلوا مـا أمرهـم بـه العامـل ، وبعد ساعة أبصره ماشياً ، فغضب ، وقام بنفسه ، وحمله إلى السجن ، وجعل على رجليـه كبلين ، ودلّاه بالحبـل في حفرة ، وجعـل عليها لـوحـاً ، وأمـر رجـالاً يجلسون عليه (التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات ص ٣٥٩) .

٤ ـ الحبس في الجبّ

الجبّ : البئر العميقة ، والجبّ والمطبق متقاربان ، بل متمـاثلان ، في الضيق ، والظلمة ، والوحشة ، إلاّ أنّي أفردته بالبحث لاختلاف الاسم ، وإلاّ فإنّهما واحد .

وقد روى لنا المؤرخون أنّ المهدي حبس يعقوب بن داود **في بئر بنيت عليها قبّة** ، فمكث في حبسه خمس عشرة سنة ، يدلّى لـه في كلّ يـوم رغيف وكوز ماء ، ويؤذن بأوقات الصلاة ، إذ أنّ نور النهار لا ينفذ إلى موضعه ، فلم يكن يفرّق بين الليل والنهار ، وإنّ هارون الرشيد لما أطلقه ، أمر من دلّى إليه حبلاً ، وطلب منه أن يشدّ به وسطه ، ففعل ، فـأخرجـوه ، فلما تـأمّل الضـوء غشي على بصره (وفيات الأعيان ٧/٢٥ والطبري ٨/١٥٩ والعيون والحدائق ٣/٢٧٨ والفرج بعد الشدة القصة رقم ١٨٣) .

وفي السنـة **٢٢٣** تـآمـر بعض القـوّاد على المعتصم ، ومنهم أحمـد بن الخليل ، فأمر المعتصم به أن يحمل على بغل ، بإكاف بلا وطاء ، وأن يطرح في الشمس إذا نزل ، ويطعم في كلّ يوم رغيفاً واحداً ، ثم أمر أشناس فدفعه إلى محمد بن سعيد السعـدي ، فحفر لـه بئراً في الجـزيرة بسـامراء ، وأنـزله فيها ، وأطبقها عليه ، وفتح له كوّة يرمي إليه منهـا بالخبـز والماء ، فسـأل عنه المعتصم ، فأخبر بـالمكان الـذي هو فيـه ، فقال : أحسب إنّـه قد سمن على هذه الحال ، فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلـك ، فصبّ عليه مـاءً في البئر

ليمتلىء ويغرق ، فلم يمتلىء البئر ، فسلّمه أشناس الى غطريف الجندي ، فمكث عنده أيّاماً ومات (الطبري ٩/٨٧) .

وفي السنة ٥٠٠ أقطع السلطان محمد السلجوقي ، الأمير جاولي سقاوو ، الموصل ، وكان من قبل ذلك في خوزستان وفارس ، وأساء السيرة في أهلها ، فقطع أيديهم ، وجدع أنوفهم ، وسمل أعينهم ، فلما سار إلى الموصل ، تصدّى له صاحبها جكرمش ، وقاتله ، وفرّ أصحاب جكرمش، وبقي هو لا يقدر على الفرار لأنّه كان مصاباً بالفالج ، يحمل في محفّة ، فأسره جاولي ، وسجنه في جبّ ، ووكّل به حراساً لئلا يسرق ، وتوفّي في سجنه (ابن الأثير ١٠/٤٢٤ و٤٢٥) .

وكان الملك الكامل صاحب مصر ، حصر آمد ، وفتحها ، وأخذ صاحبها محمود بن محمد بن قرا أرسلان إلى مصر ، وأكرمه ، فكاتب محمود الروم ، وسعى في هلاك الكامل ، **فحبسه في الجبّ مدّة** ، ثم أطلقه ، فذهب إلى التتار ، فقتلوه في السنة ٦١٧ (النجوم الزاهرة ٦/٢٥٠) .

وغضب الملك الكامل ، صاحب مصر ، على صلاح الدين الإربلي ، **فحبسه في الجبّ سنتين** ، ثم أخرجه ، وتوفّي الصلاح سنة ٦٣١ . (النجوم الزاهرة ٦/٢٨٦) .

وفي السنة ٦٥٥ قبض بالقاهرة على الأتابك سنجر الحلبي ، **وأنزلوه إلى الجبّ بالقلعة** . (النجوم الزاهرة ٧/٤٢) .

وفي السنة ٧١٠ اعتقل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، نائب حلب الأمير أسندمر كرجي ، وحمل إلى القاهرة ، **وآعتقل بالقلعة** ، وبعث يسأل السلطان عن ذنبه ، فأعاد جوابه : مالك ذنب إلّا أنّك قلت لي لما ودّعتك عند سفرك : يا خوند ، لا تبق في دولتك كبشاً كبيراً ، ولم يبق عندي كبش كبير غيرك . (النجوم الزاهرة ٩/٢٧) .

وكانت بالهند قلعة اسمها : الدويقير ، فيها سجن أهل الجرائم العظيمة ، في جباب بها (جمع جبّ ، وهو البئر العميقة) ، وبها فيران كبار الحجم ، أعظم من القطط ، بحيث أنّ القطط تهرب منها ، قال الرحّالة ابن بطوطة ، إنّه رآها هناك ، وإنّ الملك خطّاب الافغاني ، أخبره إنّه كان مسجوناً هناك ، في جبّ بهذه القلعة ، يسمّى : جبّ الفيران ، فكانت تجتمع عليه ليلاً ، وتهاجمه ، فيقاتلها ، ويلقى من ذلك جهداً ، وكان سبب خروجه من هذا الجبّ ، إنّ الملك (ملّ) كان مسجوناً في جبّ يجاوره، فمرض ، وأكلت الفيران أصابعه وعينيه ، فمات ، وبلغ السلطان ذلك ، فأمر بإخراجه ، وكان السلطان في ذلك الحين ، السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند [٧٢٥ ـ ٧٥٢] مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٦٩ و١٧٠ .

وفي السنة ٧٦٩ قبض السلطان الأشرف ، على جماعة من المماليك ، ووجّه بهم إلى قلعة الكرك ، حيث سجنوا في جبّ مظلم (بدائع الزهور ١/٢/٧١) .

وفي السنة ٧٨٨ مات أمير المدينة هيازع بن هبة الحسني ، في سجن سلطان مصر ، وكان قد غضب عليه ، وآعتقله بمصر ، ثم أرسله إلى الإسكندرية فأبقاه محبوساً في الجبّ ، إلى أن مات . (الاعلام ٩/١١٣) .

وفي السنة ٧٩١ أمر الأمير الكبير منطاش بالقاهرة ، بأن تخلى خزانة الخاصّ ، مما فيها من الصناديق ، وأن تسدّ شبابيكها ، وبابها ، وأن يفتح لها من سقفها طاق ، لتتّخذ جبّاً يحبس بها من يراد حبسه . (تاريخ ابن الفرات ٩/١٦١) .

وفي السنة ٩٧٥ كان الإمام الزيدي ، المطهّر ، يحاصر صنعاء اليمن ، وكان أمير صنعاء العثماني محمد بك قزل باش ، فآستسلم للإمام ، ونزل هو

وقوّاده على أمان المطهّر ، فآعتقلهم ، وجعل كلّ أمير من الأمراء في بئر ، على فوهته عدد من الرقباء والحرّاس ، يدلى إليه في كلّ يوم قليل من الماء والطعام (البرق اليماني ١٨٣) .

وفي السنة ٩٧٦ فرّ الأمير عبد الله الداعي الهمداني ، من حبس الإمام المطهّر الزيدي ، فندم لأنّه لم يقيّده ، وكان عنده عدّة أمراء عثمانيّين من كبار القوّاد قد سجنهم في آبار محفورة ، فأمر فقيّد كلّ أمير منهم بنصف قنطار من الحديد الموزون (البرق اليماني ٢٢٨ و٢٢٩) .

٥ ـ الحبس في السرداب

السرداب : فارسيّة ، معناها : الماء البارد (شفاء الغليل ١٠٥) ، وهو حجرة في باطن الأرض ، تتّخذ تحت مستوى أرض الدار ، وقد اتّخذ السرداب في الأصل ، ليستكنّ فيه من يريد الاحتماء من وقدة الشمس إبّان القيظ ، فإن كانت الحجرة للعقوبة ، تركت من دون كوّة ، ولا نافذة ، ولا منفذ لها إلا الباب ، فساءت تهويتها ، وشاعت الظلمة فيها ، وأصبحت مماثلة للمطبق من جميع الجهات .

أمّا إذا أريد بها التنعّم في الصيف ، فيتّخذ للسرداب ، كوى لجلب الضوء ، ومنافذ لجرّ الهواء تسمّى : البادكير أو البادهنج ، راجع وصف ذلك في حاشية القصة ١٨٠ من كتاب الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلّف .

حبس المنصور ، عبد الله بن الحسن ، وأقاربه من بني الحسن ، **في سرداب تحت الأرض ، لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً** ، والسرداب عند قنطرة الكوفة ، ولم يكن عندهم بئر للماء ، ولا سقاية ، فكانوا يبولون ويتغوّطون في موضعهم ، وإذا مات منهم ميت ، لم يدفن ، بل يبلى وهم ينظرون إليه ، فاشتدّت عليهم رائحة البول والغائط ، فكان الورم يبدو في أقدامهم ، ثم يترقّى إلى قلوبهم ، فيموتون ، ويقال : إنّ أبا جعفر ، **ردم عليهم السرداب فماتوا** . وكان يسمع أنينهم أيّاماً (النجوم الزاهرة ٢ / ٤) .

ومات إسماعيل بن الحسن ، فترك عندهم ، حتى جيف ، فصعق أخوه داود ، ومات (مروج الذهب ٢/ ٢٣٦) وقيل إنّ بعضهم وجدوا مسمّرين في الحيطان (اليعقوبي ٢/ ٣٧٠) .

وغضب الأمين على عمّه إبراهيم المهدي ، فأمر به ، فحبس في سرداب في داره ، راجع القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٨٥ .

ولما اعتقل المعتصمُ ، ابن اخيه العباس بن المأمون ، وقتله ، لاتّهامه إيّاه بالتآمر عليه ، اعتقل أشقّاءه ، أولاد سندس من المأمون ، ودفعهم إلى القائد إيتاخ ، فحبسهم في سرداب من داره ، حيث ماتوا .

وكان من أراد المعتصم أو الواثق ، قتله ، فعند إيتاخ يقتل ، وبيده يحبس ، منهم محمد بن عبد الملك الزيات ، وأولاد المأمون من سندس ، وصالح بن عجيف وغيرهم (الطبري ٩/ ٧٩ و١٦٧) .

وفي السنة ٤٤٤ قبض عيسى بن خميس بن مقن ، على أخيه أبي غشّام صاحب تكريت ، بها ، وسجنه في سرداب بالقلعة ، واستولى على تكريت . (ابن الأثير ٩/ ٥٩١) .

وفي السنة ٥٢٨ قبض الخليفة المسترشد العباسي ، على نظر الخادم (الخصي) ببغداد ، وحبسه في سرداب ، واستصفى أمواله فلما انكسر عسكر المسترشد في السنة ٥٢٩ وأسره السلطان مسعود ، طلب مسعود من المسترشد أن يطلقه ، فأطلقه (المنتظم ١٠/ ٤٦) .

٦ ـ الحبس في زورق مطبق

والزوارق المطبقة ، تحاط من جهاتها بحواجز من الخشب أو الحديد ، تحول دون رؤية ما في داخلها ، كما تحول بين من في داخلها ورؤية ما في الخارج ، وهي ـ في العادة ـ تتّخذ واسطة لنفي من يراد نفيه ، أو نقله إلى موضع من المواضع البعيدة ، بحيث يكون في داخل الزورق ، وكأنّه في حبس منفرد .

وقد يتّخذ الزورق نفسه ، موضعاً لسجن من يراد سجنه ، كما صنع الطيّب بن يحيى ، صاحب حرس الحسن بن سهل ، قائد المأمون ، فإنّ الحسن لما قبض على زيد بن موسى بن جعفر العلوي ، الذي خرج بالبصرة ، وأحمد بن محمد بن عيسى الجعفري ، أسلمها إلى صاحب حرسه ، الطيّب بن يحيى ، فضيّق عليهما ، بأن حبسهما في سفينة ، وأطبق عليها ألواحاً ، وجعل لها فتحاً يدخل منه الطعام والشراب ، وعندهما دنٌّ مقطوع الرأس ، يُحدثان فيه ، فإذا كاد أن يمتلىء ، أخرج ، فرمي ما فيه ، ثم ردّ ، راجع التفصيل في القصة رقم ٤٠٣ من كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق مؤلّف هذا الكتاب .

أمّا فيما يتعلّق باللّون الأوّل ، وهو نفي المطلوب نفيه في الزوارق المطبقة ، فقد مارسه الوزير أبو الحسن بن الفرات ، مع سليمان بن الحسن بن مخلد وكان الوزير ابن الفرات قد أحسن إلى سليمان بن الحسن

بن مخلد ، وقلّده ديوان الخاصّة ، ولكنّ سليمان سعى عليه لدى الخليفة ، فقبض ابن الفرات عليه ، وأنفذه إلى واسط ، في زورق مطبق ، وصودر ، وعذّب بواسط : راجع كتاب نشوار المحاضرة ٨/١٩١ رقم القصة ٨٢ .

وفي السنة ٣٢١ أمر علي بن يلبق بالقبض على البربهاري ، رئيس الحنابلة ، فآستتر ، وقبض على جماعة من كبار أصحابه ، وجعلوا في زورق مطبق ، وأحدروا إلى البصرة . (تجارب الأمم ١/٢٦٠ و٢٦١) .

وفي السنة ٣٥٠ ثارت فتنة في بغداد ، بين العلويّين والعباسيين ، وكان الوزير أبو محمد المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، قد غضب على محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي (الهاشمي) ، فقال : طبّقوا عليه زورقاً وآنفوه إلى عمان ، فراسله الخليفة المطيع ، فعفا عنه ، وتلقّط خلقاً من أحداث الهاشميّين ، فجعلهم في زواريق ، وطبّقها عليهم ، وسمّرها ، وأنفذها إلى بصنّى وبيروذ فحبسهم في حبوس ضيّقة هناك ، ودور تجرى مجرى القلاع ، راجع القصة على تفصيلها في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ، رقم القصة ١/٣٧ .

القسم الثالث

الحبس بقصد الاهانة

١ ـ الحبس في الكنيف
٢ ـ الحبس في الاصطبل
٣ ـ الحبس في دار المجانين
٤ ـ الحبس في قفص



١ ـ الحبس في الكنيف

الحبس في الكنيف ، جرت ممارسته بقصد الإذلال .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، على ما بلغنا ، المأمون ، وهذا أمر مستغرب من صدوره من مثله ، مع ما عرف من فضله وكريم خلقه ، مارسه مع جاريته عَرِيب ، لما وقف على أنّها تتعشّق أحد الفتيان ، فقد كانت عريب المأمونية ، تتعشّق محمد بن حامد ، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت ، فلما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد ، أمر بإلباسها جبّة صوف ، وختم زيقها ، وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء ، يدخل إليها خبز وملح وماء ، من تحت الباب في كلّ يوم ، ثم ذكرها ، فرقّ لها ، وأمر بإخراجها ، وظلّت على محبّة محمد بن حامد ، فزوّجه المأمون بها (الاغاني ٢١/٦٨ و٦٩) .

وعذّب بهذا اللون من العذاب ، أبو أيّوب سليمان بن وهب ، وكان يكتب لإيتاخ الخزري ، القائد ، وكان إيتاخ عظيماً في دولة المعتصم والواثق ، فلما قبض المتوكل على إيتاخ قبض على كاتبه سليمان بن وهب ، وسلّمه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي وقال له : هذا عدوّي ، ففصّل لحمه عن عظمه ، وإنّ إسحاق أخذه فقيّده بقيد ثقيل ، وألبسه جبّة صوف ، وحبسه في كنيف ، وأغلق عليه خمسة أبواب ، فكان لا يعرف الليل من النهار ، وأقام على ذلك عشرين يوماً ، لا يفتح عليه الباب إلاّ دفعة واحدة في كلّ يوم

وليلة ، يدفع إليه فيها خبز وملح جريش ، وماء حار ، فكان يأنس بالخنافس وبنات وردان ، ويتمنّى الموت من شدّة ما هو فيه للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة تحقيق المؤلف القصة رقم ٧٣ .

وأحضر الوزير حامد بن العباس ، المحسّن بن الفرات ، فصفعه صفعاً عظيماً ، ثم ردّوه إلى الحجرة التي كان فيها ، **وحبسوه في الكنيف** ، ودلّوا رأسه في بئره (الوزراء للصابي ٢٦٤) .

والظاهر أنّ الحبس في الكنيف ، كان في تلك الأيّام متعارفاً ، إلى درجة أنّ معزّ الدولة البويهي ، كان أوّل تهديدٍ هدّد به وزيره الصيمري ، أن **يحبسه في الكنيف** ، راجع القصّة ١/٤٧ من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، وروى السيوطي ، في كتاب تحفة المجالس ، ونزهة المجالس ، ص ٣٣١ قصّة غلام يروي لسيّده ، إنّه في سبيل تعديل آعوجاجه ، حبس ، وضرب ، وقيّد ، وعوقب ، وألبس الصوف ، **وبيّت في الكنيف** ، ولم يرعو .

وفي السنة ١٢٠٥ (١٧٩٠ م) توفّي الأمير محمد باشا المجاهد ، صاحب الجزائر ، فخلفه الخزناجي حسن ، فأصبح حسن باشا ، وبعد أن تمت بيعته ، أصدر أمره باعتقال على أغا ، الذي كان يزاحمه في طلب الولاية ، فاعتقل ، وحبس في مطهّرة (حمّام أو كنيف) (مذكرات الزهار ٥١ و٥٢) .

٢ ـ الحبس في الاصطبل

والحبس في الإصطبل ، يراد به الإذلال كذلك ، وإن كـان أقلّ أذى من الحبس في الكنيف .

وقد مارس هذا اللون من العذاب ، الأمير منطاش بـالقاهـرة ، فإنّـه في السنة ٧٩١ طلب من العلّامة شمس الدين الركراكي ، أن يكتب بتأييد الفتـوى الصادرة ضدّ الملك الظاهر ، فـأبى ، فأمـر به فضـرب مائـة ضربـة ، وسجن بالاصطبل . (بدائع الزهور ١/٢/٤١٨ والنجوم الزاهرة ٣٦٢/١١ وتاريخ ابن الفرات ١٦٢/٩) .

وفي السنة ١٢٤٦ اتّهم عامل حمص الشاعر أمين الجندي بأنّه قد هجاه فحبسـه في الإصطبـل فاتّفق بعـد أربعة أيّـام أن هجم جمـاعـة على العـامـل وقتلوه ، وأطلقوا الشاعر الجندي من سجنه (أعيان القرن الثالث عشر ٤٠) .

٣ ـ الحبس في دار المجانين

تناول القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسن التنوخي (ت ٤٤٧) الكافي أبا عبد الله القنائي ، بكلام قبيح ، وبلغ ذلك الكافي ، فلام التنوخي ، وقال له : يا قاضي ، ما فعلتُ معك قبيحاً يقتضي طعنك عليّ ، فقال له : يا مولانا ، أنا مجنون ، فقال : إذا كنت مجنوناً ، فالمارستان لمثلك عمل ، وفي حملك إليه ومداواتك فيه ، ثواب ومصلحة ، وكفّ لك عن الناس ، ونادى العريف الذي على بابه ، وقال له : احمله الى المارستان ، وآحبسه مع إخوانه المجانين ، فأخذ ، وحمل إلى المارستان ، وحبس فيه ، فركب المرتضى والرؤساء إلى الكافي ، وكلّموه فيه ، حتى أطلق (معجم الأدباء ٣٠٧/٥ و٣٠٨) .

وفي السنة ٦٢٦ نقل عن عبد الله بن إسماعيل ببغداد ، ما اقتضى إحضاره إلى دار الوزارة ، فضرب مائة عصا ، وقطع لسانه ، وحمل إلى المارستان العضدي ، وحبس في حجرة المجانين (الحوادث الجامعة ٤) .

وفي السنة ٦٢٦ ظهرت خيانة على عبد العزيز القبيطي ، المكلّف بحفظ الحوائج في مخزن المارستان العضدي ، حيث جرى جرد ما هو موجود في المخزن ، وسئل صاحب المخزن وخازن المارستان ، والطبيب ، والقوام ، فاتفقوا على أنّ الموجود من الحوائج في المخزن تكفي مرضى المارستان سنة كاملة ، وكان ابن القبيطي قد أنهى أنّ المارستان خال من

الحوائج ، وانّه يشتري ما يحتاج إليه المرضى ، فأمر به فصفع إلى أن وقع على الأرض ، وتقدم بحمله إلى حجرة المجانين ، فحبس بها مسلسلاً (الحوادث الجامعة ص ١) .

وفي السنة ٦٢٨ جيء بإنسان من همذان ادّعى انّ له آتّصالاً بالخليفة المستنصر ، فقطع لسانه ، وحبس بالمارستان (الحوادث الجامعة ٢٤) .

وفي السنة ٦٩٩ ادّعى أبو العباس الملثّم أحمد بن عبد الله بن هاشم (٦٥٨ ـ ٧٤٠) إنّه المهدي فحبسوه عند المجانين ، ثم أراد الفقهاء أن يشنقوه ، فأرسل إليه القاضي تقي الدين بن دقيق العيد أن يظهر التجانن ، فكسر الكوز الذي عنده فيه الماء ، وكسر الزبديّة التي فيها الطعام ، وشطح في الناس ، فحكم القاضي بأنّه مجنون ، وأطلقه (الدرر الكامنة ١/١٩٧ ـ ٢٠٠) .

وفي السنة ٧٨١ قبض بالقاهرة على رجل ادّعى النبوة ، وأنّه من مضر ، وأنّ الوحي يجيئه تارة بواسطة جبرائيل ، وتارة بواسطة ميكائيل ، وأنّه أنزل عليه قرآن خاصّ به ، فضرب بالمقارع ، وسجن مع المجانين بالمارستان ، ثم رجع عن قوله فأفرج عنه . (بدائع الزهور ١/٢/٢٤٩) .

وأمر أحد القضاة بالفقيه الشيخ محمد بن محمد الزغبي الدمشقي (ت ٩٧٨) فحبس بالبيمارستان (دار المجانين) (الكواكب السائرة ٣/٣٤) .

٤ ـ الحبس في قفص

وفي السنة ٣٤٧ فتح القائد جوهر ، مدينة سجلماسة ، واعتقل صاحبها الشاكر للّه محمد بن الفتح بن ميمون من آل مدرار ، وساقه أسيراً إلى المهدية ، ومعه أحمد بن أبي بكر اليفرني ، أمير فارس ، وخمسة عشر رجلاً من أشياخها ، ودخل بهم إلى المعزّ ، وهم بين يديه **في أقفاص من خشب** ، على ظهور الجمال ، وعلى رؤوسهم قلانس من لبد ، مستطيلة ، مثبّتة بالقرون (الاعلام ٨/٧٨) .

وفي السنة ٥٤٨ حارب السلطان سنجر شاه السلجوقي ، الترك ، فكسروه ، **وأسروه ، ووضعوه في قفص من حديد** ، فبقي فيه مدّة ، وهو يخدم نفسه ، وليس معه أحد . (عيون التواريخ ٤٦٥ و٤٦٦ والنجوم الزاهرة د/٣٠٤) .

وفي السنة ٥٥٠ قتل نصر بن عباس ، الخليفة الظافر الفاطمي ، بأمر من أبيه عباس ، وزير الظافر ، فقصدهما الملك الصالح طلائع بن رزّيك ، ففرّا إلى الشام ، وقتل عباس ، وقبض على نصر فأعيد إلى القاهرة ، **في قفص من حديد** . (النجوم الزاهرة ٥/٣١٠) .

وفي السنة ٦٣٥ حصر بدر الدين لؤلؤ ، الملك الصالح أيّوب بن الكامل ، بسنجار ، فأرسل إليه الصالح يطلب الصلح ، فقال : لا بدّ من حمله في قفص . (النجوم الزاهرة ٦/٢٩٩) .

ويروى أنّ تيمور كوركان ، المعروف بتيمورلنك ، وكان أعرج ، لما انتصر على السلطان بايزيد العثماني ، وأسره ، وكان أعور ، حبسه في قفص ، وكان يحمله معه أينما رحل ، ويحضره في أوقات فراغه ، فيحادثه ، ورآه في أحد الأيّام ، كئيباً منكسراً ، فقال له : أحسبك تذكّرت ضياع ملكك فآكتأبت ؟ إنّ هذه الدنيا لو كانت تساوي في نظر الخالق شيئاً ، لما تركها مقسومة بين أعرج وأعور .

ولما فتح الشاه عباس الصفوي بغداد ، في السنة ١٠٣٢ وأسر بكر الصوباشي ، وضعه وأخاه عمر ، في قفص من حديد . (تاريخ العراق للعزاوي ٤/١٦٥ ـ ١٨١) .

وفي السنة ١١٨٥ تولّى سليمان شاه بن أحمد شاه ، الإمارة في قندهار ، فخرج عليه أخوه تيمورشاه في هراة ، وحارب أخاه سليمان ، فظفر به ، وحبسه في قفص ، وظلّ في حبسه في القفص حتى مات (أعيان القرن الثالث عشر ٢٧٧) .

واشتبك الأخوان محمود شاه (١٢٠٧ ـ ١٢٤٦) وشاه شجاع ، ولدا تيمورشاه ملك الأفغان ، في تنازعهما على السلطان ، فآنفلّ جيش شاه شجاع ، فاستنجد بعطا محمد والي كشمير ، فنهد إليه على رأس خمسة آلاف من الجنود ، ولكنّه لما وافى ، قبض على شاه شجاع ، وحبسه في قفص ، وحمله معه إلى كشمير (اعيان القرن الثالث عشر ٢٨٤) .

وآخر من عوقب بالحبس في قفص ، على ما بلغنا ، أمير هندي ، من أمراء البيت المالك في دهلي ، فإنّه قابل الأميرة جهان بيكم ، ابنة الأميرة سكندر بيكم ، أميرة بهوبال (ت ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م) وطلب الاقتران بها ، وكانت المقابلة في بيت أحد أقاربها ، وبلغ الأميرة سكندر بيكم ذلك .

فأمرت بابنتها ، فضربت ضرباً مبرّحاً ، وحبستها في غرفتها أشهراً ، وأمرت بالأمير ، فوضع في قفص ، وعلّق القفص على باب القلعة في بهوبال ، وظلّ الأمير معلقاً شهوراً ، حتى توسّط الإنكليز في إطلاق سراحه ، فعفت عنه ، وأطلقت سراحه (اعلام النساء ٢/٢٠١) .

الفصل الثاني

القيد والغل والمسوح وجباب الصوف



القسم الأول

القيد والغلّ

أسلفنا انّ **القيد** في اللغة كلّ ما يمنع من التصرّف ، جمعه قيود وأقياد ، ومنه أخذ القيد الذي هو التسجيل في الدفاتر لكي تضبط الكلمة فلا تضيع ، قال النبي صلوات الله عليه : قيّد الإيمان الفتك ، ومعناه : إنّ الإيمان يمنع من الفتك ، كما يمنع القيد صاحبه عن التصرّف ، وقال آمرؤ القيس ، يصف فرسه :

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

أراد إنّه لسرعته كأنّه يقيّد الأوابد ، التي هي الحمر الوحشيّة ، فكأنّه يقيّدها فيلحقها .

والغلّ : طوق حديد يوضع في اليد أو العنق ، وقال صاحب لسان العرب : الغلّ ، وجمعه أغلال ، هو الجامعة التي توضع في العنق أو اليد ، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، يعني ممسوكة عن الإنفاق ، وقال : إنّ الغلّ يكون من القدّ أو الحديد .

والجامعة : القيد إذا ربط اليدين بالعنق ، فجمعها معاً ، والجمع في اللغة الضمّ والتأليف ، ومنه يوم الجمعة ، والمسجد الجامع ، لأنّ الناس يجتمعون فيه ، وتسمّى المزدلفة جمعاً ، لأنّ الناس يجتمعون فيها .

وممارسة العذاب بالقيد والغلّ ، قديمة ، قدم الحبس ، وكان أكثر

المحبوسين يقيّدون ويكبّلون ، حتى أنّ هدبة بن الخشرم الشاعر ، وكان قد حبس ليقتل قوداً ، لارتكابه جريمة قتل ، فإنّه لما حبس ، أثقل بالقيود ، ولما دخلت عليه امرأته السجن ، دخلت إلى رجل قد طال حبسه ، وأنتنت في الحديد رائحته (الاغاني ٢١/٢٦٦) .

وكتب معاوية بن أبي سفيان ، إلى زياد بن أبيه ، أن يطلب عبد الله بن هاشم المرقال ، أشدّ الطلب ، فإذا عثر عليه « فاَحلق رأسه ، وألبسه جبّة شعر ، وقيّده ، وغلّ يده إلى عنقه ، واَحمله إليّ على قتب بغير وطاء ولا غطاء » (شرح نهج البلاغة ٨/ ٣٠ و٣١) .

أقول : كان هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، الملقّب بالمرقال ، من أصحاب عليّ ، وكان شديد الوطأة على معاوية وأصحابه في معارك صفين ، وكان ولده عبد الله مثله في شجاعته وشدّة وطأته على أهل الشام ، وقتل هاشم في إحدى معارك صفّين ، فلما انقضى أمر صفّين ، وصالح الحسن معاوية ، اشترط معاوية على نفسه أن لا يطلب أحداً من أصحاب علي بما كان منهم قبل المصالحة ، فلما تمّ الصلح ، حنث بما تعهّد به ، وطلب أصحاب عليّ ، فمنهم من قتله مثل عمرو بن الحمق الخزاعي ، وحجر بن عدي وأصحابه ، ومنهم من حبسه مثل عبد الله بن هاشم المرقال ، راجع تفصيل القصّة في كتاب شرح نهج البلاغة ٨/ ٣٠ ـ ٣٣ .

ولما قتل الحسين عليه السلام ، وأصحابه ، في موقعة الطفّ ، أرسل عبيد الله بن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه ، إلى دمشق ، وحمل مع الرؤوس نساء الحسين وبناته وصبيانه ، وفيهم علي بن الحسين (زين العابدين) وكان صبياً مريضاً ، فوضع ابن زياد الغلّ في يديه وفي عنقه ، وحمل الجميع على الأقتاب (ابن الأثير ٤/٨٣ والطبري ٥/ ٤٦٠) .

ولما قتل الحسن عليه السلام بالعراق في السنة ٦١ ، أخذ عبد الله بن الزبير يدعو إلى نفسه ، ويبايع الناس بمكة ، فبلغ ذلك يزيد ، فحلف ليوثقنّه في سلسلة ، وبعث إلى الحجاز بسلسلة من فضّة ، ليوثق بها ، وبرنس خزّ ، فبلغ ذلك ابن الزبير ، فقال : (الطبري ٥/٤٧٥ و٤٧٦) .

إنّي لمن نبعة صمّ مكاسرها   إذا تناوحت القصباء والعشر
فلا ألين لغير الحقّ أسأله   حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وقال عبيد الله بن الحر ، لما حبسه مصعب بن الزبير ، يصف أقياده (الطبري ٦/١٣١) .

فمن مبلغ الفتيان أنّ أخاهُمُ   أتى دونه بابٌ شديدٌ وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها   إذا قام عنّته كبول تجاذبه
على الساق، فوق الكعب، أسودُ صامتٌ   شديدٌ يداني خطوه ويقاربه

وقال أبو محجن الثقفي ، لما حبس من قصيدة : (الاغاني ١٩/٥) .

إذا قمت عنّاني الحديد وغلّقت   مصاريع من دوني تصمّ المناديا
وقد شفّ جسمي أنّني كلّ شارق   أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا

وللبغداديين ، اصطلاح عامي بغداديّ ، يطلق على الموغل في الشرّ ، فهم يسمّونه : سيبندي ، فارسية وتعنى المربوط من ثلاث ، إذ كان الشرير يحبس ، فإن زاد شرّه حبس مقيّداً ، فإن أوغل في الشرّ ، قيّد ساقاه ، وربطت إحدى يديه معهما ، وتركت له يد واحدة يقضي بها حاجاته ، راجع موسوعة الكنايات العامية البغدادية للمؤلف ج ٢ ص ١٨٠ .

من طريف ما يذكر ان المسجونين في سجن بغداد يكنون عن

المسجونين الذين لم تقيد أرجلهم بالسلاسل والقيود ، بأنّهم حفاة ، ويكنون عن الردهة التي تضمّ المسجونين الذين لم تقيد ارجلهم بالسلاسل « قاووش الحفّاي » .

أقول : القاووش ، تركية ، معناها الردهة ، اي الحجرة الواسعة ، والحفّاي : جمع عامي بغدادي مفرده : الحافي ، والجمع الفصيح : الحفاة ، راجع موسوعة الكنايات العامية البغدادية للمؤلف ج ٢ ص ٢٩٨ .

ومن طريف ما يذكر في أخبار القيد ، إنّ الفرزدق الشاعر ، قيّد رجله بالحديد ، وآلى على نفسه ألّا يحل قيده حتى يحفظ القرآن ، وسبب ذلك : إنّ غالب بن صعصعة ، وفد على الإمام علي ، ومعه ابنه الفرزدق ، فقال له : من أنت ؟ قال : غالب بن صعصعة ، قال : ذو الإبل الكثيرة ، قال : نعم ، قال : ما فعلت إبلك ؟ قال : أذهبتها النوائب ، وزعزعتها الحقوق ، قال : ذاك خير سبلها ، ومن هذا الغلام معك ؟ قال : ابني ، وهو شاعر ، فقال له : علّمه القرآن فهو خير له من الشعر ، فكان ذلك في نفس الفرزدق ، حتى قيّد نفسه ، وآلى ألّا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن ، فما حلّه ، حتى حفظه ، وذلك حيث قال : (شرح نهج البلاغة ١٠/٢١ و٢٢) .

وما صبّ رجلي في حديد مجاشع مع القدّ إلّا حاجة لي أريدها

أقول : لقول الإمام علي ، في غالب ، إنّه صاحب الإبل الكثيرة ، قصّة يقتضي إيرادها هنا ، وهي إنّ غالب كان رئيساً لقومه ، وله مناقب ومحامد ، منها إنّه أصاب أهل الكوفة مجاعة ، وهو بها ، فخرج أكثر الناس إلى البوادي ، فكان هو رئيس قومه ، وكان سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه ، وآجتمعوا بمكان يقال له صَوْأر ، في أطراف السماوة من بلاد كلب ، على مسيرة يوم من الكوفة ، فعقر غالب لأهله ناقة ، وصنع منها طعاماً ،

وأهـدى إلى قوم من تميم لهم جـلالة ، جفـاناً من ثـريـد ، ووجّـه إلى سحيم جفنة ، فكفأها ، وضرب الذي أتاه بها ، وقال : أنـا مفتقر إلى طعـام غالب ؟ إذا نحر ناقة ، نحرت أنا أخرى ، فوقعت المنافرة بينهما ، وعقـر سحيم لأهله ناقة ، فلما كان من الغد ، نحر غالب ناقتين ، فعقر سحيم ناقتين ، فلمـا كان اليوم الثالث ، عقر غالب ثلاثاً ، فعقر سحيم ثلاثاً ، فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة ، ولم يكن عند سحيم هـذا القدر ، فلم يعقـر شيئاً ، وأسـرّها في نفسـه ، فلما انقضت المجـاعة ، ودخـل الناس الكـوفة ، قـال بنـو ريـاح لسحيم : جررت علينا عار الدهـر ، هلاّ نحـرت مثل مـا نحر ، وكنّـا نعطيـك مكان كلّ ناقة ناقتين ، فاعتـذر بأنّ إبله كـانت غائبـة ، وعقر بـالكوفـة ثلثمائـة ناقة ، وقال للناس : شـأنكم والأكل ، وكـان ذلك في خـلافة الإمـام علي بن أبي طـالب ، فآستفتي في حـلّ الأكل منهـا ، فأفتى بحـرمتها ، وقـال : هـذه ذبحت لغير مأكلة ، ولـم يكن المقصود منها إلاّ المفـاخرة والمبـاهاة ، فـألقيت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلتها الكلاب والرخم والعقبان (وفيات الأعيـان ٨٦/٦ و٨٧) .

ولـمـا أراد عبد الملك ، أن يقتـل عمرو بن سعيـد الأشدق ، جمعـه في جامعة ، أي أنّه قيد يـديه إلى طـوق في عنقه ، وقـال له : مـا كنت لأخرجهـا منك إلاّ صُعُداً ، يعني أن يقـطع رأسه فيخـرج الطوق من عنقـه صُعُداً راجـع الطبري ١٤٣/٦ و١٤٤ .

ولما هلك الحجّاج ، استخلف مكـانه يـزيد بن أبي مسلم ، فكـان مثله في الـظلم والجور ، فـأقرّه الـوليد بن عبـد الملك على العـراق ، ولـمـا مـات الـوليـد ، واستخلف سليمـان بن عبـد الملك ، ولّى يــزيـد بن المهلّب على العراق ، وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة ، وكان يزيد هـذا ، قصيراً دميماً ، قبيح الوجه ، عظيم البطن ، تحتقره العين ، فلما نـظر إليه سليمـان ، قال له : أنت يـزيد بن أبي مسلم ؟ قـال : نعم ، قال : لعن الله من أشـركك

في أمانته وحكّمك في دينه ، قال : يا أمير المؤمنين إنّك رأيتني والأمـور عنّي مـدبـرة ، ولـو رأتني وهي عليّ مقبلة ، لاستعـظمت منّي مـا استصغـرت ، ولاستجللت مـا احتقرت ، قـال : أترى صـاحبك الحجّـاج يهوي بعـد في نار جهنّم ، أم قد استقرّ في قعرها ؟ فقال يزيد : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحجّاج يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وعن شمال أخيـك ، فضعه حيث شئت . (وفيات الأعيان ٦/٣٠٩ و٣١٠) .

وفي السنة ٩٠ نقض نيزك طرخان التـركي ، عهده مـع قتيبة بن مسلم ، وغدر به ، واتّفق مع ملوك الترك في بلخ ومرو والطالقان والفارياب والجوزجان على حـرب قتيبة ، ثم قـدم على طخارستـان ، فأخـذ ملكهـا وقيّـده بقيـد من ذهب ، ووضع عليه الرقباء ، وآستعدّ للحرب . (الطبري ٦/٤٤٦) .

وفي السنـة ٩٠ لما فـرّ يزيـد بن المهلّب ، من سجن الحجّاج ، التجـأ إلى سليمان بن عبد الملك ، فـأبى الوليـد أن يؤمّنه ، وأمـره أن يبعث به إليـه في وثاق ، فبعث سليمان إلى الوليد بيزيد وقد قرن به ولده أيّوب بن سليمان ، في سلسلة واحـدة ، فلمـا دخـلا على الـوليـد ، ورأى السلسلة في يـد ابن أخيـه ، قـال : لقـد بلغنـا من سليمـان ، وأمّن يـزيـد وكفّ عنـه ، وكتب الى الحجّاج بأن يكفّ عن آل المهلب . (الطبري ٤٥١ و٤٥٢) .

وكـان عمر بن هبيـرة ، أميراً على العـراقيين ، فلما ولي هشـام ، عزلـه بخالد القسـري ، فأخـذه خالـد ، فقيّده ، وألبسـه مدرعـة صوف ، وحبسـه ، فـاحتال حتى فـرّ من السجن ، ولحق بالشـام ، راجع تفصيـل ذلك في كتـاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ١٩١ .

ولما قتل الإمام زيد بن علي بن الحسين ، صار ولده يحيى إلى الريّ ، ونزل على الحريش بن عبد الرحمن الشيباني ، فاعتقله عقيـل بن معقل الليثي

عامل بلخ لنصر بن سيار ، وبعث به عقيل إلى نصر ، فحبسه ، وقيّده ، وجعله في سلسلة (مقاتل الطالبيين ١٥٤) .

أقول : إنّ يحيى أطلق من الحبس ، وفكّ حديده ، فصار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحدّاد الذي فكّ حديده من رجله ، وسألوه أن يبيعهم إيّاه ، وتنافسوا فيه ، وتزايدوا ، حتى بلغ عشرين ألف درهم ، فخاف أن يشيع خبره ، فقال لهم : اجمعوا ثمنه بينكم ، فرضوا بذلك ، وأعطوه المال فقطعه قطعة قطعة ، وقسمه بينهم ، فاتّخذوا منه فصوصاً للخواتيم (مقاتل الطالبيين ١٥٥) .

وكان زياد بن عبيد الله الحارثي ، يلي المدينة للمنصور ، فاتّهمه بالتراخي في البحث عن محمد (النفس الزكية) وابراهيم ولدي عبد الله بن الحسن ، فعزله ، وأمر به فحبس ، وكبل بأربعة كبول ، ثم حمل إلى العراق (الطبري ٧/٥٣٠) .

وخرج رياح عامل المنصور على المدينة ، ببني حسن ، ومحمد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، إلى الربذة ، فلما صاروا بقصر نفيس ، على ثلاثة أميال من المدينة ، دعا بالحدّادين والقيود والأغلال ، فألقي كلّ رجل منهم في كبل وغلّ ، فضاقت حلقتا قيد عبدالله بن الحسن ، فعضّتاه ، فتأوّه منها ، فأقسم عليه أخوه علي ليحولنّ إليه حلقتيه إذا كانت أوسع ، فحوّلها (مقاتل الطالبيين ١٩٦) .

ودخلت أم يحيى بن عبد الله بن الحسن ، زوجة عبد الله ، على زوجها السجن ، فإذا هو متكيء على برذعة ، في رجله سلسلة . (مقاتل الطالبيين ٢١٦)) .

ولما ثار السودان بالمدينة ، وطردوا عبد الله بن الربيع ، عامل

المنصور ، ومن معه من الجند ، أخرجوا أبا بكر بن أبي سبرة من الحبس ، فقدم المسجد ، وارتقى المنبر ، وإنّ حديده لفي ساقه ، فخطب الناس ، ودعاهم إلى طاعة المنصور ، وصلّى بالناس ، حتى عاد ابن الربيع إلى المدينة (الطبري ٧/٦١١ - ٦١٤) .

وفي السنة ١٤٧ بعث عبد الرحمان الداخل ، مولاه بدراً ، وتمام بن علقمة ، الى طليطلة ، وبها هشام بن عذرة ، فحصراه ، وضيّقا عليه ، فوقع في الأسر ، هو وحياة بن الوليد اليحصبي ، وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وجيء بهم إلى عبد الرحمان ، في جباب صوف ، وقد حلقت رؤوسهم ولحاهم ، وأركبوا الحمير ، وهم في السلاسل ، وصلبوا بقرطبة (ابن الأثير ٥/٥٨٣) .

وفي السنة ١٥٥ انكرت الخوارج الصفرية ، بمدينة سجلماسة ، بالمغرب ، على أميرهم عيسى بن جرير أشياء ، فشدّوه وثاقاً ، وجعلوه على رأس الجبل ، فلم يزل كذلك حتى مات (ابن الأثير ٦/٨) .

وقال نُصيب الأصغر ، مولى المهدي ، يصف قيوده في السجن : (الأغاني وبولاق ٢٠/٢٨) .

أتمام إنّك قد فككت تماما ‏ ‏ ‏ حلقاً برين من النُصَيب عظاما
حلقاً توسّطها العمود فلزّها ‏ ‏ ‏ لولا ثمامة والإله لداما

ولما بعث الرشيد ، القائد هرثمة ، الى خراسان ، في السنة ١٩١ ، بعث معه بوقر من القيود والأغلال ، لتقييد أمير خراسان ، علي بن عيسى بن ماهان ، وأتباعه ، وبعث معه إلى عليّ ، كتاباً بعزله ، أوّله : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ابن الزانية . . . الخ .

فأخذه هرثمة ، واعتقله ، وقيّده ، وصادره ، وأخذ جميع ما لديه ، حتى حلي نسائه ، ثم وجّهه إلى بغداد على بعير ، بلا وطاء تحته ، وفي عنقه

سلسلة ، وفي رجليه قيود ثقال ،ما يقدر معها على نهوض أو اعتماد .

راجع تفصيل القصّة في الطبري ٨/٣٢٧ ـ ٣٣٧ .

ولما أمر الرشيد ، مسروراً بقتل جعفر ، ذهب إليه ، فأخذه ، وحبسه ، وقيّده بقيد حمار ، وأخبر الرشيد بإحضاره ، فأمره بقتله (الطبري ٨/٢٩٥) .

وبلغ الرشيد ، قصيدة أبي نواس ، في هجاء مضر ، التي يقول فيها :

أمّا قريش فلا افتخار لها   إلاّ التجارات من مكاسبها

فأمر بحبسه ، فلم يزل محبوساً حتى ولي محمد الأمين ، فقال أبو نواس فيه :

تذكّر أمين الله ، والعهد يذكر   مقامي وإنشاديك والناس حضرّ
ونثري عليك الدرّ يادرّ هاشم   فيا من رأى درّاً على الدرّ ينثر

وغنّت بالشعر جارية أمام الأمين ، فسأل عن قائل الأبيات ، فقالوا : إنّها لأبي نواس ، فقال : وما فعل ؟ قالوا : محبوس ، فقال : ليس عليه باس ، فأخبروه بقول الأمين ، فكتب إليه أبياتاً آخرها :

أمين الله إنّ السجن باس   وقد أرسلت : ليس عليك باس

فأرسل إليه الأمين ، فكسرت قيوده ، وأخرج من السجن . وأدخل عليه فمدحه بأبيات ، فخلع عليه ، وصيّره في ندمائه (الطبري ٨/٥١٤ ـ ٥١٦) .

وكان يحيى بن عبد الله العلوي ، في حبس الرشيد ، مكبّلاً بالحديد ، فإذا أحضره الرشيد أمامه ، أحضر في حديده (الطبري ٢٤٤) .

ولما صار الرشيد إلى طوس ،وقدم بكر بن المعتمد من بغداد ، ومعه كتب ظاهرة ، فطالبه بأن يحضر ما معه من الكتب السريّة ، فأنكرها بكر ،

وقال : ما معي إلا الكتب التي أوصلتها ، فتوعّده الرشيد ، فأصرّ على الانكار ، فقال الرشيد : قنّبوه ، فجيء بالقنّب ، وقنّب من فرقه إلى قدمه ، راجع التفصيل في القصة ٣٥٨ من كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

أقول : القنّب ، بكسر القاف وضمّها ، نبات هندي ينتج ليفاً متيناً تصنع منه الحبال ، والبغداديّون ، يلفظون الكلمة بابدال القاف جيماً مكسورة ، فيقولون : جِنّب وبعضهم يلفظها بابدال القاف ، بالجيم المصرية .

ولما بعث الأمين ، قائده علي بن عيسى بن ماهان ، لحرب المأمون ، زار السيدة زبيدة مودّعاً ، فقالت له : يا عليّ ، إنّ أمير المؤمنين ، وان كان ولدي ، وإليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حذري ، فإنّي على عبد الله (تعني المأمون) منعطفة مشفقة ، لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنّما آبني ملك نافس أخاه سلطانه ، والكريم يأكل لحمه ويمنعه ، فآعرف لعبد الله حقّ والده وأخوّته ، ولا تجبهه بالكلام ، فإنّك لستَ نظيره ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا ترهقه بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساوه في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابّتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فآحتمل منه ، وإن سفه عليك فلا تراده ، ثم دَفَعَتْ إليه قيداً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك ، فقيّده بهذا القيد . (الطبري ٨/٤٠٥ و٤٠٦) .

وروي عن القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، إنّ ابراهيم بن المهدي ، أحضر أمام المأمون وفي رجله قيدان ، للتفصيل راجع كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ٣٤٨ .

وفي السنة ٢١٨ دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ، فامتنع الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح ، عن القول بخلق القرآن ، وقالا : هو كلام

الله ، فأمر بهما إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة ببغداد ، فشدّا بالحديد ، ووجّه بهما إلى طرطوس ، حيث المأمون ، فبلغهم وهم في الطريق خبر وفاة المأمون ، فأعادوهما (الطبري ٨/٦٤٥) .

وبعث عبد الله بن طاهر ، بأحد أتباعه ، فاعتقل محمد بن القاسم العلوي الصوفي ، فلما أوصله إلى عبد الله ، ونظر إلى محمد ، وثقل الحديد عليه ، قال لتابعه : أما خفت الله في فعلك ، أتقيّد هذا الرجل الصالح ، بمثل هذا القيد الثقيل ؟

فقال له : أيها الأمير ، خوفك أنساني خوف الله .

فقال : خفّف هذا الحديد كلّه عنه ، وقيّده بقيد خفيف ، في حلقته رطل بالنيسابوري (٢٠٠ درهم) ، وليكن عموده طويلاً ، وحلقتاه واسعتين ، ليخطو فيه ، ومضى ، فتركه (مقاتل الطالبيّين ٥٨٣ و٥٨٤) .

وفي السنة ٢٢٣ عند عودة المعتصم من فتح عموريّة ، اطّلع على مؤامرة من بعض قواده ، لخلعه واستخلاف العباس بن المأمون ، وأقرّ له العباس بذلك ، وسمّى له من دخل في المؤامرة ، فأمر المعتصم بالعبّاس ، وبالقوّاد المتآمرين ، فأثقلوا بالحديد ، وأمر أن يحملوا على بغال بأكف بلا وطاء ، وأن يطرحوا في الشمس إذا نزل الجيش ، وأن يطعم كلّ واحد منهم في اليوم رغيفاً واحداً ، وظهر أنّ هرثمة بن النضر الختلي ، والي مراغة ، شريكهم في المؤامرة ، فكتب المعتصم بحمله في الحديد ، فتكلّم فيه الافشين ، فوهبه المعتصم له ، فكتب الافشين إلى هرثمة ، يعلمه أنّ أمير المؤمنين قد وهبه له ، وإنّه قد ولّاه البلد الذي يصل إليه الكتاب فيه ، فوردوا به الدينور بعد العشاء ، مقيّداً ، فطرحوه في الخان ، وهو موثق في الحديد ، فوافاه الكتاب في جنح الليل ، فأصبح وهو والي الدينور (الطبري ٩/٧٨) .

وفي السنة ٢٢٤ لما أزمع مازيار بن قارن الخلاف على المعتصم ، أمر

الأبناء والعرب في سارية وآمل ، فاجتمعوا ، وكان وعدهم أن يردّ عليهم ضياعهم وأموالهم ، فلما آجتمعوا أمر بهم فكتّفوا ، وساقهم إلى جبل على ثمانية فراسخ من سارية وآمل ، وكبّلهم بالحديد ، وحبسهم ، وكانت عدّتهم قد بلغت عشرين ألفاً (الطبري ٩/٨٤) .

وفي أيّام الواثق ، امتحن أبو يعقوب البويطي ، صاحب الشافعي ، بخلق القرآن ، وحمل من مصر إلى بغداد ، على بغل ، وفي عنقه غلّ ، وفي رجليه قيد ، وبين الغلّ والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً ، ووضع في الحبس ، مقيّداً إلى أنصاف ساقيه ، مغلولة يداه إلى عنقه ، ومات في حبسه في السنة ٢٣١ (وفيات الأعيان ٧/٦١ ـ ٦٤) .

وفي السنة ٢٣١ قَتَلَ الخليفة الواثق ، أحمد بن نصر الخزاعي ، ضربه بالسيف بيده ، وسبب ذلك إنّه أراد أن يخرج على السلطان ، وعيّن وأصحابه يوماً لذلك ، واتّفقوا على أن تكون الإشارة بينهم للخروج أن يضرب الطبل في موضع معيّن ، وحدث أنّ الموكّل بالطبل سكر قبل الموعد بليلة ، فقام إلى الطبل وضربه ، فلم يجتمع عليه أحد ، وسمع صاحب الشرطة ببغداد ، ضرب الطبل ، فبعث من يتحقّق له السبب ، وأخذ رجلاً في الحمّامات اسمه عيسى الأعور ، فأقرّ له بالقصّة ، وسمّى من دخل مع أحمد بن نصر في المؤامرة ، فأخذ منهم أبا هارون ، وداره بالجانب الشرقي ، وطالب وداره بالجانب الغربي ، وقيّدهما بسبعين رطلاً من الحديد ، ثم أخذ خصيّ لاحمد بن نصر ، فاعترف على سيّده ، فأخذ أحمد وآبنان له ، وخصيّان ، ورجل كان يغشاه ، فحملوا على بغال بأكف ، ليس تحتهم وطاء ، وقيّد أحمد بزوج قيود ، ولما قتله الواثق ، صلب في الموضع الذي صلب فيه بابك ، وفي رجله زوج القيود التي كانت فيها لما حمل من بغداد (الطبري ٩/١٣٥ ـ ١٣٩) .

وفي السنة ٢٣٣ قبض المتوكل على عمر بن فرج الرخجي ، وهو من

شرار الخلق ، فدفعه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، فحبس ، وألبس جبّة صوف ، وقيّد بقيد ثلاثين رطلاً ، وقبضت ضياعه وأمواله ، ووجد في منزله خمسة عشر ألف درهم ، وحمل مولاه نصر ثلاثين ألف دينار ، وحمل نصر من مال نفسه أربعة عشر ألف دينار ، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار ، ولأخيه محمد بن فرج مائة وخمسون ألف دينار، وحمل من داره من الجوهر قيمة أربعين ألف دينار ، ومن المتاع ستّة عشر بعيراً فرشاً ، وحمل من متاعه على خمسين جملاً ، كرّت مراراً ، وأخذ عياله ففتّشوا ، وكنّ مائة جارية ، ثم صولح على أن يؤدّي عشرة آلاف ألف درهم ، على أن يردّ عليه ما حيز من ضياعه بالأهواز فقط (الطبري ١٦١/٩) .

أقول : قال علي بن الجهم يحرّض نجاح بن سلمة الكاتب على عمر بن فرج الرخجي ، وكان إلى نجاح التتبّع على العمّال :

أبلغ نجاحاً فتى الكتّاب مألكة ... تمضي بها الريح إصداراً وإيرادا
لا يخرج المال عفواً من يدي عمرٍ ... أو يغمد السيف في فوديه إغمادا
الرخّجيّون لا يوفون ما وعدوا ... والرخّجيّات لا يخلفن ميعادا

ووصف سليمان بن وهب ، حاله لما أمر المتوكل باعتقاله ، وأسلمه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، فقيّده بقيد ثقيل ، وألبسه جبّة صوف ، وحبسه في كنيف ، وأغلق عليه خمسة أبواب ، فكان لا يعرف الليل من النهار ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ٧٣ .

وكان الجاحظ ، منقطعاً إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب المتوكّل محمد بن عبد الملك ، اعتقل الجاحظ ، وأحضر أمام القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، مقيّداً في جبّة صوف ، راجع القصّة مفصلة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، في القصة رقم ١٢٧ .

ولما اعتقل إيتاخ ببغداد ، بأمر من المتوكل ، قيّد ، وثقّل بالحديد ، في

عنقه ، ورجليه ، وجعلوا في عنقه غلاًّ بثمانين رطلاً ، وكانت وظيفته في كلّ يوم رغيفاً وكوزاً من ماء (ابن الأثير ٥/٤٦ و٤٧ وتجارب الأمم ٦/٥٤٤) .

ولما اعتقل محمد بن البعيث ، الخارج بأذربيجان في السنة ٢٣٤ ، جيء إلى سامراء به وبأخويه وابنه وخليفته ، فلما قربوا من سامراء ، حملوا على الجمال يستشرفهم الناس ، وأمر المتوكّل بحبسه وحبسهم ، وأثقله حديداً ، وكان الحديد في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوباً على وجهه حتى مات (الطبري ٩/١٧١) .

وزارت فتاة من سامراء محمد بن صالح العلوي ، في سجنه بسامراء ، فلما رأت ثقل حديده ، بكت ، راجع القصّة في الفصل الأوّل من هذا الباب .

وفي السنة ٢٥٥ طالب الاتراك بأرزاقهم ، فقال أبو نوح لصالح بن وصيف في مجلس المعتز : يا عاصي يا ابن العاصي ، هذا تدبيرك على الخليفة ، فغضب صالح وغشي عليه ، فلما أفاق جرى بينه وبين المعتزّ كلام كثير ، وخلا صالح بالمعتزّ ، ثم دعي بابي نوح والحسن بن مخلد فأخذت سيوفهما وقلانسهما ، ومزّقت ثيابهما ، ولحقهما أحمد بن إسرائيل ، فألقى نفسه عليهما ، فثلّث به ، ثم أخرجوا إلى الدهليز ، وحملوا على الدواب والبغال ، وارتدف خلف كلّ واحد منهم تركي، وأخذوا إلى دار صالح بن وصيف ، وجعل في عنق كلّ واحد منهم عشرون رطلاً من حديد ، وقبضت أموالهم ودورهم ، وسمّوا : الكتّاب الخونة . (الطبري ٩/٣٨٨) .

وفي السنة ٢٥٥ كتب يعقوب بن اللّيث الصفار ، وعلي بن الحسين بن قريش ، إلى السلطان ، أي الخليفة ، كلّ منهما يطلب ولاية كرمان ، فكتب السلطان لكلّ واحد منهما بالولاية ، إغراء لكلّ واحد منهما بالآخر ، لأنّ كليهما لم يكن في طاعته ، فزحف يعقوب على كرمان . كما أنّ علي بن

الحسين وجّه قائده طوق بن المغلّس إليهـا ، وجرت بينهمـا حرب انتصـر فيها يعقـوب ، وأسر طـوقاً ، ووجـد من جملة ما غنم من طـوق صناديق فيهـا قيود وأغـلال ، كان أعـدّها لقيـد من يأسـره ، فأمـر يعقـوب بـإخـراج أكبـر القيـود وأثقلها ، فقيّد به طوقاً ، وغلّه بغلّ . (الطبري ٩/ ٣٨٤ و٣٨٥) .

وفي السنـة ٢٦٩ خرج الخليفـة المعتمد يـريد اللحـاق بمصـر ، وسبب ذلك إنّ المعتمد كان محجوراً عليـه في خلافتـه ، والحكم كلّه لأخيه المـوفّق أبي أحمد ، حتى إنّه طلب يوماً ثلثمائة دينار يجيز بها شاعراً فلم يصل إليهـا ، فقال :

أليس من العجـائب أنّ مثلي	يـرى مـا قـلّ ممتنعـاً عليـه
وتؤخـذ بـآسمـه الدنيـا جميعاً	ومـا من ذاك شيء في يـديـه

فلما اشتغل أبو أحمد بحرب الزنـج ، فارق المعتمـد دار ملكه ، ومعـه حاشيته ، قاصداً مصر ، بعد أن كاتب أحمد بن طولون ، واتّصـل بأبي أحمـد خبر مفارقة المعتمد ، فكتب إلى إسحـاق بن كنداجيق ، وكـان يلي الموصـل والجـزيـرة ، أن يعتـرض المعتمـد ومن معــه ، وأن يعيـدهم إلى ســامـراء ، فـاعترضهم إسحـاق ، وقـد قـربـوا من الـرقّـة ، فـأخـذهم ، وقبض عليهم ، وقيّدهم ، بالقيـود الثقيلة ، ودخل على المعتمـد فعنّفه ، وعـذله في شخـوصه عن دار ملكه وملك آبائه ، ومفارقته أخاه على الحال التي هو فيهـا ، ثم حمل المعتمـد ، ومن معه في قيـودهم ، حتى وافى بهم سامـراء ، فأمـر أبو أحمـد فخلع على إسحاق خلعاً جليلة ، وقلّد سيفين ، وتوّج بتاج من الذهب مرصّـع بالجوهر ، وألبس وشاحين مرصّعين بالجوهر الثمين (الطبري ٩/ ٦٢٠ ـ ٦٢٢ وشرح نهج البلاغة ٨/ ٢٠٠ و٢٠١) .

وذكر المبرّد ، إنّه زار داراً للمجانين ، وكلّم أحدهم ، فلما وثب إليـه ،

رأى القيد في رجله ، قد شدّ إلى خشبة في الأرض ، فأمن من غائلته . (وفيات الأعيان ٤/٣١٧) .

وفي السنة ٢٧١ وثب يوسف بن أبي الساج ، عامل مكّة ، على غلام للطائي ، اسمه بدر ، خرج والياً على الحاجّ (أميراً للموسم) ، فهاجم الجند أصحاب بدر ، يوسفاً ، وأعانهم الحاجّ ، فاستنقذوا الوالي بدراً ، وأسروا بن أبي الساج ، فقيّدوه ، وحملوه إلى مدينة السلام ، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام (الطبري ١٠/٨) .

واعتقل المعتضد ، وزيره اسماعيل بن بلبل ، وجعل في عنقه غلاًّ فيه رمانة حديد ، والغلّ والرمانة مائة وعشرون رطلاً . (مروج الذهب ٢/٤٩٣) .

وفي السنة ٢٩٩ لما عزل الوزير بن الفرات ، وزير المقتدر ، عن وزارته الأولى ، اعتقل ولده المحسّن ، وضرب على رأسه وسائر جسده بالطبرزينات ، وقيّد وغلّ ، وألبس جبّة صوف ، وجبّة شعر ، وعذّب بكلّ شيء (الوزراء للصابي ٦٥) .

وفي السنة ٣٠٤ تغلّب كثير بن أحمد ، على أعمال سجستان ، فجهّز إليه السلطان جيشاً بقيادة القائد بدر بن عبد الله الحمامي (بتخفيف الميم ، نسبة إلى الطير الحمام) متقلّد أعمال فارس ، فقصده بدر ، ومعه زيد بن إبراهيم المنصوب عاملاً على الخراج بسجستان ، فلما وصلوا ، اشترك أهل البلد في قتال عسكر الخليفة ، إذ بلغهم أنّ زيداً عامل الخراج ، قد أحضر قيوداً وأغلالاً يقيّدهم بها ، فانكسر جيش الخليفة ، وأسر زيد بن ابراهيم ، فوجدت القيود والأغلال معه ، فجعلوها في رجليه وعنقه (ابن الأثير ٨/١٠٤) .

وفي السنة ٣٠٦ لما عزل الوزير ابن الفرات عن وزارته الثانية ، وخلفه

حامد بن العباس ، اعتقل المحسّن ابن الوزير ابن الفرات ، وأحضر أمام حامد ، فصفعه ، وشتمه ، ثم أعيد الى محبسه ، وكان مقيّداً بقيد ثقيل ، وعليه جبّة صوف قد غمست في النفط مزرورة الى عنقه (الوزراء ٢٦٤) .

وفي السنة ٣١٥ تحقّق القائد يوسف بن أبي الساج ، أنّ كاتبه محمد بن خلف النيرماني ، يسعى عليه ، فاعتقله ، وقيّده بخمسين رطلاً ، وألبسه قميص بايباف (تجارب الأمم ١/١٧٢) .

أقول : لم أفهم معنى كلمة (بايباف) ولم يفهمها قبلي الاستاذ مرجليوث محقّق كتاب تجارب الأمم ، وأحسبها مصحّفة ، ولم أستطع ردّها إلى أصلها .

وذكر أبو علي الناقد ، الوكيل على أبواب القضاة ببغداد ، وكان إليه خبر المسجونين ببغداد ، إنّه أبصر في المطبق بمدينة السلام ، في أيّام المقتدر بالله ، رجلاً مغلولاً ، على ظهره لبنة من حديد ، فيها ستّون رطلاً ، راجع التفصيل في كتاب الفرج بعد الشدة ، رقم القصة ١٨٣ .

ولما اعتقل الوزير أبو الحسن بن الفرات ، بعد عزله عن وزارته الأولى ، ناظره أبو العباس بن ثوابه ، فأمر بعرك أذنه ، وقيّده ، وأخلى الحجرة التي حبس فيها حتى من الحصير ، حتى اضطرّ إلى أن يحدث في مكانه ، وغلبت رائحة القذر على البيت ثم أحضر له بعد يومين جبّة صوف أخرى ، وغلّا برمّانة ، يمنع المغلول من أن يردّ رأسه إلى خلف ، وغلّا بغير رمانة ، وألسه الجبّتين واحدة فوق الأخرى (تجارب الأمم ١/٨٩) .

ولما اعتقل الوزير حامد بن العباس ، المحسّن بن الفرات ، بعد عزل أبيه عن وزارته الثانية ، أحضره أمامه ، وأمر به فصفع ، وشتمه ، وكان المحسّن مقيّداً بقيد ثقيل ، وعليه جبّة صوف قد غمست في النفط ، مزرورة

إلى عنقـه ، وردّوه إلى الحجرة التي كـان فيها ، وحبسـوه في الكنيف ، ودلّوا رأسه في بئره (الوزراء للصابي ٢٦٤) .

ولما اعتقل الوزير ابن الفرات ، بعد عزله عن وزارته الثانية ، ألبس جبّة صوف قد نقعت في ماء الأكارع ، وقيّد بقيد ثقيـل ، وغلّ بغـلّ ، وكان الحـرّ شديداً ، فأشرف على التلف (كتاب الوزراء للصابي ١١٩) .

ولمـا عزل الـوزير ابن الفـرات ، في السنة ٣١٢ عن وزارتـه الثـالثـة ، اعتقـل ولده المحسّن ، وأخـذه القائـد هارون بن غـريب الخال (غـريب خال المقتـدر) فضـربـه على رأسـه بـالـدبـابيس ، وقيّـده ، وغلّه (تجـارب الأمم ١/١٣٥ والوزراء ٦٥) .

ولما قتل الوزير ابن الفرات ، في السنة ٣١٢ ، تسلّم خلفه الخاقـاني ، أولاد ابن الفرات ، وكتّابه ، فأسلمهم إلى أبي العباس بن بُعدشرّ ، فقيّدهم ، وأجلسهم على الأرض ، في الحرّ الشديد (تجارب الأمم ١/١٢٨) .

وفي السنة ٣٢٢ اشتبك عماد الدولة البويهي ، مـع القائـد ياقـوت على رأس جيش عبّاسي ، بقرب شيراز ، وكان من سعادة عماد الدولة ، انّ جماعة من أصحابه استـأمنوا الى يـاقوت ، فحين رآهم يـاقوت أمـر بضرب رقـابهم ، فأيقن أصحاب ابن بويه ، إنّـه لا أمان لهم عنـد ياقـوت ، فاستقتلوا ، وكسب عماد الدولة المعركة ، وانفلّ الجيش العبـاسي ، وانهزم يـاقوت، ووجـدوا في مخلّفات ياقوت برانس لبـود عليها أذنـاب الثعالب ، وقيـوداً وأغلالاً ، فسـألوا عنها أصحاب ياقوت ، فقالوا : إنّ هـذه أعدّت لكم لتجعـل عليكم ، ويطاف بكم في البلاد ، فأشار أصحاب ابن بويه أن يفعـل بهم مثل ذلـك ، فآمتنـع ، وقال : إنّه بغي ولؤم ظفر ، ثم أحسن إلى الأسارى ، وأطلقهم ، وخيّرهم بين المقـام عنده ، أو اللحـاق بياقـوت ، فآختـاروا المقام عنـده ، فخلع عليهم ، وأحسن إليهم، واستولى على شيراز (ابن الأثير ٨/٢٧٥ و٢٧٦) .

وكان بالبصرة لصّ فاره مقدام ، يقال له : عباس ويعرف بابن الخيّاطة ، غلب الأمراء ، وأشجى أهل البلد ، فاعتقله صاحب الشرطة ، وألقاه في الحبس ، وكبّله بمائة رطل حديد ، فلما كان بعد سنة من حبسه ، سرق من أحد التجار جوهر بعشرات ألوف دنانير ، واتّفق الجميع على أنّ هذه العملة من عملات ابن الخيّاطة ، فأحضر صاحب الشرطة ابن الخيّاطة من الحبس ، وأمر بإزالة قيوده ، وإدخاله الحمّام ، وخلع عليه ، وواكله ، وسأله عن القصّة ، فاعترف له بأنّه هو السارق ، وأعاد المسروق ، في قصّة طريفة ، راجعها مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ٧ ص ٩٧ - ١٠٠ رقم القصة ٥٨/٧ .

وفي السنة ٤٠٢ كانت وقعة بين أبي نصر بن لؤلؤ ، صاحب حلب ، وهو من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني ، وبين صالح بن مرداس ، فأسر صالحاً وحبسه ، وقيّده بقيد لبنة حديد في رجليه ، وفرّ صالح من القلعة بأن رمى بنفسه من أعلاها إلى تلّها ، واختفى في سيل ماء ، ثم حارب ابن لؤلؤ ، فأسره ، وجعل في رجله القيد الذي كان ابن لؤلؤ قد جعله في رجليه وفيه اللبنة الحديد . (ابن الأثير ٩/ ٢٢٩) .

ولما اعتقل المأمون بن ذي النون ، صاحب طليطلة ، أبا مروان عبد الملك بن غصن الحجاري (ت ٤٥٤) حبسه في حصن وبذة ، من اعمال طليطلة ، فقال في وصف حبسه وأقياده : (اعتاب الكتاب ٢٢٠) .

نحن في حالة لأيسر منها	يتلظّى الردى وتبكي الخطوب
ما لنا في وطء البسيطة حظّ	لا ولا في نشق الهواء نصيب
في محلّ كأنّه ظلف شاة	ليس فيه لذي دبيبٍ دبيب
وكأنّ الكبل الثقيل اذا ما	رنّ في الساق للخطوب خطيب

ولما حاصر المرابطون ، المعتمد بن عباد ، واستولوا على إشبيلية ،

أخذوا المعتمد ، وقيّدوه من ساعته ، وحملوه إلى مراكش ، فاعتقل بأغمات ، وكانت قيوده في السجن تمنعه من الحركة (وفيات الاعيان ٥/ ٣٠ و٣٢ و٣٦) .

وقال المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، يصف قيده الذي قيّد به في محبسه بإفريقية ؛ (ابن الأثير ١٠/ ٢٤٩) .

تعطّف في ساقي تعطّف أرقمٍ   يساورها عضّاً بأنياب ضيغم

وفي السنة ٥٤٧ وقعت حرب بين السلطان سنجر والغورية ، فانهزم الغورية ، وأسر ملكهم علاء الدين حسين ، فأحضره سنجر أمامه ، وسأله : يا حسين ، لو ظفرت بي ما كنت تفعل بي ؟ فأخرج له قيد فضّة ، وقال : كنت أقيّدك بهذا ، وأحملك إلى فيروزكوه ، فخلع عليه سنجر ، وردّه الى فيروزكوه . (ابن الأثير ١١/ ١٦٤) .

وفي السنة ٥٨٤ فتح جيش السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، قلعة برزية ، وأطلق من فيها من أسرى المسلمين ، وكانت أرجلهم في القيود والخشب المثقوب (ابن الأثير ١٢/ ١٦) .

وفي السنة ٥٨٨ حارب شهابُ الدين الغوري ، أحدَ ملوك الهنود ، وأسره ، فلما أحضر بين يديه ، لم يخدمه (أي لم ينحن له للسلام عليه) ، فأخذ بعض الحجّاب بلحيته ، وجذبه إلى الأرض ، حتى مسّت جبينه ، فقال له شهاب الدين : لو أسرتني ما كنت تفعل بي ؟ فقال : كنت أعددت لك قيداً من ذهب ، أقيّدك به (ابن الأثير ١٢/ ٩٣) .

وفي السنة ٦١٧ قبض الملك الأشرف مظفر الدين بن العادل الأيّوبي على الأمير عماد الدين المشطوب ، واعتقله في قلعة حرّان ، وضيّق عليه تضييقاً شديداً ، من الحديد الثقيل في رجليه ، والخشب في يديه ، وحصل في

رأسه ولحيته وثيابه من القمّل شيء كثير ، ومكث على هـذه الحال حتى تـوفّي سنة ٦١٩ (وفيات الأعيان ١/١٨١) .

وفي السنة ٧٢٧ كانت الكائنة باسكندرية مصر ، وتوجّه الجمالي إليها ، وصادر الكارم والحاكة وغيرهم ، وضرب القاضي ، ووضع الزنجير في رقبته ، وكان ذلك أمراً فظيعاً (الوافي بالوفيات ٢/٣٦٩) .

وفي السنة ٧٤٢ غضب نائب السلطان بالقاهرة ،على جماعة من الأمراء ، فـأمر بهم فـأنزلـوا عن خيولهم إنـزالاً قبيحاً ، وقيّـدوا ، وعملت الزنـاجيـر في رقـابهم ، والخشب في أيديهم وسجنـوا بخـزانـة شمـائـل (النجـوم الـزاهـرة ١٠/١٥) .

وفي السنـة ٧٩١ رسم الأمير منـطاش ، بالقـاهرة ، بتخشيب الممـاليك الظاهريّة ، المسجونين بقلعة الجبل ، في أيديهم وأرجلهم . (النجوم الزاهرة ١١/٣٦٠) .

وفي السنة ٧٨٥ اتّهم السلطان بمصر الخليفة المتوكّل العباسي . بالتآمـر عليه ، فأمر بتقييده وسجنه في البرج الذي بالقلعة ، ثم تشفّع لـه الأمراء ، في فكّ القيد عنه فأبى ، فتقدّم إليه الأمير سودون النائب ، وباس رجله ، فوافق . (بدائع الزهور ٢٨/٣٣٣ ـ ٣٣٦) .

وفي السنة ٧٩١ قبض بالقاهرة ، على الأميـر محمود الاستـادار ، وولده محمد ، وصفّد كلّ منهما بقيد زنته أربعـون رطلاً ، خـارجاً عن قـوائمه فـإنّها عشـرة أرطال ، وجعـل في عنق محمود ثـلاث باشـات . (تاريـخ ابن الفرات ٩/١٠٢ ونزهة النفوس ٢٣١) .

وفي السنـة ٧٩١ لما قبض على السلطان الـظاهر بـرقوق ، صفّـد بقيـد ثقيل (نزهة النفوس ٢٢٣) .

وفي السنة ٧٩٣ قبض بالقاهرة على والي القاهرة ، حسام الدين بن الكوراني ، وعصر ، وضرب ، وقيّد بقيد ثقيل زنته خمسون رطلاً . (نزهة النفوس ٢٩٣) .

ولما عصى الأمير عين الملك ، على السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، وأسر ، أحضر بين يديه مشهراً ، فأمر السلطان بأن يقيّد بأربعة كبول ، وأن تغلّ يداه إلى عنقه . (مهذب رحلة ابن بطوطة ١٠٩/٢ و١١٠) .

وفي السنة ٩٧٦ فرّ الأمير عبد الله الداعي الهمداني ، من حبس الإمام مطهر الزيدي ، فندم لأنّه لم يقيده ، وكان عنده عدّة أمراء عثمانيّين من كبار القوّاد ، قد سجنهم في آبار محفورة ، فأمر فقيّد كلّ أمير بنصف قنطار من الحديد الموزون (البرق اليماني ٢٢٨ و٢٢٩) .

وكان جلال الدين والي حلب في السنة ١٢٢٧ يحضر من الأهالي من يريد مصادرته ، ويضعه في السجن في القلعة ، ويوضع في رقبته زنجير له شوك ويطالب ، فإن ادّى أطلق ، وإلاّ خنق ورميت جثته في الخندق (اعلام النبلاء ٣/٣٧٥ ـ ٣٧٧) .

وفي السنة ٨٠٠ قدم إلى مصر ، رسول الظاهر مجد الدين عيسى ، متملّك ماردين ، وذكر إنّه ظلّ مسجوناً مدّة سنتين عند تيمورلنك ، في قيد زنته ٢٥ رطلاً من الحديد . (بدائع الزهور ١/٢/٤٩٩) .

وفي السنة ٨٠٨ توفّي الخليفة المتوكّل على الله ، أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله العباسي ، وكان الظاهر برقوق قد قيّده وسجنه بالبرج فأقام فيه سبع سنين ، وهو بالقيد ، حتى ذاب لحم ساقيه . (بدائع الزهور ١/٢/٧٤٥) .

وواجه الشيخ شهاب الدين الخراساني ، سلطان الهند محمد بن تغلق ، بما آرتكبه من مظالم ، وعدّدها له واحدة واحدة ، فأخذ السلطان سيفه

وسلّمه لوزيره صدر الجهان ، وقال له : يثبت هذا أنّي ظالم ، وآقطع عنقي بهذا السيف ، فقال الشيخ : ومن يقدر أن يشهد بذلك فيقتل ، ولكنك أنت تعرف ظلم نفسك ، فأمر السلطان بأن يسلم الشيخ لرئيس الدويداريّة ، فقيّده بأربعة قيود ، وغلّ يديه ، فآمتنع الشيخ طيلة مدّة اعتقاله عن الطعام والشراب أكثر من خمسة عشر يوماً ، ثم قتل في سجنه (مهذّب رحلة ابن بطوطة ٢/٨٧ و٨٨) .

أمّا السلطان سليم شاه ، سلطان الهند ، فإنّه لما سيّر جيشاً لاعتقال أخيه الأكبر عادل ، بعث مع قائده سلسلة من الذهب ، ليقيّد أخاه بها ، وتفصيل ذلك ، إنّه لما قتل شير شاه فريد ، سلطان الهند (حكمه ٩٤٧ - ٩٥٢) وهو يحاصر حصن كالينجار ، خلفه على العرش ولده سليم شاه (إسلام شاه) فارتاب بنيّة أخيه الأكبر عادل ، ثم اصطلح معه ، وولّاه إحدى الولايات وبعد شهرين ، عاوده آرتيابه منه ، فبعث إليه أحد كبار قوّاده ، ومعه سلسلة من الذهب ، وأمره أن يقيده بها . (الاسلام والدول الاسلامية في الهند ٦٠) .

وفي السنة ١٢٤٧ (١٨٩٧ م) ثار الشاميّون على واليهم محمد سليم باشا ، وحصروه في القلعة ، وكتب أهالي دمشق عريضة للسلطان محمود في اصطنبول ، يعلنون فيها خضوعهم للدولة ، ويذكرون بأنّ الوزير محمد سليم باشا ، بادأهم بالإعتداء ، وضرب محلّات دمشق من القلعة بالقنابر ، وكلّفوا سليم أغا ابن السقا أميني ، وهو دمشقي يتاجر مع إصطنبول ، أن يحمل العريضة الى إصطنبول ، وأعطوه خمسة عشر كيساً أجراً ، فلما وصل إلى اصطنبول واطّلع السلطان على العريضة ، أمر بالرسول فحبس في سراية الوزير الأعظم ، ولما بلغ السلطان من بعد ذلك ما فعله الشاميّون من قتل واليهم وحاشيته ، اشتدّ غضب السلطان ، وأمر بالرسول فنقل إلى سجن مظلم ، و« جنزروه » من رقبته ، ومن رجليه ويديه ، ورتّبوا له رغيف خبز كلّ

يوم ، وفنجانين ماء (مذكرات تاريخية ١٨ ـ ٢٠ و٤٠ و٤١) .

وفي السنة ١٢٥٧ بدمشق ارتفع ضرب العصي واللومان (الحبس) والقتل ، وصار كلّ من أذنب ، « يوضعوا له » جنزير ، ويدور يكنس في السراي وفي البلد (مذكرات تاريخية ٢٤٧) .

وفي السنة ١٢١٩ فرض الباشا (الوالي) بمصر ، توزيع فردة (مطالبة بمال) على أهل مصر لغلاق جامكيّة العسكر (لسداد الرواتب المتأخّرة للجنود) وقسموا المطلوب على تجّار البن وخان الخليلي والمغاربة وأهل الغوريّة ، وكلّ من تراخي في الدفع (الأداء) قبضوا عليه وأودعوه في أضيق الحبوس ، ووضعوا الحديد في يديه ورجليه ورقبته ، ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزير مربوط في السقف (الجبرتي ٣/٢٨) .

وفي السنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) حبس متسلّم البصرة ، مصطفى أغا بن صاري محمد أغا ، في سراي الحكومة بالبصرة ، وسبب ذلك إنّه اختلف مع بيبي خدوج (خديجة) بنت الشيخ درويش رأس عائلة آل باش أعيان ، فشكت بيبي خدوج أمرها إلى سعيد باشا بن سليمان باشا ، والي العراق ، وكان ابن خالها ، فغضب لها ، وأصدر أمره بعزل المتسلّم ، وكتب بذلك سرّاً إلى صالح أفندي كاتب الخزينة ، فاتّفق صالح أفندي ، مع قبطان باشا ، وآعتقلا المتسلّم ، وحبساه في غرفة بالسراي ، ووضعا الحديد في ساقيه ، وصبّا فيه الرصاص ، كيلا يمكن فكّه بسهولة (مجلة لغة العرب البغدادية ج ١٢ سنة ٣ سنة ١٣٣٢) .

القسم الثاني

المسوح وجِباب الصوف

الجبّة ، والجمع جُبَب وجِباب : ضرب من مقطّعات الثياب ، والجبّة المعروفة الآن عندنا ببغداد ، رداء فضفاض يرتديه الفقهاء المعمّمون ، يقوم مقام العباءة عند طبقة التجّار ، ومقام المعطف لأصحاب البنطلون ، للتفصيل راجع معجم دوزي لألبسة العرب ص ١٠٧ ـ ١١٧ .

والمسح ، والجمع مسوح وأمساح : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن ، إمّا إظهاراً للحزن ، وإمّا أن يضطر إلى لبسه للإهانة أو الإيذاء ، راجع معجم دوزي لألبسة العرب ٤٠٥ ـ ٤٠٧ ، قال أبو العتاهية ، في جواري المهدي ، لما ارتدين المسوح حزناً على وفاته :

رحن في الوشي وأقـ ـبلن عليهنّ المسوح
كلّ نطاح من الـ ـدهر له يوم نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتنّ ولو عمّر تَ ما عمّر نوح

وقد كان من ألوان العذاب التي تمارس ، إضافة الى عذاب الحبس ، والقيد ، والغلّ ، إلباس المحبوس المسوح ، أو جِباب الصوف ، فإن أريد الزيادة في العذاب ، نقعت الجباب في النفط ، أو في ماء الأكارع .

وكان عبد الله بن هاشم المرقال ، من أصحاب عليّ ، شديد الوطأة في

حـرب صفين ، على أهل الشـام ، فلما وقـع الصلح بين الحسن ومعـاويـة ، استتر عبد الله بالبصرة ، فكتب معاوية إلى زيـاد بن أبيه ، أن يـطلب عبد الله أشدّ الطلب ، فإذا ظفر به فآحلق رأسه ، وقيّده ، وألبسه جبّة شعر ، وغلّ يـده إلى عنقه ، وآحمله على قتب بغير وطاء ولا غطاء ، وأنفـذه إليّ ، ففعل زيـاد ذلك (شرح نهج البلاغة ٨ / ٣٠ ـ ٣٣) .

واتّهم الوليد بن عبد الملك ، علي بن عبد الله بن العبـاس ، بأنّـه قتل سليطاً ، وسليط ابن أمة لعبد الله بن عباس ، ثم ادّعى انّه ولده ، فلمـا قتل ، اتّهم عليّ بقتله ، فأخذه الوليد ، وضـربه واحـداً وستّين سوطـاً ، وألبسه جبّـة شعـــر ، وأقـامـــه في الشمس ، وصبّ على رأســه المـــاء (الـديـــارات ٢١٥ و٢١٦) .

وأمر يزيد بن عبد الملك ، بعزل عامل المدينة عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، وبسط العذاب عليـه ، فأخـذه عبد الـواحد بن عبـد الله النضري ، عامل الطائف ، وعذّبه وألبسه جبّـة صوف ، وسبب ذلـك إنّ عبد الـرحمن بن الضحّاك ، خطب فاطمة بنت الحسين الشهيد ، فردّته ، فألـحّ عليها ، وحلف لئن لم تفعل سيجلدن أكبر بنيها ، عبد الله بن الحسن ، في الخمـر ، فكتبت إلى يزيد بن عبد الملك تشكو أمرها ، فلما أخذ يزيد الكتاب ، وقرأه ، اشتـدّ بـه الغضب ، وجعـل يضـرب بخيزرانـة في يـده ، وهـو يقـول : لقـد آجتـرأ الضحـاك ، هل من رجـل يسمعني صوتـه في العذاب وأنـا على فراشي ، ثم كتب إلى عبـد الواحـد بن عبد الله النضـري وهـو بـالـطائف ، بـأنّـه قـد ولّاه المـدينة ، وأمـره أن يغرم ابن الضحـاك أربعين ألف دينار ، وأن يعـذّبـه حتى يسمـع صوتـه وهو على فـراشه ، ولمـا ورد بريد دمشق ، لم يـدخل على ابن الضحّـاك ، فأوجس خيفـة من ذلك ، ودفـع الى حامـل البـريـد ألف دينـار ، فأخبره بكتاب الخليفة ، فخرج ابن الضحّاك إلى الشام ، وآستجار بمسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، وكلّم أخاه يزيداً ، فأبى أن يعفيه ، وردّه إلى المدينة ،

حيث ألبسه النضري جبّة صوف ، وعذّبه ، وغرّمه (الطبري ١٢/٧ - ١٤) .

وكان عمر بن هبيرة ، أميراً على العراقين ، فلما ولي هشام بن عبد الملك ، عزله بخالد القسري ، فأخذه خالد ، فقيّده ، وألبسه مدرعة صوف ، وحبسه ، فاحتال حتى فرّ من السجن ، ولحق بالشام (كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ١٩١) .

وفي السنة ٨٥ ضرب هشام بن إسماعيل المخزومي ، عامل عبد الملك على المدينة ، سعيد بن المسيّب ، ستّين سوطاً ، ضرباً مبرّحاً ، وألبسه المسوح ، وتبّان الشعر (التبّان سراويل قصيرة لسترة العورة يلبسها الملاّحون والمصارعون والسبّاحون والرياضيّون) وسرّحه إلى ذباب ، وهي ثنيّة بالمدينة ، كانوا يقتلون عندها ويصلبون ، فظنّ انّهم يريدون قتله ، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ، ردّوه ، فقال : لو ظننت أنّهم لا يصلبونني ما لبست التبّان المسوح ، فإنّي حسبت أنّهم سوف يصلبونني ، فقلت : سراويلي تسترني ، وكان سبب ضربه ، انّه طولب بأن يبايع للوليد بن عبد الملك ، فأبى ، وقال لا أبايع أحداً وعبد الملك الذي بايعته ما يزال حيّاً (الطبري ٤١٥/٦ و٤١٦) .

وأراد هشام بن عبد الملك ، أن يحوّل ولاية عهده ، عن الوليد بن يزيد ، إلى ولده مسلمة أبي شاكر ، فأبى الوليد ، فقال له هشام : اجعلها له من بعدك ، فأبى ، فتنكّر هشام ، وأخذ آبن سهيل ، وهو من خاصّة الوليد ، فضربه ، وسيّره (نفاه) ثم أخذ عياض بن مسلم ، كاتب الوليد ، فضربه ضرباً مبرّحاً وألبسه المسوح ، فكتب الوليد إلى هشام (الطبري ٢١١/٧ و٢١٢ و٢١٥) .

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي	ولو كنت ذا حزمٍ لهدّمت ما تبني
تثير على الباقين مجنى ضغينة	فويل لهم إن متّ من شرّ ما تجني

كـأنّي بهم والليت أفضـل قـولهم ألا ليتنـا ، والليـت إذ ذاك لا يغـني
كفـرت يـداً من منعم لـو شكـرتهـا جزاك بها الرحمان ذو الفضل والمنّ

وفي السنـة ١٠٦ وقعت الفتنة بين مضـر واليمن بخراسـان ، وكان سبب ذلك : إنّ مسلم بن سعيد غزا ، فتباطأ الناس عنه ، وكان ممن تباطأ البختري بن أبي درهم ، فردّ مسلم نصر بن سيّـار وجماعـة معه الى بلخ ، لكي يخـرج النـاس فيلتحقوا بجيش مسلم ، فـأحرق نصـر بـاب البختـري بن أبي درهـم ، وبـاب زيـاد بن طـريف البـاهلي ، فغضب عمــرو بن مسلم ، أخـو قتيبـة ، وآجتمعت مضـر على نصـر بن سيّـار ، وربيعـة والأزد على عمـرو بن مسلم ، وحمل أصحاب عمـرو على نصر وأصحـابه ، فـاشتبكوا ، فكـان أوّل قتيل من باهلة ، من أصحاب عمرو بن مسلم ، وقتل معـه ثمانيـة عشر رجـلاً ، وآنهزم عمـرو ، وأرسل يـطلب الامان من نصـر ، فأمّنـه ، وضـربـه مـائـة ، وضـرب البختـري ، وزياد بن طـريف مائـة مائـة ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وألبسهم المسوح (ابن الأثير ١٢٧/٥ و١٢٨) .

وفي السنـة ١٤١ خلع عبد الجبـار بن عبد الـرحمن ، عامـل خـراسـان للمنصور ، فوجّـه إليه المنصـور جيشاً بقيـادة ولده المهـدي ، فأقـام بالـريّ ، ووجّه خازم بن خزيمة ، لحـرب عبد الجبـار ، وبعد معـركة ضـارية ، انكسـر جيش عبدِ الجبار ، وأخذ هو أسيراً ، فألبس جبّة صوف ، وحمـل على بعير ، ووجهه إلى ذنب البعير ، وحمل إلى المنصور ، ومعـه ولده وأصحـابه ، فبسط المنصـور عليهم العذاب ، ثم أمـر به فقـطعت يـدا عبـد الجبـار ، ورجـلاه ، وضربت عنقه ، وأمر بتسيير ولده إلى دهلك (ابن الأثير ٥٠٥/٥ و٥٠٦) .

وفي السنة ١٤٧ بعث عبد الرحمن الداخل مولاه بدراً ، وتمام بن علّقـة إلى طليطلة ، وبها هشام بن عذرة ، فحصراه ، وضيّقا عليه فوقـع في الأسر ، هـو وحياة بن الـوليد اليحصبي ، وعثمـان بن حمـزة بن عبيـد الله بن عمـر بن الخـطاب ، وجيء بهم إلى عبـد الــرحمن في جِبـاب صــوف ، وقـد حلقت

رؤوسهم ولحاهم ، وأركبوا الحمير ، وهم في السلاسل ، وصلبوا بقرطبة (ابن الأثير ٥/٥٨٣) .

وحبس المهدي العباسي ، إبراهيم الموصلي ، وأمر أن يلبس جبّة صوف ، وكان يخرج على تلك الحال ، فيطرح على الجواري ، فكتب ذات يوم إلى أصحابه ، وهم مصطبحون :

ألا من مبلغ قوماً	من آخواني وجيراني
هنيئاً لكم الشرب	على ورد وتهتان
وانّي مفرد وحدي	بأشجاني وأحزاني
فمن جفّ له جفن	فجفناي يسيلان

فوقف المهدي على رقعته ، فرقّ له وأطلقه (الأغاني ٥/١٨٩) .

وكان الجاحظ ، منقطعاً إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب المتوكل محمد بن عبد الملك ، اعتقل الجاحظ ، وأحضر أمام القاضي أحمد بن أبي دؤاد مقيّداً في جبّة صوف ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، في القصة رقم ١٢٧ .

وتقلّد محمد بن هلال ، الخراج بمصر ، عزل به أحمد بن محمد بن المدبّر ، فحبسه ابن هلال ، وطالبه ، وألبسه جبّة صوف كانت على بعض الساسة ، وأقيم في الطريق على كناسة ، وختمت الجبّة في عنقه .

قال أحمد بن يوسف في كتاب المكافأة (ص ١٣٩ و١٤٠) ، إنّ أحمد بن محمد بن المدبّر ، عامل الخراج بمصر ، رجع يوماً إلى داره ، فاستقبلته امرأة ، فقالت له : أيّها السيّد ، نحن مائة عيل على فلان المتقبّل ، وقد ضاع شملنا لحبسه ، فاتّق دعوة تعرج منّا إلى الله فيك ، فقال يهزأ بها : إذا عزمتم على هذا ، فليكن الدعاء في السحر ، فإنّه أنجع ، فما مضى شهر حتى عزل

بمحمد بن هلال الذي تقلّد خراج مصر ، الذي حاسبه ، وآعتقله ، وألبسه جبّة صوف كانت على بعض الساسة ، وختم الجبّة في عنقه، وأقامه في الطريق على كناسة ، فكان أوّل من وافاه الإمرأة التي آستغاثت به فهزأ بها ، فقال له : جزاك الله يا أبا الحسن خيراً ، فقد نفعتنا بأكثر مما ضررتنا ، لأنّنا جرّبنا ما أشرت به ، فوجدناه أنجع شيء يلتمس .

واعتقل المعتضد العبّاسي (قبل أن يستخلف) أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيباني ، وزير ابيه الموفّق ، على أثر وفاة أبيه ، وكبّله بالحديد ، وجعل في عنقه غلاً فيه رمّانة حديد ، والغلّ والرمّانة مائة وعشرون رطلاً ، وألبس جبة صوف قد غمست في الدبس وودك الأكارع ، وتركه في الشمس ، وعلّق معه رأس ميت ، وعذّبه أنواع العذاب ، ولم يزل على ذلك حتى مات ، ودفن بغلّه وقيوده ، وكان ذلك في السنة ٢٧٨ (مروج الذهب ٢/٤٩٣ والوافي بالوفيات ٩/٩٦) .

ولما عزل الوزير ابن الفرات ، وزير المقتدر ، عن وزارته الأولى في السنة ٢٩٩ تسلّمه أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة الأنباري ، وكان من شرار الخلق ، فعذّبه وقيّده بقيد ثقيل ، وألبسه جبّة صوف قد نقعت في ماء الأكارع ، وغلّه بغلّ ، وأجلسه في الشمس ، راجع التفصيل في نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٥ رقم القصة ٢٧ .

ولما قبض على المحسّن بن الفرات ، بعد عزل والده عن وزارته الأولى ، ضرب على رأسه ، وسائر جسده ، بالطبرزينات ، وقيّد ، وغلّ ، وألبس جبّة صوف ، وجبّة شعر ، وعذّب بكلّ شيء (الوزراء للصابي ٦٥) .

وذكر أبو القاسم زنجي ، أنّ حامد بن العباس ، وزير المقتدر ، لما خلف أبا الحسن بن الفرات ، بعد وزارته الثانية ، أمر بالمحسّن فقيّد بقيد ثقيل ، وألبس جبّة صوف قد غمست في النفط ، مزرورة في عنقه (الوزراء للصابي ٢٦٤) .

الفصل الثالث

طرائف عن الحبوس

وقيل ليزيد بن المهلب : لم لا تتّخذ لك داراً ؟ فقال : وما أصنع بها ، ولي دار حاصلة مجهّزة على الدوام ؟ فقيل له : وأين هي ؟ قال : إن كنت متولّياً فدار الإمارة ، وإن كنت معزولاً فالسجن . (وفيات الأعيان ٦/٢٩٤) .

وحبس المصعب بن الزبير ، عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، فكلّم الأحنف ، مصعباً ، فأطلقه ، فقال عبيد الله للأحنف : يا أبا بحر ، جعلني الله فداك ، ما أدري ما أكافئك به ، إلّا أن أقتلك ، فتدخل الجنّة شهيداً ، وأدخل أنا النار ، فضحك الأحنف ، وقال : لا حاجة لي في مكافأتك يا ابن أخي . (أنساب الأشراف ٥/٢٨٨) .

وقرأ الحجّاج في سورة هود : يا نوح إنّه ليس من أهلك ، إنّه عمل غير صالح ، فلم يدر كيف يقرأ : عمل ، بالضمّ أو بالفتح : فقال لحرسي : ائتني بقارىء ، فأتي به ، وقد ارتفع من مجلسه ، فحبس ، واعترض الحجّاج أهل الحبس بعد ستّة أشهر ، فلما انتهى إليه ، قال له : فيم حبست ؟ قال : في ابن نوح ، أصلح الله الأمير ، فأمر باطلاقه . (العقد الفريد ٥/٣٦) .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فإنّ البغداديين ، يتندّرون بقصّة يروونها عن الحاكم العسكري ، الذي كان ببغداد في عهد عبد الكريم قاسم ، فقد ذكروا أنّ أحد أولاد الحاكم احتاج إلى أستاذ يلقي عليه درساً إضافياً في أحد

المواضيع المدرسيّة ، وذكر له اسم الاستاذ ، فدوّنه على ورقة ، وسلّمها لأحد أتباعه ، وكلفه بإحضاره ، وبعد مرور أسبوع ، تذكّر أنّ المدرس لم يحضر ، فسأل تابعه : أين فلان ، أما أحضرتموه ؟ فقال له: لقد أحضرناه يا سيّدي ، وأشبعناه ضرباً طيلة الاسبوع . ولكنّه إلى الآن لم يعترف بشيء .

أقول : الحاكم العسكري الذي كان ببغداد على عهد عبد الكريم قاسم ، رجل من كبار الضبّاط ، اسمه أحمد صالح العبدي ، وأنا لم ألقه ، ولم أره ، ولكنّي سمعت عنه إنّه كان رضيّ الأخلاق ، بحيث استبعد ان تصدر عنه هذه النادرة ، ولكنّ البغداديين معروفون بسبك النوادر على حكّامهم ، وهذا من ذاك .

وروى القاضي حيّان بن بشر ، وكان قد تولّى قضاء بغداد وأصبهان : إنّ عرفجة قطع أنفه يوم الكلام (بالميم) ، وكان مستمليه رجلاً من أهل كجّة ، فقال له : أيّها القاضي ، إنّما هو يوم الكلاب (بالباء) ، فأمر القاضي بحبسه ، فدخل الناس إليه ، وقالوا : ما دهاك ؟ فقال : قطع أنف عرفجة في الجاهلية ، وأبتليتُ أنا به في الإسلام . (اخبار الحمقى ٨٣) .

وغضب الرشيد على ثمامة بن أشرس ، فدفعه إلى سلّام الأبرش ، وأمره أن يضيّق عليه ، وأن يدخله بيتاً ، ويطيّن عليه ، ويترك فيه ثقباً ، ففعل ذلك ، وكان يدسّ إليه الطعام من الثقب ، وجلس سلّام عشيّة يقرأ في المصحف، فقرأ: ﴿ ويلٌ يومئذٍ للمكذَّبين ﴾ (بفتح الذال)، فقال له ثمامة : اقرأ (المكذِّبين) ـ بكسر الذال ـ وجعل يشرح له ، ويقول : المكذَّبون ، بالفتح ، هم الأنبياء ، والمكذِّبون ، بالكسر هم الكفّار ، فقال له سلّام : قد قيل لي أنّك زنديق ولم أقبل ، وضيّق عليه أشدّ التضييق ، ثم رضي الرشيد عن ثمامة ، وأطلقه ، فكان يحضر مجلسه ، فسأل الرشيد جلساءه يوماً ، فقال : أخبروني عن أسوء الناس حالاً ؟ فقال كلّ واحد شيئاً ، فلما بلغ القول إلى

ثمامة ، قال : أسوء الناس حالاً ، عاقل يجري عليه حكم جاهل ، فتبيّن الغضب في وجه الرشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أحسبني وقعتُ بحيث أردت ، قال : لا والله ، فحدّثه بحديث سلّام الأبرش ، فضحك ، وقال : صدقتَ ، ولقد كنتَ أسوء الناس حالاً . (أخبار الحمقى ١٥١) .

وتذكّرني هذه القصّة ، بقصّة يتناقلها البغداديون ، عن فقيه حبس ظلماً ، فكان يعظ المسجونين ، ويحضّهم على التمسّك بالدين والأخلاق ، فلا يرى تجاوباً من أحد منهم ، إلّا من شخص واحد ، كان يقبل على الواعظ ، وينصت إليه باهتمام عظيم ، ويبكي بكاء شديداً ، فأعجب به الواعظ ، وقال له مرّة : بارك الله فيك يا ولدي ، فإنّ وعظي - على ما يظهر لي - عظيم الأثر فيك ، ولا بدّ أنّك قد انتفعت به ، فقال له : إنّي ، يا سيدي ، لم أفهم شيئاً من وعظك ، أمّا سبب بكائي ، فلأنّني لما حبست ، فارقت تيساً ، قد ربّيته ، وأحببته حبّي لولدي ، وكلّما رأيتك تحرّك لحيتك ، وأنت تعظ ، تذكّرت لحية تيسي الذي فارقته ،فبكيت حزناً على فراقه .

وروي أنّ أفلح بن أفلح ، ناظر قوسان ، المتوفّى سنة ٥٩٥ خرج مع هيأة لتخمين المزروعات ، فضايق المعاملين والتنّاء ، واستوفى منهم عشرة آلاف دينار ، لنفسه ، فسأله أحد أعضاء الهيأة عن المال الذي جمعه ، فقال له : هذا المال جمعته لي ولاعضاء الهيأة وللكاتب والبراطيل ونفقة الحبس ، ولما سأله إيضاحاً ، قال له : هذه عشرة آلاف دينار ، أعطيك منها ألفاً ، وللكاتب ألفاً ، وللمشرف ألفاً ، وأبرطل بألف ، وأنفق على نفسي في الحبس ألفاً ، وأبقي لعيالي منها خمسة آلاف ، فإن خسرت في آخر السنة ، أكون قد رتّبت لنفسي ما يكفيني . (الجامع المختصر ١٦ و١٧) .

وكان أبو الينبغي ، ضعيف الشعر ، قلّما يصحّ له الوزن ، إلّا إنّه كان ظريفاً طيّباً ، وتكلّم بكلام ، فحبس ، فقيل له : ما كان خبرك ؟ فقال : أبو

النبيغي ، قال ما لا ينبغي ، ففعل به ما ينبغي (الملح والنوادر ٢٥٨) .

ومن أصناف المكّدين ، الشجولي ، الذي كان يؤثّر في يده اليمنى ورجليه حتى يرى الناس أنّه كان مقيّداً مغلولاً ، ويأخذ بيده تكّة فينسجها ، يوهمك أنّه من الخلدية ، وقد حبس في المطبق خمسين سنة (المحاسن والمساوىء ٢/٢١٨) .

وقال المعتمد اللخمي ، صاحب إشبيلية ، لما حبس بالمغرب العربي :

تعلّمت في السجن نسج التكك وكنت امرأً قبل حبسي ملك

الباب الخامس

النفي والاشهار

جمعت في هـذا الباب بين النفي والإشهـار ، لأنّهما كثيـراً ما يجتمعـان في العقوبة ، وقلّما تمّ نفي من دون إشهار .

ولمـا كان الإشهـار يتمّ في أغلب الاحيان ، مـع عقوبـة إضافيـة ، وهي التعليق ، أو التسميـر ، فقـد أفـردتُ لـلإشهـار بحثـاً ، وللتعليق بحثـاً آخـر ، وكذلك للتسمير .

وبذلك تمّ تصنيف هذا الباب الى فصلين ، كما يلي :

الفصل الأول : النفي

الفصل الثاني : الاشهار ، وينقسم الى ثلاثة أقسام

القسم الأول : الاشهار .

القسم الثاني : التعليق ، وهو على ألوان سبعة :

اللون الأوّل : التعليق من اليدين

الون الثاني : التعليق من يد واحدة .

اللون الثالث : التعليق من الساق .

اللون الرابع : التعليق من الإبط .

اللون الخامس : التعليق من الثدي .

اللون السادس : التعليق بالقنّارة .
اللون السابع : التعليق منكّساً .

القسم الثالث : التسمير .

الفصل الأول

النفي

النفي ، في اللغة : التنحية ، ومنه قولهم : انتفى منه ، أي تبرّأ منه .

ونظر محمد بن كعب القرظيّ ، إلى الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، فأطال النظر ، فقال له عمر : مالك تديم النظر إليّ ، قال : أنظر إلى ما نفي من شعرك ، وحال من لونك ، ذلك ، إنّ عمر قبل أن يستخلف كان أنيقاً ، مترفاً ، منعّماً ، فلما استخلف ، تقشّف وتشعّث ، جرياً على سنّة الخلفاء الراشدين ، رضي الله عنهم ، بأن يعيش أحدهم عيشة أدنى فرد في الرعيّة « لئلا يبخع الفقير بفقره » .

والنفي في الإصطلاح : طرد الإنسان من الموضع الذي هو فيه إلى موضع آخر غيره .

وإن كان النفي لمدّة معينة ، سمّي تغريباً .

وكان النفي ، في صدر الإسلام ، عقوبة قائمة بذاتها ، غير مضافة إلى عقوبة أخرى غيرها ، ولكنّها في العهد الأموي ، وما بعده من العهود ، أصبحت ـ على الأكثر ـ عقوبة تبعيّة ، تضاف إلى الضرب والمصادرة .

وكان الأمويّون يمارسون هذا اللون من العذاب ، بنفي من يريدون نفيه إلى عمان ، أو دهلك ، وهي جزيرة جرداء في البحر الأحمر .

أمّا العباسيون ، فقد توسّعوا في تعيين أماكن النفي ، فنفوا إلى إقريطش (كريت) ، وإلى طنجة ، وإلى عمان ، وإلى الأهواز .

وكان المحتسب في مدن الأندلس ، في عهد المسلمين ، يمرّ بالأسواق راكباً وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به في يد أحد الأعوان ، ولا يجسر أحد أن يبيع بأكثر مما حدّ له المحتسب ، فإن ظفر بأحد باع بأكثر مما حد له ، ضرب ، وجرّس (أشهر) ، فإن عاود نفي من البلد (نفح الطيب ٢١٨/١ و٢١٩) .

وأوّل من نفي في الإسلام ، الحكم بن أبي العاص ، أبو مروان ، وكان من أشدّ الناس أذى للنبيّ صلوات الله عليه ، وقدم المدينة بعد فتح مكّة ، فكان يمرّ خلف النبي فيغمز به ويحكيه ، وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه ، واطّلع على النبي ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه ، فنفاه هو وولده إلى الطائف ، فلما قبض النبي ، سئل أبو بكر في ردّه ، فأبى ، وسئل عمر في ردّه فأبى وردّه عثمان ، فكان ردّه من جملة الأعمال التي أنكرها عليه المسلمون (أنساب الأشراف ٢٧/٥) .

ونفى النبي صلوات الله عليه ، عن المدينة ، مخنّثين : هما هنب وماتع .(لسان العرب ماده : هنب) .

ونفى الخليفة عمر بن الخطاب ، نصر بن حجاج عن المدينة ، إلى البصرة ، ثم ردّه، وسبب ذلك، أنّ الخليفة طاف ليلةً بالمدينة ، فسمع امرأة تنشد في خدرها :

هل من سبيلٍ إلى خمر فأشربها أم من سبيلٍ إلى نصر بن حجّاج
إلى فتى ماجد الاخلاق ذي كرم سهل المحيّا كريمٍ غير ملجاج

وكانت المرأة هي الفارعة ، أمّ الحجاج بن يوسف الثقفي ، كانت تحت

المغيرة بن شعبة ، فولدت منه ابنة ، ثم طلّقها ، فتزوّجها يوسف ، فولدت الحجّاج .

فلما أصبح عمر ، قال : عليّ بنصر بن حجّاج ، فجيء به ، فإذا هو أحسن الناس وجهاً ، فأمر بقصّ شعره ، فبدا أجمل مما كان ، فنفاه إلى البصرة ، ثم ردّه ، عندما وصفت له عفّته . راجع القصّة في وفيات الأعيان ٣١/٢ و٣٢ والمحاسن والاضداد ١٤١ و١٤٢ والاغاني ١٩١/٦ و١٩٢ .

وفي السنة ٣١ نفى عثمان بن عفان ، أبا ذر الصحابي إلى الربذة ، فمات هناك في السنة ٣٢ .

أقول : أبو ذرّ من المسلمين الأوّلين ، ولما أسلم بمكّة ، كان المسلمون يكتمون إسلامهم ، فخرج أبو ذر إلى الكعبة ، وصاح بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ، فقام إليه مشركو قريش فضربوه حتى أضجعوه ، وعاود الإعلان بالشهادة في اليوم الثاني ، فعادوا إلى ضربه ، وهاجر أبو ذر مع النبي ، وجاهد معه في غزواته ، وكان معه في غزوة تبوك ، فتأخّر بعيره عن مسايرة المسلمين ، فلما أبطأ به ، أخذ متاعه ، وحمله على ظهره ، وخرج يتبع الرسول ماشياً ، ونظر المسلمون إليه من بعيد وهو يقصدهم ، فقال النبي : يرحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، فلما دعا أبو ذر إلى العدل الإجتماعي في عهد عثمان نفاه إلى الشام ، وكان عليها معاوية ، فتبرّم به ، فأعاده عثمان ، ونفاه إلى الربذة ، فمات بها ، ولم يكن معه لما مات غير آمرأته وغلامه ، فغسلاه ، وكفّناه ، ووضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل من العراق ركب فيهم عبد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عُمّار ، فقام إليهم الغلام ، وقال لهم : هذا أبو ذر ، صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه ، فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ، ويقول : صدق رسول الله ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك ، ثم نزل هو وأصحابه فواروه (نور اليقين ٣١ والطبري ١٠٧/٣) وكان سبب

تبرّم معاوية بأبي ذر ، إنّ أبا ذر سمع معاوية يقول عن الفيء إنّه مال الله ، يريد بذلك أن يحجبه عن أصحاب الحقّ من المسلمين ، فدخل عليه وقال له : ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين، مال الله؟ قال: ألسنا عباد الله والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره؟ قال: لا تقله، فإنّه مال المسلمين ، وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء ، بشرّ الذين يكنزون الذهب والفضّة ، ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، فنفى معاوية أبا ذر عن الشام ، وأعاده إلى المدينة ومعه حارس ، سمّاه دليلاً ، ولما عاد أبو ذر إلى المدينة من الشام ، أخرجه عثمان إلى الربذة (الطبري ٤ /٢٨٣) .

ونفى عثمان عامر بن عبد قيس ، من البصرة إلى الشام ، سعى به حمدان بن أبان مولى عثمان ، وكان حمدان قد تزوّج امرأة في عدّتها ، فنكّل به عثمان ، ونفاه إلى البصرة ، فلزم ابن عامر أمير البصرة ، وكان من دسائسه أن دسّ على عامر بن عبد قيس ، بأنّه لا يرى التزويج ، ولا يأكل اللحم ، ولا يشهد الجمعة ، فنفاه عثمان إلى الشام ، فلما قدم على معاوية بالشام ، وافقه وعنده ثريدة، فأكل منها، فقال له معاوية: يا هذا تدري فيم أخرجت؟ قال: لا، قال: أبلغ الخليفة أنّك لا تأكل اللحم، وأنّك لا ترى التزويج ولا تشهد الجمعة ، وقد رأيتك تأكل اللحم وعرفت أن قد كذب عليك ، فقال : أمّا الجمعة فإنّي أشهدها في مؤخّر المسجد ، وأرجع في أوائل الناس ، وأمّا التزويج فإنّي خرجت وأنا يخطب عليّ ، وأمّا اللحم ، فقد كنت لا آكل ذبائح القصّابين منذ أن رأيت قصّاباً يجرّ شاة إلى مذبحها ، وذبحها فلم يذكّها ، فقال له معاوية : فارجع ، فقال : لا أرجع إلى بلد استحلّ أهله منّي ما استحلّوا (الطبري ٤ /٣٢٧ و٣٢٨) .

ونفى عثمان من الكوفة إلى الشام رهطاً من أشراف أهل العراق ، وهم مالك الأشتر ، وزيد بن صوحان ، وصعصعة بن صوحان ، وكميل بن زياد ،

وعميـر بن ضائي ، وجنـدب بن زهيـر الغـامـدي ، وثـابت بن قيس النخعي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعـد ، وعمرو بن الحمق الخـزاعي ، فتبرّم منهم معاويـة بالشـام ، فأعـادهم إلى سعيد بن العـاص بالكـوفة ، وعـاد سعيـد فنفاهم بـأمر عثمـان إلى حمص ، وعليهـا عبـد الـرحمن بن خـالـد بن الوليد ، فأنزلهم بالساحل ، وأجرى عليهم رزقـاً (الطبـري ٣١٨/٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦) .

وغضب المصعب بن الـزبير ، أميـر العراق ، على إبـراهيم بن حيّان ، مـولى بني عجل ، فقـطع يده ، ونفـاه ، فصار إلى الـروم ، وسبب ذلك ، إنّ المصعب كـان أميـراً على العـراق لأخيـه عبـد الله بن الـزبيـر ، فشخص ابراهيم بن حيّان من العراق إلى عبد الله بن الـزبير بمكّـة ، وأخبره بـأنّه أهـل العراق يحبّون ولاية ابنه حمـزة بن عبد الله ، فـولّى عبد الله ولـده حمزة على البصـرة ، وعـزل عنهـا المصعب ، وكتب إلى المصعب أن يضمّ من قبله من رجـال البصـرة إلى حمـزة ، فغضب المصعب ، ورحـل إلى الحجـاز ، وقـال لأخيه عبد الله : ما رأيت في حمزة ابنـك ، حتى عزلتني وولّيتـه ، فقال لـه : لم أعـزلك تفضيـلاً له عليـك ، وردّه أميـراً على المصـرين جميعـاً (الكـوفـة والبصـرة) فلما عـاد المصعب إلى العـراق ، قبض على ابـراهيم بن حيّـان ، وقـطع يده ، ونفـاه ، فصار إلى الـروم ، فجنى جنايـة هنـاك ، فقـطعـوا رجله (انساب الاشراف ٢٥٦/٥ و٣٣٦) .

وكـان عبيد الله بن زيـاد بالكـوفة يهـدّد الناس بـالنفي إلى عمان الـزارّة (الطبري ٣٥٩/٥) .

أقول : في معجم البلدان ٩٠٧/٢ ان الزارّة : قرية بالبحرين .

وفي السنـة ٩٣ تـوفّي جـابـر بن زيـد الأزدي البصـري ، تـابعي ، من الأئمـة ، من أصحاب ابن عبـاس ، نفاه الحجّـاج إلى عمـان ، ومـات هنـاك (الاعلام ٩١/٢) .

وكان يزيد بن المهلّب ، لما ولي خراسان ، كتب إلى سليمان بن عبد الملك ، إنّ معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، ومات سليمان ، وخلفه عمر بن عبد العزيز ، فطالبه بما أقرّ به في كتابه ، وأمر عامله على العراق عديّ بن أرطأة الفزاري ، فأوثق يزيد ، وبعث به إلى دمشق ، فطالبه بالأداء ، فلم يؤدّ ، فحبسه عمر ، وألبسه جبّة صوف ، وحمله على جمل ، وأمر بنفيه إلى دهلك ، فغضب له قومه ، وأرادوا إطلاقه ، فردّه إلى محبسه . (وفيات الأعيان ٦/٢٩٩ و٣٠٠) .

وقد نفى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، عمر بن أبي ربيعة ، إلى دهلك ، لما بلغه عنه من تعرّضه للنساء ، وتشبيبه بهنّ (الاعلام ٥/٢١١) .

وبلغ عمر بن عبد العزيز ، أنّ مخنّثاً بالمدينة ، قد أفسد الناس ، فأحضره ، وأمر بحبسه ، ووكّل به من يعلّمه القرآن ، فلم يتعلّم شيئاً ، فدعا به ، وأمر به فوجئت عنقه ، ونفاه من المدينة (الاغاني ٦/٣٣٧ و٣٣٨) .

ولما خرج يزيد بن المهلّب بالبصرة ، بلغه أنّ قتادة الفقيه يتنقّصه ، فأحضره ، وشتمه ، فأغلظ له قتادة ، فأمر به فوجىء عنقه ، ووضع فيها حبل ، ونفاه إلى الأهواز . (العيون والحدائق ٣/٦٦) .

وغضب هشام بن عبد الملك ، على الشاعر اسماعيل بن يسار ، فأمر بأن يغطّ في بركة أمامه فغطّ حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشرّ ، ونفاه من وقته ، وسبب ذلك إنّه أنشد هشاماً قصيدة يفخر فيها بالفرس .

وكان إسماعيل شعوبياً شديد التعصّب للعجم ، وأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قصيدةً يفخر بها على العرب ، منها :

إذ نربّي بناتنا وتدسّون ... سفاهاً بناتكم في التراب

فقال له أشعب : صدقت والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتهم لغير ما

أردتموهنّ له ، دفن الفوم بناتهم خوفاً من العار ، وربّيتموهنّ لتنكحوهنّ .

فضحك القوم حتى استغربوا ، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل (الاغاني ٤/٤١٢ ، ٤٢٣ و٤٢٤) .

وغضب المنصور العباسي ، على الطبيب عيسى الجنديسابوري ، فصادره ، وأمر بنفيه ، فنفي أقبح نفي (تاريخ الحكماء ٢٤٨) .

وفي السنة ١٤١ خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن ، عامل خراسان للمنصور ، فقصده خازم بن خزيمة ، وأسره ، وأدخله بغداد مشهراً ومعه أولاده ، فقتله المنصور ، وأمر بأولاده فنفوا إلى دهلك ، وهي جزيرة في بحر اليمن ، فلم يزالوا بها ، حتى أغار عليهم الهنود ، فسبوهم فيمن سبوا (ابن الأثير ٥/٥٠٦) .

وفي السنة ١٦٥ فتح عبد الرحمن الداخل مدينة سرقسطة بالاندلس ، وقتل الحسين بن يحيى الذي عصى عليه فيها ، وكان قد أقسم أن ينفي أهل سرقسطة عنها ، فنفاهم بأجمعهم لليمين التي تقدّمت منه ، ثم ردّهم إليها (ابن الأثير ٦/٦٨) .

وغضب المهدي العباسي ، على القائد هرثمة بن أعين ، فأمر بنفيه إلى المغرب الأقصى ، راجع تفصيل القصة في كتاب المكافأة لاحمد بن يوسف ص ٩٦ ـ ٩٨ .

وفي السنة ١٧٥ نفى هشام بن عبد الرحمن ، صاحب الاندلس ، اخويه سليمان وعبد الله ، وأجلاهما عن الأندلس . (ابن الأثير ٦/١٢٣) .

ونفى المأمون ، الشاعر أحمد بن أبي نعيم إلى السند ، وسبب ذلك : إنّ المأمون مازح القاضي يحيى بن أكثم ، فسأله من الذي يقول :

قاض يرى الحدّ في الزناء ولا   يرى على من يلوط من باس

فقال له : يقوله ـ يا أمير المؤمنين ـ الفاجر أحمد بن أبي نعيم ، الذي يقول :

ما أحسب الجور ينقضي وعلى الأمّـ ـة والٍ من آل عباس

فأفحم المأمون ، وقال : ينفى أحمد بن أبي نعيم إلى السند ، فنفي ، والمقطوعة التي قالها أحمد بن أبي نعيم ، منها : (وفيات الأعيان ١٥٣/٦ و١٥٤) .

أنطقني الدهر بعد إخراس لنائبات أطلنَ وسواسي
يا بؤس للدهر لا يزال كما يرفع ناساً يحطّ من ناس
لا أفلحت أمّة وحقّ لها بطول نكس وطول إتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها وليس يحيى لها بسوّاس
قاض يرى الحدّ من الزناء ولا يرى على من يلوط من باس
أميرنا يرتشي وحاكمنا يلوط والراس شرّ ما راس
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمّـ ـة والٍ من آل عباس

وفي السنة ٢٢٠ غضب المعتصم على الفضل بن مروان ، وكان يقوم بجميع أمره من وزارة وكتابة ، فأمر بحبسه ، فحبس في داره (دار الفضل) ببغداد ، في شارع الميدان ، واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات ، فأمر بنفي الفضل إلى قرية في طريق الموصل ، يقال لها السنّ ، وصار محمد بن عبد الملك الزيات وزيراً وكاتباً للمعتصم (الطبري ٢٠/٩) .

وغضب الواثق العباسي ، على المسدود المغني ، فقال : خذوا برجل العاضّ ببظر أمّه ، فسحب من بين يديه ، وقال : ينفى إلى عمان الساعة ، فأحدر من وقته .

وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب ، تفصيل القصّة ، راجع الباب الأول ، الفصل الخامس ، وراجع الاغاني ٢٨٩/٢٠ .

وغضب الواثق على إسحاق الموصلي ، كاده عنده مخارق ، فأمر به فسحب من المجلس ، ونفي إلى بغداد ، ثم تدخّلت فريدة محظية الواثق في الأمر ، فأصلحت له قلب الواثق ، وعاد إلى منادمته ، راجع الاغاني ٥/٣٦١ .

وكان عبادة المخنّث ، المجاهر بالبغاء ، من ندماء المتوكّل ، وغضب عليه المتوكّل ، فنفاه إلى الموصل . (وفيات الاعيان ١/٣٥٥) .

ونفى المتوكّل ، علي بن الجهم إلى خراسان ، وكتب إلى عامله عليها طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أنّه أذا ورد عليه أن يصلبه نهاراً كاملاً ، مجرّداً ، ففعل ذلك . (وفيات الأعيان ٣/٣٥٥) .

وغضب المتوكّل على نديمه إبراهيم بن حمدون ، إذا آتّهمه بأنّه حزين لموت الواثق ، فنفاه إلى السند ، وضربه (معجم الأدباء ١/٣٦٨) .

وغضب المتوكّل على نديمه أحمد بن إبراهيم بن حمدون ، فنفاه إلى تكريت ثم قطع أذنيه . (معجم الأدباء ١/٣٦٥) .

وقال ابن حمدون النديم ، لعبادة المخنث نديم المتوكل ، لو حججتَ ، لاكتسبت أجراً ، فقال : اسمعوا إلى هذا العيّار ، يريد أن ينفيني من سامراء على جمل (الديارات ١٨٧) .

وفي السنة ٢٤٤ غضب المتوكل ، على بختيشوع الطبيب ، وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين . (الطبري ٩/٢١٠) .

ولما بويع المنتصر بالخلافة في السنة ٢٤٧ أمر بعمّه علي بن المعتصم ، فنفي إلى بغداد ، ووكّل به هناك ، وفي السنة ٢٥٣ أمر المعتزّ بنفيه من بغداد إلى واسط ، فنفي إليها ، ثم ردّ إلى بغداد (الطبري ٩/٢٣٩ و٣٧٧) .

وفي السنة ٢٤٨ غضب الموالي (الاتراك) ، على أحمد بن الخصيب ، فاستصفي ماله ، ومال ولده ، ونفي إلى إقريطش (كريت) (الطبري ٩/٢٥٩) .

وأمر الخليفة المنتصر ، بنفي عمر بن فرج الرخجي إلى بلاد الترك (اي ما وراء النهر)، راجع القصة في كتاب المكافأة لاحمد بن يوسف الكاتب ص ٤٣ ـ ٤٧ .

أقول : عمر بن فرج الرخجي هذا ، من سفلة الناس وشرارهم ، راجع ترجمته في هذا الكتاب في الباب الثالث ، الفصل الثاني : الصفع .

وفي السنة ٢٤٨ خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، إلى الحجّ ، فوجّه خلفه رسول اسمه شعيب ، بنفيه إلى برقة ، ومنعه من الحج . (الطبري ٩/٢٥٨) .

وفي السنة ٢٥٠ غضب المستعين على جعفر بن عبد الواحد ، واتّهمه بأنّه بعث إلى الشاكرية من أفسدهم ، فنفاه إلى البصرة (ابن الأثير ٧/١٧٤) .

وفي السنة ٢٥٢ سخط المعتزّ على كنجور ، وأمر بحبسه في الجوسق ، ثم أمر بنفيه إلى بغداد مقيّداً ، ثم وجّه به إلى اليمامة ، فحبس هناك (الطبري ٩/٣٧٢) .

وفي السنة ٢٥٢ حصلت فتن بين الأتراك والمغاربة ، في سامراء ، فعمد بايكباك رأس الأتراك إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد رئيسي المغاربة فقتلهما ، وكان الذي دسّ عليهما محمد بن عزون ، فغضب المعتزّ على محمد بن عزون وأراد قتله ، فكلّم فيه ، فنفاه إلى بغداد (الطبري ٩/٣٦٩) .

وفي السنة ٢٥٢ كلّف المعتزّ العباسي ، مؤدّبه محمد بن عمران

الضبّي ، أن يسمّي لـه رجالاً للقضـاء ، فسمّى للمعتـز ثمـانيـة رجـال ، منهم الخصـافي والخلنجي ، فـأمـر بنصبهم قضـاة ، فـاعتـرض على ذلـك شفيع الخـادم ، ومحمد بن إبـراهيم ، المعروف بـابن الكرديّـة ، وعبـد السميـع بن هـارون ، وقـالـوا : هؤلاء من أصحـاب ابن أبي دؤاد ، وأنّهم « رافضيّـة ، قدريّة ، زيديّة ، جهميّة » فأمر المعتز بطردهم ، ونفاهم إلى بغـداد (الطبـري ٣٧١/٩) .

وفي السنـة ٢٥٣ غضب المعتزّ ، على أخيـه أبي أحمـد المـوفّق ، ابن المتـوكل ، فنفـاه إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم ردّ إلى بغـداد ، وأنزل في الجانب الشرقي ، في قصر دينار بن عبد الله (الطبري ٣٧٧/٩) .

أقـول : قصر دينـار بن عبـد الله بـالمخـرّم (العلوازيـة) ، وقـد ذكـره الشاعر ، حين قال :

ومن يشتري منّي ملوك المخرّم	أبعُ حسناً وآبني هشـام بدرهم
وأعـطي رجاءً فـوق ذاك زيادةً	وأمنـح دينـاراً بغيـر تـنـدّم
فـإن طلبوا منّي الـزيادة زدتهم	أبـا دلف والمستطيـل بن أكثم

ويتّضـح من الشعـر ، أنّ هؤلاء الـذين ذكـرهم ، جميعهم دورهم في المخـرّم ، ويـريـد بـالحسن : الحسن بن سهـل ، وبـآبني هشـام ، علي بن هشـام ، وأخيـه أحمـد بن هشـام ، وبـرجـاء ، رجـاء ابن أبي الضحـاك الجرجرائي ، والد الحسن بن رجاء ، وبدينار ، دينار بن عبد الله ، من مـوالي الـرشيد ، وبـأبي دلف ، القاسم بن عيسى ، وبـآبن أكثم ، القاضي يحيى بن أكثم ، وهؤلاء الذين ذكرهم ، أركان دولة المأمون .

ولمـا قتل صـالح بن وصيف ، القـائد التـركي ، المعتزّ ، استترت أمّـه قبيحة ، وأرضت صالح بالمال ، فأخذ منها مالاً وجواهـر ، ونفاهـا إلى مكّة ، وبقيت هناك إلى أن ولي المعتمد ، فردّها . (تاريخ الخلفاء ٣٦٠) .

ونفى المعتمد ، الحسن بن مخلد الوزير ، الى مصر ، فكان مضيّه إليها سبب تلفه ، إذ حبسه أحمد بن طولون ، حتى مات في حبسه ، وسبب نفي الحسن ، إنّه كان متعطّلاً ، وحضر مجلساً غنت فيه إحدى جواري بدعة الكبرى ، أبياتاً طرب لها الحسن ، وكان آخر تلك الأبيات :

لا تهلكي جزعاً فإنّي واثق ... برماحنا وعواقب الأيّام

فقيل للمعتمد : إنّ هذا يتربّص بك الدوائر ، فنفاه إلى مصر ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي تحقيق المؤلف ج ٨ ص ٣٠ رقم القصة ٩ .

وتهدّد الوزير إسماعيل بن بلبل ، عبيد الله بن سليمان ، بالنفي إلى طنجة ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٨ ص ١٦٤ ـ ١٦٩ رقم القصة ٧١ .

وفي السنة ٢٩٠ قبض القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، على الحسين بن عمرو النصراني ، ونفاه إلى واسط (على قول الطبري ١٠/١٠٣) وإلى الأهواز (على قول التنوخي في نشوار المحاضرة ٣/٢٦٨) وسبب ذلك : إنّ الحسين بن عمرو النصراني كان يكتب للمكتفي ، قبل الخلافة ، وكان قويّ الصلة به ، فلما استخلف ، رغب الحسين في الوزارة ، وأحكمت له الأمر ، فارس داية المكتفي ، ولما كانت نصرانيّته تحول دون استيزاره ، فقد اقترح على أن تكون الوزارة ، باسم إبراهيم بن حمدان الشيرازي ، كاتب الحسين ، وأن تكون الدواوين ، وأمور الدولة بأجمعها ، في يد الحسين ، وتمّ الإتّفاق مع المكتفي على يوم معين ، يعزل فيه القاسم ، وينصب إبراهيم بدلاً منه ، راجع في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٣ ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ رقم القصة ١٧١ الطرق التي توصّل بها القاسم لمعرفة الخبر ، وكيف تمّ له تدارك أمره ، بحيث مكّنه الخليفة من الحسين بن عمرو ، وكاتبه إبراهيم ، حتى نفاهما ، ثم قتلهما .

وفي السنة ٣٠٦ وقعت فتنة ببغداد بين العامة والحنابلة ، فأخذ الخليفة جماعة منهم ، وسيّرهم إلى البصرة ، فحبسوا هناك (ابن الأثير ٨/١١٥) .

ولما وزّر ابن الفرات ، وزارته الثانية ، رفع ابن مقلة ، وقدّمه ، وزاد في رزقه ، فلما عزل ابن الفرات ، كان ابن مقلة من أشدّ الناس عليه ، فلما وزّر ابن الفرات وزارته الثالثة ، نكب أبا علي بن مقلة ، وحبسه ، وأسلمه إلى ولده المحسّن ، وكان المحسّن قاسياً ، وإسلام المحبوس إليه ، يعني قتله ، فكتب ابن مقلة إلى الوزير ، وكلّمه بعض أصحابه ، فأخذه من يد ولده المحسّن ، ونفاه ، وسليمان بن الحسن إلى فارس ، راجع تفصيل القصة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ١١٧ .

وسعى أبو الحسن بن أبي البغل ، لأخيه أبي الحسين ، في الوزارة ، وشعر الخاقاني الوزير بالأمر ، فاعتقل الأخوين ، وأنزلهما في زورق مطبق ، وحدرهما إلى واسط ، لينفيهما منها إلى حيث يتقرّر رأيه عليه . (الوزراء للصابي ٢٩٥) .

وعثر الوزير ابو الحسن بن الفرات على ورقة سقطت من سليمان بن الحسن ، فيها سعاية به ، فقبض عليه للوقت ، وأنفذه إلى واسط ، في زورق مطبق ، وصودر ، وعذّب ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، ج ٨ ص ١٩١ رقم القصة ٨٢ .

وفي السنة ٣١١ لما استوزر المقتدر ، أبا الحسن بن الفرات ، وزارته الثالثة ، عمل المحسّن ، ابن الوزير ، على قتل علي بن عيسى ، فلم يدعه أبوه ، وآستقرّ الأمر على نفيه وإبعاده عن الحضرة ، فنفاه إلى مكّة ، وضمّ إليه المحسّن موكّلين ، وأوصاهم بسمّه في الطريق إن تمكّنوا ، أو قتله بمكّة ، فتحرّز علي بن عيسى في مأكله ومشربه ، حتى وصل إلى مكّة ، فاستعان بقاضيها ، وهو من أنصاره ، فطرد الموكّلين به ، وسلم ، راجع كتاب نشوار

المحاضرة للقاضي التنوخي، تحقيق المؤلف ج ٤ ص ٧٠ ـ ٧٣ رقم القصة ٣٧ .

وفي السنة ٣١٨ عزل المقتدر وزيره ابن مقلة ، وقبض عليه ، وصادره ، ونفاه إلى بلاد فارس (وفيات الأعيان ٥/١١٤) .

واستوحش مؤنس من الحسين بن القاسم بن عبيد الله ، وزير المقتدر ، فطلب منه أن يعزله ، فعزله ، فطلب منه أن ينفيه إلى عمان ، فأبى (النجوم الزاهرة ٣/٢٢٩) .

وفي السنة ٣١٩ همّ المقتدر باستيزار أبي علي بن مقلة ، فكره ذلك القائد هارون بن غريب ، واتّفق مع الوزير ابن الفرات ، فنفي ابن مقلة إلى شيراز . (تجارب الأمم ١/٢٢٩) .

وكان الوزير أبو علي بن مقلة ، نفى أبا العباس الخصيبي ، وسليمان بن الحسن بن مخلد إلى عمان ، وكاتَبَ صاحب عمان بحبسهما ، والتضييق عليهما (تجارب الأمم ١/٣٢٣) .

أقول : كان الوزير آبن مقلة قد أحدر الخصيبي وسليمان بن الحسن إلى البصرة ، وأمر البريدي بنفيهما في البحر ، فجنّ عليهما الليل ، وكادا يغرقان ، وأيسا من الحياة ، فقال الخصيبي : اللّهم إنّي أستغفرك من كلّ ذنب وخطيئة ، وأتوب إليك من معاودة معاصيك ، إلاّ من مكروه أبي علي بن مقلة ، فإنّي إن قدرت عليه جازيته عن ليلتي هذه ، وما حلّ بي منه فيها ، وتناهيت في الإساءة إليه ، فقال له سليمان : أفي هذا الموضع ، وأنت معاين الهلاك ، تقول هذا ؟ فقال : ما كنت لأخدع ربّي ، ولما صارا إلى عمان ، عدل بالخصيبّي إلى سرنديب، فعرّف سليمان بن الحسن، ابن وجيه صاحب عمان خبره ، فأمر بردّه إلى عمان ، ثم انّ الراضي عزل ابن مقلة ، وولّى عبد الرحمن بن عيسى فضمن الخصيبي ابن مقلة ، وتسلّمه ، وعذّبه ، وعامله بصنوف المكاره ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٢ ص ١٢٤ و١٢٥

رقم القصة ٢/٦٣ وكتاب تجارب الأمم ١/٣٢٣ .

ولما استوزر المقتدر الحسين بن القاسم بن عبيد الله ، في السنة ٣١٩ ، تجرّد لنفي علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن ، إلى مصر والشام ، فدافع مؤنس عنهما ، فتقرّر نفي علي بن عيسى إلى الصافية ، (وهي بليدة قرب دير قنى ، مقابل النعمانية ، في وسط العراق) . (تجارب الأمم ١/٢٢٠ و٢٢١) .

وفي السنة ٣١٩ عزل الحسين بن القاسم عن وزارة المقتدر ، واعتقل عند الوزير الخلف ، أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم نفي إلى البصرة ، وأقيم له في كلّ شهر خمسة آلاف درهم (تجارب الأمم ١/٢٢٨) .

وفي السنة ٣٢١ بلغ مؤنساً الخادم (المظفر) أنّ محمد بن ياقوت يسعى عليه عند القاهر ، وأنّ الواسطة بينهما الطبيب عيسى ، طبيب القاهر ، فوجّه علي بن يلبق ، فقبض على عيسى في حضرة القاهر ، ونفاه إلى الموصل (الطبري ٨/٢٥٠ وتجارب الأمم ١/٢٥٩) .

وفي السنة ٣٢١ أراد القائد علي بن يلبق أن يقبض على البربهاري ، لأنّه يثير الفتن هو وأصحابه ، فاستتر البربهاري ، وأخذ جماعة من اعيان أصحابه ، وحبسوا ، وجعلوا في زورق ، وأحدروا إلى عمان (ابن الأثير ٨/٢٧٣) .

وجاء في تجارب الأمم ١/٢٦٠ والنجوم الزاهرة ٣/٢٣٨ انّ أصحاب البربهاري أحدروا إلى البصرة .

أقول : البربهاري ، نسبته إلى البربهار ، وهي أدوية تجلب من الهند (اللباب ١/١٠٧) ولعلّها التي تسمّى الآن بالبهارات (الاعلام ٢/٢١٧) ، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف الحنبلي ، شيخ الحنابلة في وقته ، ولد

سنـة ٢٣٣ ، وكان عنيفاً في تصرفـاتـه ، حتى طلبـه القـاهـر في السنـة ٣٢١ ليعتقله ، فـاستتر ، ثم ظهـر ، وعاد إلى العنف ، فـأراد الراضي أن يعتقله في السنـة ٣٢٣ فاستتـر ، ومات في استتـاره في السنة ٣٢٩ ، ولم اقـرأ عن رجل اختلف فيه المؤرّخون ، اختلافهم في البربهاري ، فإنّ المؤرخين الحنـابلة ، جعلوا منه قدّيسـاً ، بل نبيّاً مرسـلاً ، أمّا المؤرّخـون الآخرون ، فجعلوا منـه وحشاً كاسراً ، وممن أعلن بذمّه أبو بكـر الصولي ، في كتـابه الأوراق ، وقـال عنه صاحب التكملة (ص ٩١) إنّ أصحاب البربهـاري يذكـرون عنه صـلاحاً كثيـراً ، وأضداده يـذكرون خـلاف ذلـك ، والـظاهـر أنّ صـاحب التكملة من مرجّحي « خلاف ذلـك » لأنّه روى عنـه في كتابـه ، إنّه وضـع بعرة جمـل في درج مقفـل له منـظر ، وجاء بـه إلى بزّاز في الكـرخ (يعني انّه شيعي) وقـال له : هذه بعـرة جمل أمّ المؤمنين عـائشة ، وأريـد أن أرهنها عنـدك على ألف دينـار ، كما روى عنـه القـاضي التنـوخي في كتـابـه نشـوار المحـاضـرة ج ٢ ص ٢٣٣ انّ البربهاري بلغه أنّ نائحة اسمها خِلْب ، تنوح على الحسين وأهل البيت ، فأمر أصحابه أن يـطلبوهـا ويقتلوها ، كمـا روى عنه في مـوضع آخـر ج ٢ ص ٢٩٥ أقـوالاً تدل على إنّـه لا يحسن التعبير الفصيـح ، ويخطيء في تهجّي الألفاظ ، وكان البربهاري ، قد جمع حـوله عصـبـة من الحنابلة ، قـال عنهم ابن الأثيـر في الكامـل ٣٠٧/٨ و٣٠٨ إنّهم أخذوا يكبسـون دور العامـة والقوّاد ، وإن وجدوا نبيـذاً أراقوه ، وكسـروا آلة الغنـاء ، واعترضـوا في البيع والشراء ، ومشي الرجال مع النساء والصبيان ، فإذا رأوا ذلك سألوا الرجل عن الـذي معه ، من هـو؟ فـإن أخبـرهـم ، وإلاّ ضـربـوه ، وحملوه إلى صـاحب الشرطة ، وشهـدوا عليه بـالفاحشـة ، فأرهجـوا بغداد ، واستـظهروا بـالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد ، فكان إذا مرّ بهم شـافعي المذهب ، آغـروا به العميان ، فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت ، وذكر صاحب معجم الأدباء ٤٣٦/٦ إنّهم هـاجموا الإمـام الطبـري ، صاحب التفسير والتاريـخ ، فـرمـوه بالمحابر ، وهو على المنبـر ، فقام ودخـل إلى داره ، فرمـوا داره بالحجـارة ،

حتى صار على بابه كالتل العظيم ، ولما توفّي الإمام الطبري ، دفن ليلاً ، لأنّهم منعوا من دفنه ، وادّعوا عليه الرفض (أي التشيّع) ثم آدّعوا عليه الالحاد ، وقد أوضح أبو الفرج بن الجوزي ، وهو حنبلي ، سبب غضبهم عليه ، ومنعهم من دفنه ، في كتابه المنتظم ١٧٢/٦ إنّ الإمام الطبري كان يرى جواز المسح على القدمين ، ولا يوجب غسلهما ، فلهدا نسب إلى الرفض ، وقال ابن الأثير ٣٠٨/٨ و٣٠٩ : ولما زاد شرّهم وفتنتهم ، خرج توقيع الخليفة الراضي ببيان هاجم فيه البربهاري وعصابته ، وأنكر عليهم فعلهم ، ووبّخهم وأمر أن لا يجتمع منهم اثنان ، وأن لا يتناظروا في مذهبهم ، وتهدّدهم « بالضرب والتشريد، والقتل والتبديد » ، وذكر صاحب تجارب الأمم ٣٢٢/١ إنّ بدر الخرشني ، ركب في السنة ٣٢٣ وحبس جماعة من أصحاب البربهاري ، فاستتر البربهاري ، وكان سبب ذلك « تشرّطهم على الناس، وإيقاعهم الفتن المتصلة» وظلّ البربهاري مستتراً في دار أخت توزون، ومات في استتاره ، ودفن في تلك الدار ، أمّا ما أثبته المؤرخون الحنابلة عنه ، ومنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، صاحب المنتظم ، وعبد الحي بن العماد صاحب شذرات الذهب ، فإنّ أولهما وصفه في المنتظم ٣٢٣/٦ بأنّه « جمع العلم والزهد » وإنّه « تنزّه عن ميراث أبيه » وإنّه « كان شديداً على أهل البدع » فما زالوا يثقلون عليه قلب السلطان ، حتى استتر عند أخت توزون « نحواً من شهر » ثم مات ، فحضر للصلاة عليه « رجال بثياب بيض وخضر ملأوا الدار فصلّوا عليه » وزاد على ذلك بأنّه « كشف عن قبره بعد سنين ، فوجدوه صحيحاً لم يرمّ ، وظهرت من قبره روائح الطيب ، حتى ملأت مدينة السلام » ونقل ابن العماد في شذرات الذهب ٣١٩/٢ - ٣٢٢ ما كتبه ابن الجوزي ، ووصف البربهاري بأنّه « الفقيه القدوة ، شيخ الحنابلة بالعراق حالاً وقالاً » وانّه آستتر في السنة إحدى وعشرين (وثلثمائة) ثم تغيّرت الدولة فزادت حرمته ، ثم سعت المبتدعة به ، فنودي بأن لا يجتمع في بغداد اثنان من أصحاب البربهاري فاختفى إلى أن مات في رجب ،

والذي يؤخذ على ابن الجوزي انّه بلغ من تعصّبه للبربهاري أن نسب إليه ، ما لم ينسب إلى الأنبياء والصدّيقين ، فزعم إنّه صلّت عليه الملائكة ، وهذا ما لم يدّعه أحد حتى للأنبياء ، كما نسب إليه أنّه كشف عن قبره بعد سنين ، فوجد بدنه صحيحاً لم يرمّ ، وإنّ روائح الطيب فاحت من قبره حتى عمّت وملأت مدينة السلام ، وكان الأنسب لفقيه مثل ابن الجوزي ، أن لا يتورّط في نسبة جميع هذه المعاجز الى البربهاري ، يضاف الى ذلك إنّه أثبتت في تاريخه : إنّ البربهاري تنزّه عن ميراثه من أبيه ، وغفل عن الوجه السيّء في القضية ، وهو إنّ تنزّه البربهاري عن ميراثه من والده ، يعني أنّ ذلك المال فيه شبهة الحرام ، كما ذكر إنّ مدّة اختفاء البربهاري في دار أخت توزون « شهر واحد » مع أنّ بقيّة المؤرخين اجمعوا على أنّ البربهاري استتر في السنة ٣٢٣ ومات وهو مستتر في السنة ٣٢٩ .

ونفى محمد بن القاسم بن عبيد الله ، وزير القاهر ، أخاه الحسين ، إلى الرقّة ، في قصّة من أقبح القصص ، دلّت على ما اشتمل عليه محمد بن القاسم ، هذا ، من خسّة ونذالة ، فإنّ محمد بن القاسم ، استوزره القاهر ، في السنة ٣٢١ وكان أخوه الحسين مستتراً ، فراسله أخوه الوزير محمد ، وسأله أن يظهر لكي يقلّده ثلاثة دواوين ، ديوان السواد ، وديوان الجيش ، وديوان النفقات ، وحلف له بالله العظيم ، وبسائر أيمان البيعة ، وبعتق مماليكه ، وطلاق نسائه ، على صحّة ضميره له ، وبأنّ باطنه مثل ظاهره ، وكتب له بذلك رقعة أشهد الله فيها على نفسه ، فاطمأنّ أخوه إلى تلك الأيمان ، وصار إلى أخيه ، وإذا بأخيه الوزير قد أعدّ له زورقاً مطبقاً ، فلما حصل عنده أمر بتحصيله في الزورق ، ووقفت أمّه على الخبر ، وهما شقيقان ، فجاءت حتى وقفت لمحمّد على شاطىء دجلة ، في الموضع الذي ينزل منه إلى طيّاره ، وهناك خلق من الناس ، فاستغاثت إليه ، وكشفت شعرها بين يديه ، وأظهرت ثديها ، وحلّفته بكلّ حقّ لها عليه ، أن يطلق

آبنها ، فلم يلتفت إليها ، وجلس في طيّاره ، وانحدر إلى دار السلطان ، وأمر بـأخيه ، فنفي إلى الـرقّة (تجـارب الأمم ١/٢٦٦ و٢٦٧) ، ولأجـل معـرفـة مصير محمد بن القاسم هذا ، راجع القصة ١٠٠ من كتـاب الفرج بعـد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف .

وكان ابن سليمان الكاتب ، قد تعهّد له المستكفي ، بأن يستكتبه ، لمـا سعى له في الخلافة ، فلما بويع بالخلافة استكتبه ، ثم أخذ هو وعلم قهرمانة المستكفي ، يغصبون أموال التجّـار علناً ، فبعث تـوزون إلى المستكفي يلومه على ذلـك ، وطلب من المستكفي أن يصـرف أبـا عبـد الله بن سليمـــان عن كتابته فصرفه ، فأخذه توزون ، وأخذ أخاه وآبنه ، ونفـاهم إلى الشام ، وكـان ذلك في السنة ٣٣٣ . (تجارب الأمم ٢/٧٦) .

وفي السنـة ٣٣٧ نفى معز الـدولة ، أصفهـدوست ، خال أولاده ، ومن أكابر قوّاده ، إلى رامهرمز ، وسجنه بها . (ابن الأثير ٨/ ٤٨٠) .

وفي السنة ٣٥٨ استولى شيرزاد كاتب الفارسية في دولة بني بويه ، على بختيـار استيلاءً عـظيماً . وحلّف بختيـار أنّـه لا يقـرّر أمـراً إلاّ بعـد مشـاورتـه ورضاه ، فناصبـه الكتّاب والجنـد العداء ، وتـوافقوا على الفتـك به ، فخشي شيـرزاد من القتـل ، ونفـاه بختيـار إلى الأهـــواز . (تجـارب الأمم ٢/٢٥٧ - ٢٥٩) .

ولما استوزر بختيار ابن بقيّة ، نفى أبا محمد الخـازن بن فسانجس إلى واسط ، وأجـرى عليه رزقـاً ، ثم إنّ أبا محمـد أصعد إلى بغـداد بغير أمـره ، فاغتاظ ، وقبض عليه ، ونفاه إلى البـطيحة ، ثم أصعـد سرّاً واستتـر ببغداد ، فقبض ابن بقيّة عليه وعلى أخيـه الوزيـر أبي الفرج ونفـاهما إلى سـرّمن رأى ، واعتقله بها سنة ٣٦٠ . (تجارب الأمم ٢/٢٨٧) .

وفي السنة ٣٦٩ قبض عضد الدولة على نقيب الطالبيّين أبي أحمد الموسوي ، وعلى أخيه أبي عبد الله ، وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، ومحمد بن عمر العلوي ، ونفاهم إلى فارس (تجارب الأمم ٢/٣٩٩) .

وغضب المنصور بن أبي عامر الأندلسي ، على عبد الملك بن إدريس الجزيري فنفاه من قرطبة . (إعتاب الكتاب ١٩٣) .

وفي السنة ٤٠٤ أمر الحاكم الفاطمي ، بنفي المنجمين من بلاده . (وفيات الأعيان ٥/٢٩٥) .

وفي السنة ٤٤٦ بويع محمد بن إدريس من آل حمّود بالخلافة ، فنفى أخاه الحسن الملقب بالسامي إلى العدوة . (المعجب للمراكشي ١٢٠) .

واتّصل ابن عمّار الأندلسي ، بالمعتمد اللخمي ، في حياة أبيه المعتضد ، فاشتدّت الإلفة بينهما ، حتى لم يستطع المعتمد أن يفارقه ، ولما ولي المعتمد مدينة شلب لأبيه ، أخذ معه ابن عمّار وزيراً ، فأمر المعتضد بنفي ابن عمّار من بلاده ، فنفي إلى أقاصي بلاد الأندلس . (المعجب للمراكشي ١٧٦) .

وفي السنة ٤٩٧ ورد للسلطان سنجر ، ملطّف (كتاب في قصاصة) : لا يتمّ لك أمرٌ مع هذا الأمير برغش ، وورد ملطّف للأمير برغش : لا يتمّ لك أمر مع هذا السلطان ، فجرت مضاهاة الخطّ ، وثبت إنّه بخطّ كاتب الطغرائي وزير سنجر ، فأخذ الكاتب وقتل ، وعزل الطغرائي ، ونفي إلى غزنة (ابن الأثير ١٠/٣٧٨) .

وكان ابن عنين الأنصاري الدمشقي الشاعر ، نظم قصيدةً في ثلب

أهالي دمشق ، سمّاها : مقراض الأعراض ، فنفاه السلطان صلاح الدين الأيّوبي من دمشق ، فكتب إليه لمّا خرج : (وفيات الاعيان ٥/ ١٤)

فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يقترف ذنباً ولا سرقا
أنفوا المؤذّن من بلادكُمُ ... إن كان ينفى كلّ من صدقا

وقبض صاحب دمشق ، بوري بن طغتكين ، على الشاعر ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨) لهجائه الناس ، وحبسه ، وعزم على قطع لسانه ، ثم شفع فيه ، فنفاه عن دمشق . (وفيات الأعيان ١/ ١٥٦) .

وفي السنة ٥٨٢ عاد عبد الله بن غانية ، إلى ميورقة ، فوجد أخاه محمد ، قد انتقض عليه وأخذ يدعو للموحّدين ، فاستعاد عبد الله الحكم ، واعتقل أخاه محمد ، **ونفاه إلى الأندلس** ، حيث أكرمه الموحّدون إكراماً عظيماً ، وولّوه على مدينة دانية . (المعجب للمراكشي ٣٥٢) .

وفي السنة ٦٢٩ نقل عن عبد الله بن ذبابة ، ما اقتضى ضربه على باب النوبي ، وقطع لسانه ، وإحداره إلى البصرة ، وإلزامه المقام بها . (الحوادث الجامعة ٣١) .

وفي السنة ٦٩٠ أمر السلطان الملك الأشرف خليل ، ملك مصر والشام ، بإخراج ولدي الملك الظاهر بيبرس ، وهما الملك المسعود خضر صاحب الكرك ، والملك العادل سلامش ملك مصر المخلوع ، ونفاهما مع أمّهما إلى بلاد الأشكري ملك الفرنج ، فلما آستقرّا بالقسطنطينية ، أحسن إليهم الأشكري وأجرى عليهم ما يقوم بهم ومن معهم ، ومات سلامش هناك ، فصبّرته والدته بالصبر ، وجعلته في تابوت ، ولم تدفنه ، إلى أن عادت به إلى الديار المصريّة (تاريخ ابن الفرات ٨/ ١٣٠) .

وفي السنة ٧٣٧ أخذ بمصر شمس الدين بن اللبان الشافعي ، وشهد

عليه عند الحاكم بعظائم تبيح الدم ، فرسم بنفيه (شذرات الذهب ٦/١١٤) .

وفي السنة ٧٦٩ توفّي قطب الدين القدسي ، المعروف بالهرماس ، وكان قد صحب الناصر حسن ، وحظي عنده ، ثم غضب عليه الناصر ، وطرده ، بعد أن ضربه بالمقارع ، ونفاه إلى مصياف . (الدرر الكامنة ٤/٣٣) .

وفي السنة ٧٨٦ قبض على الأمير يلبغا ومعه سبعة أنفار من المماليك وضربهم سلطان مصر ، ورسم بنفيهم إلى الشام (بدائع الزهور ١/٢/٣٤٤) .

وفي السنة ٧٨٧ أمر سلطان مصر ، بنفي الأمير علي خان ، والي البهنسا من مصر ، بعد أن ضرب ، وغرم عشرة آلاف دينار . (بدائع الزهور ١/٢/٥٩) .

وفي السنة ٧٨٨ أنكر قاضي دمنهور ، على ضامن المكوس ، ما يستأديه من المسلمين ، فأمر السلطان بضرب القاضي ونفيه . (نزهة النفوس ١٤٠) .

وفي السنة ٧٩٠ أمر السلطان الملك الظاهر برقوق ، بنفي الطواشي بهادر ، مقدّم المماليك السلطانية ، فنفي من القاهرة إلى صفد ، قيل لأنّه وجده سكراناً (تاريخ ابن الفرات ٩/٣٣) .

وفي السنة ٨٠١ تنكّر سلطان مصر ، على الأمير سودون الحمزاوي ، فضربه ، ونفاه إلى بلاد الشام . (بدائع الزهور ١/٢/٥١١) .

وفي السنة ٨١١ نفى سلطان مصر ، الأمير يلبغا السالمي ، من القاهرة إلى الاسكندرية . (الاعلام ٩/٢٧٦) .

وغضب ملك الأمراء ، نائب السلطان العثماني بمصر ، على أحد الرعيّة ، فجدع أنفه ، وصلم أذنيه ، ونفاه إلى مكة (بدائع الزهور ٥/٣٩٤) .

وفي السنة ٩٦٩ توفّي الشيخ ابو محمد معروف بن عبد الله اليمني بدوعان منفيّاً ، وهو من أهل شبام ، فخشيه السلطان بدر الكثيري لاعتقاد الناس فيه ، فأمر بإشهاره ونفيه ، فربط في عنقه حبل ، وطيف به ينادي عليه : هذا معبودكم يا أهل شبام ، ثم نفي عن شبام ، فاستقرّ بدوعان وبها مات (شذرات الذهب ٨/٣٥٧) .

وفي السنة ١٠٣٢ نفي السلطان جاني بك كراي بن مبارك ، خان القرم ، إلى جزيرة رودس ، ومات هناك منفياً في السنة ١٠٣٦ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٧ و٣٦٨) .

وفي السنة ١٠٥٤ عزل السلطان محمد كراي الرابع بن سلامت ، خان القرم ، من السلطنة ، ونفي إلى رودس ، وكان قد ولي السلطنة في السنة ١٠٥١ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١٠٩٤ عزل السلطان مراد كراي بن مبارك ، خان القرم ، من السلطنة ونفي إلى يمبلوي ، حيث توفّي هناك في السنة ١١٠٧ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١١٠٣ عزل السلطان سعادة كراي بن قريم ، خان القرم ، من السلطنة ، ونفي إلى رودس ، حيث توفّي منفياً في السنة ١١١٦ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١١٠٨ أحضر الباشا بمصر ، الشيخ محمد الزرقاني ، أحد شهود المحكمة ، بسبب انه كتب حجة وقف تتعلّق بمنزل آل إلى بيت المال ، فأمر به فحلقت لحيته ، وأشهر في الأسواق على جمل ، والمنادي

ينادي عليه : هذا جزاء من يكتب الحجج الزور ، ثم أمر بنفيه إلى جزيرة الطينة (تاريخ الجبرتي ١/ ٤٩ و٥٠) .

وفي السنة ١١٢٥ عزل السلطان دولت كراي بن سليم ، خان القرم ، من السلطنة ، ونفي إلى رودس ، بعد ان حكم القرم من السنة ١١٢١ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١١٢٢ عزل الداماد علي باشا الجورليلي ، الصدر الأعظم ، وهو زوج بنت السلطان مصطفى خان ، ونفي الى جزيرة مدللي ، وقتل هناك (اعلام النبلاء ٣/ ٣٠٨) .

وفي السنة ١١٤٤ قام نادر شاه بعزل الشاه طهماسب الثاني ونفاه (معجم أنساب الاسرات الحاكمة ٣٨٨) .

وفي السنة ١١٦٩ عزل السلطان أرسلان كراي بن دولت ، خان القرم ، من السلطنة ، ونفي إلى خيوس ، بعد أن حكم من السنة ١١٦١ (معجم انساب الاسرات الحاكمة ٣٦٨) .

وفي السنة ١١٧١ وصل الامر العالي السلطاني ، على يد محمد أغا الأورفه لي ، رئيس البوّابين بالباب العالي ، بالقبض على أسعد باشا العظم ، والي حلب ، ونفيه إلى جزيرة كريت ، ثم قتل بداخل حمّام ، بمدينة أنقره (اعلام النبلاء ٣/ ٣٣٥) .

وفي السنة ١١٧٨ عزل الصدر الأعظم مصطفى باشا ، ونفي إلى جزيرة مدللي ، وهناك أعدم ، وقطع رأسه ، وأحضر للأستانة (اعلام النبلاء ٣/ ٣٣٩) .

وفي السنة ١١٧٨ نفي السيد محمد افندي نقيب الطالبيين بحلب ، الشهير بحلبي افندي ، ابن المولى السيد احمد افندي طه زاده ، إلى بروسه ، بشكاية أحد أهالي حلب (اعلام النبلاء ٣/ ٣٤٥) .

وفي السنة ١١٨٥ نفي حسين باشا الداماد ابن العمادي ، والي حلب ، إلى قلعة البيرة ، وبعد أيّام أرسل إليه من قتله ، وأرسل رأسه إلى الدولة (اعلام النبلاء ٣/٣٤٨) .

وفي السنة ١١٩٤ في عهد الوزير عبدي باشا ، سر عسكر أناطولي ، والي حلب ، توجّه كاتب الديوان ، وابن جيان ، الى دار أحمد افندي الخنكارلي ، وابنه محمد أغا إذذاك متسلّم حلب ، فطلبوا أحمد افندي من الحرم ، بعدما أحاط التفنكجية بداره بالسلاح الكامل ، فخرج إليهم ، وتلقّاهم أحسن ملتقى ، وجلس لمؤانستهم ، فلم يشعر الا وقد أحاطوا به ، وقبضوا عليه ، وذبحوه ، وحزّوا رأسه ، ورجعوا به إلى السرايا ، ثم أخذوا ولده المتسلّم محمد أغا ، والسيد أحمد افندي الكواكبي ، وعينوا معهما بيارق ، وأخذوهما مع الرأس ، إلى ناحية اعزاز ، فحبسوهما في جادر (خيمة) وركزوا الرأس حذاء ابنه ، ثم نفي الكواكبي إلى قلعة البيرة ، وعين معه بيارق ، وأرسل الرأس للدولة العلية (اعلام النبلاء ٣/٣٥٦) .

وفي السنة ١٢٠٠ توفّي عبد الغني بن محمد الحنفي الدمشقي ، ومما يؤثر عنه انّه نفي مرتين ، الأولى نفاه الصدر الوزير محمد باشا السلحدار إلى جزيرة لمني ، والثانية نفاه والي دمشق الوزير درويش باشا بن عثمان باشا إلى جزيرة عورت تجاه بلدة طرابلس الشام (سلك الدرر ٣/٣٩) .

وفي السنة ١٢٠٠ حصل قحط ببغداد ، فهاج لفيف من الناس ، وحملوا علم الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وخرجوا في مظاهرة يصيحون : إنّ عباد الله ماتوا جوعاً ، فأمر الوزير ، والي بغداد بتفريقهم ، فهاجمهم الجنود ، وقتلوا بعضهم ، وأسروا آخرين فصلبهم في الحال ، وقبض على آخرين فجلدهم بالعصي ، ثم نفاهم إلى البصرة (تاريخ العراق للعزاوي ٦/٩٨) .

وفي السنة ١٢٠٦ (١٧٩١ م) أصدر وكيل الحرج في الجزائر ، علي

برغل ، للقبطان الحاج محمد ، قائد أسطول الجزائر ، أمراً بالإعتداء على مراكب الأميركان ، خلافاً لأمر الأمير حسن باشا ، أمير الجزائر ، وأطاع القبطان ، أمر وكيل الحرج ، ظنّاً من إنّه صادر عن الأمير ، ولما بلغ الأمير تصرّف القبطان ، غضب منه ، وأمر بقتله ، فتقدّم علي برغل إلى الأمير ، وأخبره بأنّ الذنب ذنبه ، لا ذنب القبطان ، لأنّ القبطان اتّبع أمره ، حاسباً إنّه أمر صادر عن الأمير ، فسكن غضب الأمير ، وأمر بعلي برغل ، فنفي إلى اصطنبول (مذكرات الزهار ٦١ و٦٢) .

وفي السنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) ظهر الدرقاوي في ناحية وهران ، وهو شريف عربي ، وكاتب العرب في أمر القيام على الترك ، وادّعى إنّه صاحب الوقت (صاحب الزمان) ، فالتفّ عليه العرب والبربر ، وحاربه مصطفى باي صاحب وهران ، فانهزم الباي ، وانكسر عسكره كسرة شنيعة ، فبعث الأمير مصطفى حاكم الجزائر جنداً ، بقيادة الحاج علي أغا ، لمعونة صاحب وهران ، فلم يتمكّنوا من شيء ، وحصرهم جند الشريف ، فاحتالوا حتى تخلّصوا من الحصار وعادوا إلى الجزائر ، فاغتاظ الأمير مصطفى باشا ، وأمرهم بالعودة للحرب ، فانتقض عليه جنده ، وجاهروا بخلعه ، وأمّروا عليهم الحاج علي أغا قائدهم ، ولكنّ الأغا امتنع عن قبول الإمارة ، فأجبروه على ذلك ، ثم انحلّ أمرهم ، واستسلموا للباشا مصطفى ، فأمر بالحاج علي أغا ، فنفي إلى اصطنبول (مذكرات الزهار ٨٤ و٨٥) .

وفي السنة ١٢٢٩ رسم كتخدا الوالي بالقاهرة ، بنفي طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا إلى أبي قير ، بسبب فتيا أفتوها في حادثة ببلدهم ، وقضى بها قاضيهم ، وأنهيت الدعوى إلى ديوان مصر ، فطلبوا إلى إعادة الدعوى ، فحضروا ، وترافعوا إلى قاضي العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ ، فرسم بنفي الشاكي والمفتين والقاضي (الجبرتي ٣/٤٦٧) .

وفي السنة ١٢٣٢ (١٨١٦ م) لما قتل الأمير عمر باشا ، والي

الجزائر ، ونصب علي باشا خلفاً له ، جاء بمائتي رجل من العسكر ، فأبقاهم معه ، ثم عزل الوزراء ، فمنهم من أبقاه ، ومنهم من قتله ، ونفى الخزناجي إلى تلمسان ، ونفى خوجة الخيل إلى مستغانم (مذكرات الزهار ١٣١ و١٣٢) .

وفي السنة ١٢٣٢ تحرك العسكر على علي باشا ، أمير الجزائر ، وخلعوه ، ونصبوا شاوش الحملة ، أي قائد البعث ، أميراً عليهم ، ولكنّ الشاوش رفض الإمارة ، فأجبروه، ونصبوا له وزراء ، ثم انّ الأمير علي باشا ، انتصر عليهم ، وقتل منهم ، وعذّب ، ونفى ، ولما قبض على شاوش الحملة ، قال له : لقد علمت أنّك كنت مجبراً على التأمير ، ولذلك فإنّي اكتفي بنفيك ، ونفاه إلى البرالتركي (اصطنبول) (مذكرات الزهار ١٣٦ و١٣٧) .

السنة ١٢٤٤ قتل أحمد بك بن ابراهيم باشا بحلب ، وكان قد صدر له أمر بأن يتوجّه إلى أرضروم بمائة وخمسين عسكرياً فخرج من حلب ، ولكنّه مرض فعاد إلى حلب ، فصدر أمر سلطاني إلى علي باشا ، بقتل أحمد بك ، فتوجّه علي باشا لزيارة أحمد بك ، فتلّقاه وأحسن استقباله ، وتحادثا مدّة ، ثم نهض علي باشا وخرج من باب القصر ، فشيعه أحمد بك ، وكان علي باشا قد أوعز لثلاثة من أتباعه ، أن يطلقوا النار على أحمد بك إذا خرج لتوديعه ، فلما خرج أطلقوا عليه النار ، وقتلوه ، ثم قطعوا رأسه ، وأدخلوا الجثّة إلى الحريم ، وأرسل الوالي الرأس إلى الأستانة ، فأحضر السلطان مصطفى بك ميرآخور ، أخا أحمد بك ، وعرض عليه اليه الرأس ، وقال له : هل هذا رأس أخيك ؟ فلما أجاب بالايجاب أمر بقتله ، فقتل ، وأصدر السلطان أمره بمصادرة أملاكهما ، ونفي أولادهما ، وكافّة من يلوذ بهما ، البعض منهم إلى سيواس ، والبعض الى عينتاب والبعض الى أمكنة أخرى (اعلام النبلاء ٣/٤١٢ - ٤١٤) .

ولما استولى الفرنسّيون على الجزائر في السنة ١٢٤٥ (١٨٣٠م) طالبوا المفتي الشيخ مصطفى بن الكبابطي ، بتسليم سجل الأوقاف ، فـأبى ، وامتنع من تسليمه ، فاعتقله القائد الفرنسي ، ونفاه إلى خارج الجزائر ، فقصد مدينة الاسكنـدرية ، فتلقّاه أهلها ، ورحّبوا به ، وتوفّي هناك (مذكرات الزهار ١٨٣) .

الفصل الثاني

القسم الأول

الاشهار

الشهرة : وضوح الأمر في شنعة حتى يشهره الناس ، وفي الحديث : من لبس ثوب شهرة ، ألبسه الله ثوب مذلّة (لسان العرب) .

والاشهار ، في الاصطلاح : عرض الإنسان في وضع مزرٍ ، إذلالاً له ، وتشنيعاً عليه .

والناس في كثير من المواضع ، يسمّون الإشهار تجريساً ، فإذا أشهر شخص ، قالوا : جرّسوه ، والسبب في ذلك ، أنّ أكثر الذين يشهرون يصحبهم شخص يحمل جرساً يدقّه لتنبيه الناس إليه ، ليكون ذلك أبلغ في إهانته ، وقد يحمل على الدابّة مقلوباً وجهه إلى الذنب ، ولذلك قال القيراطيّ الشاعر ، يهجو شاعراً ، ويتّهمه بأنّه يسرق معاني شعره ، ولكنّه لا يضعها في مواضعها ، قال : (شفاء الغليل ٦٧) .

وشاعر بالمعاني لا شعور له　　مركب الجهل يبدي سوء تركيب
موكّل بمعانيه يجرّسها　　فما يركّب معنى غير مقلوب

وكان الإشهار يتمّ على ألوان تختلف باختلاف المطلوب إشهاره ، فإن كان المطلوب إشهاره قائداً ، أو ثائراً عظيم النكاية ، أركب فيلاً (تاريخ ابن خلدون ٣/٢٦٢) ، أو جملاً (تجارب الأمم ١/٤٩)، وإلّا أركب حماراً (نفح الطيب ٣/١٣٦) ، وفي مصر قد يشهر على ثور (شذرات الذهب ٨/٤١) ،

ويطاف به في البلد (شذرات الذهب ٨/٥٥ ، وإعلام النبلاء ٤/٥٢٠ و٥٢١) ، وقد يطاف به وهو مقيّد (تاريخ ابن خلدون ٣/٢٢٨) ، وقد يوضع في لحيته ريش ، وبيده قصبة (إتّعاظ الحنفا ١٢٦) ، أو يطاف به وهو في قفص (إتّعاظ الحنفا ١٣١) ، وقد يضاف إلى إشهاره أن يوكّل به من يصفعه (إعلام النبلاء ٤/٥٢٠ و٥٢١) ، أو من يلقي عليه الروث (ابن خلدون ٧/٣٢٦) وقد يردف وراءه قردٌ يصفعه (إتّعاظ الحنفا ٢٧٠) ، أو أن يلبس برنساً كبيراً ، بثوب مشهر ، مكتوب على ظهره اسمه ، وما فعل (إتّعاظالحنفا ٢٠٩) ، أو أن يطاف به وهو خلال ذلك يضرب بالمقارع (شذرات الذهب ٨/٥٥) ، أو أن يسوّد وجهه (بدائع الزهور ٥/٢١١) من بوتقة معدّة لذلك ، وتسمّى ببغداد « بوتقة السواد » (المنتظم ١٠/٢٣٧) ، وقد يركب ووجهه إلى جهة الذنب (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ١٦١) ، وقد يحصل بإلباس الرجل ثياب النساء ، وإشهاره بتلك الثياب (انساب الاشراف ٥/٣٠٤ ووفيات الأعيان ٦/٤١٠ والعيون والحدائق ٣/٣٦٥ وتجارب الأمم ٦/٤٥٦) .

وركوب الحمير ، عند أهل الهند ، عيب كبير ، وحميرهم صغار الاجسام ، وإذا أرادوا تشهير أحد بعد ضربه أركبوه الحمار (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/١٤٧) .

وكان من جملة ما يصنع بمن يراد إدخاله إلى مصر مشهراً ، أن يربط عنقه بحبل ، ويحمل إلى البلد والحبل في عنقه (المكافأة ٦٠ ـ ٦٤) .

وفي بغداد ، كان من يراد اشهاره ، يلطّخ وجهه باللبن الرائب ، ثم يشهر ، ويتّضح ذلك من رباعية من نظم الملا عبود الكرخي ، قال : (موسوعة الكتايات العامية البغدادية) .

بجدر عقلك يطبخوه   وجلدك ـ اعلم ـ يصلخوه
بلبن وجهك يلطخوه   وبالشوارع يشهروك

وكان العصاة ، في أيّام الخلفاء الراشدين ، يشهرون ، بأن تنزع عمائمهم ، ويقامون للناس ، حتى جاء زياد بن أبيه ، فأضاف إليها الضرب بالسياط ، وجاء المصعب بن الزبير ، فحلق مع الضرب ، وجاء بشر بن مروان ، فكان يصلب تحت الإبطين ، ويدقّ المسامير في الأكفّ ، فلما جاء الحجاج ، قال : كلّ هذا لعب ، فكان يجازي بالقتل (شرح نهج البلاغة ١٢/٤٥) .

وأشهر الإمام علي ، النجاشي الشاعر ، إذ شرب الخمر في رمضان ، فضربه بالكوفة ، ثمانين للسكر ، ومائة لحرمة شهر رمضان ، وحمله على جمل ، وطاف به في الكوفة (البصائر والذخائر ٢/٢/٤٦٨) .

وشهر عبيد الله بن زياد ، شاعراً هجاه ، بأن سقاه مسهلاً ، وقرن به هرّة وخنزيرة ، وطيف به وبطنه تسيل (الوافي بالوفيات ٥/٢٤٨ وابن الأثير ٣/٥٢٣ ووفيات الأعيان ٦/٣٤٩ و٣٥٠) .

أقول : كان الذي شهره عبيد الله بن زياد ، هو الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري ، وكان سبب هجائه له ، إنّه صحب عبّاد بن زياد ، أخا عبيد الله ، لما ولي سجستان ، وانشغل عبّاد بحروبه عن ابن مفرغ ، فبسط لسانه فيه ، فبلغه ذلك ، فحبسه ، وصادره ، ثم أطلقه ، ففرّ إلى الشام ، ولجّ في هجاء بني زياد ، فطلبه عبيد الله طلباً شديداً ، وكتب في أمره إلى يزيد بن معاوية ، فأمر يزيد بطلبه ، ففرّ من الشام إلى البصرة ، فظفر به عبيد الله ، فحبسه ، واستأذن يزيد في قتله ، فلم يأذن له ، وإنّما مكّنه « أن ينكّل به على أن لا يبلغ به القتل » فأمر عبيد الله بابن مفرغ فسقى نبيذاً حلواً ، قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه ، وطيف به وهو على تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة ، فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون ، ثم ردّه إلى الحبس ، راجع التفصيل في وفيات الاعيان ٦/٣٤٢ ـ ٣٥٤ .

ولمـا قدم سلم بن زيـاد ، أميراً على خـراسان ليزيد بن معـاوية ، أخـذ سلفـه الحارث بن قيس بن الهيثم السلمي ، فحبسـه ، وأقامـه في سراويـل ، وضرب ابنه شبيب (الطبري ٥/٤٧٢) .

وكان في جند عبد الملك الذي حاصر زفر في قرقيسيا ، رجل من كلب يقـال له الـذيـال ، كـان يخـرج فيشتم زفـر ، فـأمـر زفـر بعض من معـه ، أن يحضـروه إليه ، فـأحضروه إليـه بحيلة ، وأخبره الـذي أحضره إنّـه قد أمّنـه ، فوهب له زفر دنانيـر ، وحمله على راحلة ، وألبسه ثيـاب النساء ، وبعث معـه رجالاً أوصلوه إلى عسكر عبد الملك ، ونادوا : هذه جاريـة بعث بها زفـر إلى عبد الملك (انساب الأشراف ٥/٣٠٤) .

وفي السنة ٦٩ شهر مصعب بن الزبير جمـاعة من وجـوه أهل البصـرة ، وطيف بهم في أقـطار البصرة ، بعـد أن ضربهم مـائة مـائـة ، وسبّهم ، وحلق رؤوسهم ولحـاهم ، وهـدم دورهم ، وصهـرهم في الشمس ثـلاثـاً ، وحملهم على طـلاق نسائهم ، و حجّـر أولادهم في البعـوث ، وأحلفهم أن لا ينكحـوا الحـرائر ، وسبب ذلـك إنّهم ناصـروا عبـد الملك بن مـروان ، لمـا بعث إلى البصرة خالد بن عبد الله يهيج أهلها على ابن الزبير ، ولكنّ خالداً لم يـوفّق ، إذ أشعـل حربـاً دامت أربعة وعشـرين يومـاً ، ثم استجـار بمـالـك بن مسمـع فأخرجه من البصرة ، ولما عاد المصعب إلى البصرة ، صنع بمن نـاصر خـالد بن عبد الله ، ما ذكرناه آنفاً (الطبري ٦/١٥١ ـ ١٥٥) .

ولما فتح يـزيد بن المهلّب جـرجان في السنـة ٩٨ كتب إلى سليمان بن عبـد الملك أن قد صـار إليه ، مما هـو حقّ بيت المال من خُمْسِ مـا أفاء الله على المسلمين من الفيء والغنيمة ، ستّة آلاف ألف درهم ، وإنّه سوف يحمل ذلك إلى أمير المؤنين ، فقال له كاتبه المغيـرة بن أبي قرّة : لا تكتب بتسميـة مـال ، فإنّـك من ذلك بين أمـرين : إمّا استكثـره فأمـرك بحمله ، وإمّا سخت نفسه به لك فسوّغكه ، فتكلّفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا آستقلّه ،

ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المال الذي سمّيت مخلّداً عليك في دواوينهم ، فإن ولي وال بعده أخذك به ، فلا تمض كتابك ، ولكن أكتب بالفتح فقط ، فأبى يزيد ، فلما توفّي سليمان وولي الأمر عمر بن عبد العزيز طالبه بالمال ، وأمر به فحمل إليه مقيّداً ، وقال يزيد : إنّي كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به فقال له عمر : ما أجد في أمرك إلّا حبسك ، فاتّق الله ، وأدّما قبلك ، فإنّها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها ، فأبى يزيد أن يؤدّي شيئاً ، فألبسه عمر جبّة من صوف وحمله على جمل ، وأمر أن ينفى إلى دهلك ، ثم خشي أن ينتزعه قومه ، فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر ، ففرّ من السجن (الطبري ٦/٥٤٤ و٥٥٧) .

وتنازع الفرزدق والنوار ، إلى عبد الله بن الزبير ، فالتجا الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير ، والتجأت النوار إلى بنت منظور بن زبان ، زوجة عبد الله ، فتوجّه القضاء على الفرزدق، فقال يهجو ابن الزبير :

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشفّعت بنت منظور بن زبّانا
ليس الشفيع الذي يأتيك متّزراً ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فغضب ابن الزبير : وقال له : يا ألأم الناس ، وأمر به فأقيم (أي شهر) . (الاغاني ٩/٣٢٦) .

وذكر أنّ أم أشعب الطمّاع ، شهد عليها بالزنا ، فحلقت ، وأشهرت على جمل ، وأمرت أن تنادي على نفسها : من رآني فلا يزنين ، فصاحت بها امرأة : يا فاعلة ، نهانا الله عزّ وجلّ عن هذا ، فعصيناه ، فهل نطيعك أنت ، وأنت مجلودة محلوقة ، يطاف بك على جمل ؟ (الاغاني ١٩/١٣٥ و١٣٧) .

وأمر عمر بن عبد العزيز ، أمير المدينة ، بجرير وعمر بن لجأ ، لما

تهاجيا وتقاذفا ، فقرنا وأقيما موقوفين للناس بسوق المدينة ، قرنهما في حبل واحد . (الاغاني ٨/٨٢) .

وكان عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، أميراً على المدينة في السنة ١٠٤ فخطب فاطمة بنت الحسين ، فأبت أن تتزوّجه ، فهدّدها بأن يتّهم ولدها عبد الله بن الحسن بشرب الخمر ، ويضربه الحدّ ، فشكتـه إلى يزيد بن عبد الملك ، فغضب ، ونزل عن فراشه وجعل يضرب الأرض بخيزرانة في يده ، وهو يقول : هل من رجل يسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي ، ثم كتب بتولية عبد الواحد النضري المدينة ، وأمره بأن يغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار ، وأن يعذّبه حتى يسمعه صوته وهو على فراشه بدمشق ، وأحسّ ابن الضحاك بالأمر ، عرفه من صاحب البريد بعد أن وصله بألف دينار ، ثم التجأ ابن الضحّاك إلى مسلمة بن عبد الملك بالشام ، فأبى يزيد أن يجيره ، وردّه إلى النضري بالمدينة ، فألبسه جبّة صوف ، وأقامه (أشهره) يسأل الناس ، وعذّبه (الطبري ٧/١٤ و١٣) .

وفي السنة ١١٠ قدم عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، إفريقية ، أميراً عليها لهشام بن عبد الملك ، فرأى المستنير بن الحارث الحريثي ، غزا صقلية ، وقفل بأصحابه عند حلول الشتاء ، فغرق من معه ، ونجا هو ، فاعتقله عبيدة ، وعاقبه على تفريطه في أرواح جنده ، فحبسه ، وجلده ، وشهره بالقيروان (ابن الأثير ٥/١٧٤) .

وفي السنة ١١٠ ألحّ عامل الخراج بسمرقند على أخذ الجزية حتى ممن أسلم ، واستخفّ بعظماء الرعية ، وأمر بالدهاقين فأقيموا ، وخرّقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء (الطبري ٧/٥٦) .

وفي السنة ١٤١ خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن ، عامل المنصور على

خراسان ، فقاتله خزيمة بن خازم وأسره ، وأشهره بأن ألبسه مدرعة صوف ، وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قبل عجز البعير (العيون والحدائق ٢٢٨/٣) .

وفي السنة ١٤٧ خرج هشام بن عذرة ، على عبد الرحمن الداخل بالأندلس ، وتحصّن بطليطلة ، فسيّر إليه عبد الرحمن مولاه بدراً على رأس جيش ، فحصره ، وضيّق عليه وأسره هو وحياة بن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، فجيء بهم إلى عبد الرحمن ، مشهرين على حمير ، وقد حلقت رؤوسهم ولحاهم ، وألبسوا جباب صوف ، وقيّدوا بالسلاسل (ابن الأثير ٥٨٣/٥) .

وفي السنة ١٦٠ خرج بخراسان ، يوسف بن إبراهيم ، المعروف بيوسف البرم ، فوجّه إليه المهدي العباسي ، يزيد بن مزيد ، فأسره ، وبعث به إلى المهدي ، وبعث معه جماعة من وجوه أصحابه ، فلما انتهى بهم إلى النهروان حمل يوسف على بعير وقد حوّل وجهه الى ذنب البعير ، وأصحابه كلّ واحد على بعير ، فأدخلوا الرصافة وأدخلوه إلى المهدي ، فأمر هرثمة بن أعين فقطع يدي يوسف ورجليه وضرب عنقه وأعناق أصحابه ، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى (الطبري ١٢٤/٨) .

وأخذ عمر بن عبد العزيز بن عبد الله العمري ، من أولاد عمر بن الخطاب ، في السنة ١٦٩ أبا الزفت الحسن بن محمد ، ومسلم بن جندب ، وعمر بن سلام ، على شراب ، فأمر بهم فضربوا ، ثم أمر بهم فجعلت في أعناقهم حبال ، وطيف بهم في المدينة ، ثم حبسهم يوماً وليلة (الطبري ١٩٢/٨) .

وغضب المهاجر بن عبد الله الكلابي ، أمير اليمامة ، على جماعة من قومه ، فأمر بإخراجهم مشهرين ، وسبب ذلك : إنّ المهاجر ، كان أشرف عربيّ في زمانه ، وكان عاملاً على اليمامة لبني أميّة وبني العباس ، أربعين

سنـة ، وكان كـريماً ، سخيّـاً ، يؤتى في الديـة والحمالـة ، فلا يـردّ أحـداً ، وكانت أمّه جارية ، فبينما هو جالس يوماً في منظرة لـه ، إذ رأى خمسين راكباً من قومه ، قد طلعوا عليـه في زيّ جميل ، ومـراكب ، ورواحل ، فسـرّه ذلك منهم ، وأمر لهم بدار كبيرة ، وطعام كثير ، ثم دخل عليهم ، وحيّاهم ، وأقبل عليهم فرحاً ، وواكلهم ، وحادثهم ، وآنسهم ، وبسطهم ، وهو لا يشكّ أنّهم جاءوه في دية ، أو حمـالة ، أو مغـرم ثقيل ، فقـال لهم : حيّاكم الله ، وأنعم بكم عيناً يا بني عمّي ، ما حاجتكم ؟ فقد قضاهـا الله تعالى ، قـالوا : إنّ ابن عمّ لـك ، أصـاب رجـلاً من طـائفـة العشيـرة ، وهـو ابن أمّ ولـد ، (أي ابن جارية) ، وقد خشينا أن يؤخذ بدلـه منا ابن صـريحة (أي عـربية النسب) ، فيكـون لهم الفضل علينـا ، وليس فينا ابن أمّ ولـد ، غيـرك ، فنحن نحبّ أن تنقاد معنا ، ندفعك إلى القوم فيقتلوك ، ويصلح الله تعالى بـك هـذا الأمـر ، ولا يكـون لهم على عشيرتـك فضل ، فلمـا سمع ذلـك ، قـام عنهم ، ودعـا صـاحب شـرطتـه ، فـأمـره أن يخـرجهم ، فيحملهم على رواحلهم محـوّلـة وجـوههم إلى أذنـابهـا ، وأن يجلس لهم الصبيـان في السكـك معهم البعـر ، يرجموهم به ، وينثروه عليهم ، حتى يخرجهم من البلد ، ففعل . (الهفـوات النادرة ٣٧١ و٣٧٢) .

وولي عبد الرحمن العمري ، قضاء مصر ، للرشيد ، من سنة ١٨٥ إلى سنة ١٩٤ فجعل أموال الأيتام إلى يحيى بن عبد الله بكير ، فاشترى بها الرباع والنخيل، وأقبل يستغلّها ، ويدفع إلى الأيتام من تلك الغلّة ، مـا يستنفقونـه ، ويحسب ما يدفعه إليهم من أصل المال ، فلما صارت إليهم رؤوس أموالهم ، ادّعى يحيى أنّ الأصـول لـه ، فلمـا قـدم مصـر القـاضي هـاشم بن أبي بكـر البكـري (١٩٤ ـ ١٩٦) ، شكوه إليـه ، فأمـر به فـربط على العمود المقـابل لباب اسرائيل بالقاهرة ، ونـودي ، عليه : هـذا جزاء كـلّ خائن ، وأقـام أيّامـاً يحلّ رباطه وقت كلّ صلاة . (القضاة للكندي ٤٠٤) .

وفي السنة ١٩٠ أشهر رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، بمدينة سمرقند ، مقيّداً على حمار (الطبري ٨/٣١٩ والعيون والحدائق ٣/٣١١ وابن خلدون ٣/٢٢٨) .

أقول : تزوّج رافع بن الليث بابنة لأبي النعمان الطائي ، وكانت ذات يسار ، فادّعى ابن عمّها يحيى ، إنّها ما زالت في عصمته ، وشكا أمره إلى الرشيد ، فأمر الرشيد عامله عليّ بن عيسى بأن يفرّق بينهما ، وأن يجلد رافعاً الحدّ (حدّ الزنا) وأنّ يقيّده ويطوف به في مدينة سمرقند مقيّداً على حمار ، فدرأ عنه سليمان بن حميد ، عامل سمرقند ، وحمله مقيّداً على حمار ، حتى طلّقها ، ثم حبسه في سجن سمرقند ، ففرّ من السجن ، والتجأ إلى علي بن عيسى ببلخ ، فأراد عليّ أن يقتله ، فعاد إلى سمرقند ، ووثب بعاملها سليمان بن حميد فقتله ، واتّفق عليه أهل سمرقند فرأّسوه ، وبعث إليه علي بن عيسى ولده عيسى على رأس جيش ، فقتله رافع (الطبري ٨/٣١٩ - ٣٢٣) .

وفي السنة ١٩١ عزل علي بن عيسى بن ماهان عن خراسان ، وأشهر على جمل ، وفي رجليه قيد (العيون والحدائق ٣/٣١٥) .

أقول : كتاب الرشيد بعزل علي بن عيسى بن ماهان من الكتب الطريفة ، فإنّه كتبه بخطّه ، وأعطاه لهرثمة ، فسلّمه بيده إلى علي ، وهذا نصّه : بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الزانية ، رفعتُ من قدرك ، ونوّهتُ باسمك ، وأوطأتُ سادة العرب عقبك ، وجعلت أبناء ملوك العجم خولك وأتباعك ، فكان جزائي أن خالفت عهدي ، ونبذت وراء ظهرك أمري ، حتى عثت في الأرض ، وظلمت الرعية ، وأسخطت الله وخليفته بسوء سيرتك ، ورداءة طعمتك ، وظاهر خيانتك ، وقد ولّيت هرثمة بن أعين مولاي ثغر خراسان ، وأمرته أن يشدّ وطأته عليك ، وعلى ولدك ، وكتّابك ، وعمّالك ، ولا يترك وراء ظهوركم درهماً ، ولا حقّاً لمسلم ولا معاهد إلّا أخذكم به ؛

حتى تـردّه إلى أهله ، فإن أبيت ذلـك ، وأباه ولـدك وعمّـالـك، فله أن يبسط عليكم العـذاب ، ويصبّ عليكم السيـاط ، ويحـلّ بكم مـا حـلّ بمن نكث وغيّـر ، وبدّل وخـالف ، وظلم وتعدّى وغشم ، انتقـاماً لله عـزّ وجـل بـادئـاً ، ولخليفتـه ثانيـاً ، وللمسلمين والمعاهـدين ثالثـاً ، فلا تعـرّض نفسـك للتي لا شوى لها ، وآخرج مما يلزمك طائعاً أو مكرهاً (الطبري ٨/٣٢٧) .

وبلغ الأمين ، أنّ عمّـه يعقـوب بن المهـدي (ت ٢٠٧) ، لا يقـيم نسبه ، فدعاه ، وقال له : آنتسب ، فقال : أنـا يعقوب بن المهـدي ، فقال : ابن من ؟ فلم يعلم ، فـأمر بـه ، فحمـل على الفيـل ، وحلف لا ينـزلـه حتى يحفظ نسبه . (الهفوات النادرة ٣٧٢ و٣٧٣) .

أقول : كان يعقوب بن المهدي هـذا ، آية في التخلّف ، ويكفي لبيـان تخلّفـه أنّه لا يقيم نسبـه ، وبلغ من حمقـه ، إنّـه صنـع سجـلاً يثبت فيـه مـا يملكه ، فأثبت فيه ما يشتهي تملّكـه ، حتى ولو لم يملكـه ، وكان لا يمسـك الفساء ، فاتّخذت له دايتـه مثلّثة ، وهي عـطر يهيّأ بـأن تخلط ثلاثـة أجزاء من الـطيب كالمسـك والندّ والعنبـر ، فلما وضعتهـا تحتـه لتبخّـره ، فسـا ، وقـال لـدايته : هـذه المثلثة ، مـا هي طيّبة ، فقـالت له : لمـا كانت مثلّثـة ، كانت طيّبة ، فلما ربّعتها ، فسدت ، وذكروا أنّ المأمـون ، كان يـوماً على المنبـر ، يـوم الجمعـة ، وأمـامـه أخـوه أبـو عيسى ، بين الحشد، فـدخـل يعقـوب بن المهدي ، فأمسك أبو عيسى أنفه ، وسدّه بأصابعه ، يشير إلى فسـاء يعقوب ، ولحظ المـأمون ذلـك ، فكاد أن ينفجـر ، ثم تماسـك ، وأتمّ خطبتـه ، فلمـا نزل ، عنّف أبا عيسى تعنيفاً شديداً ، وقال لـه : لقد هممت أن آمـر بضربـك مائة عصا ، فإيّاك أن تعاود مثـل ذلك (الهفـوات النادرة ٣٨٠ و٣٨١ الاغـاني ١٠/١٨٩ .

وفي السنة ٢١٠ اعتقل إبراهيم بن المهدي ، وأشهر في رحبة الجسـر ، بالملابس التي كان يرتـديها لمـا قبض عليه ، وهي مـلابس النساء ، وصيّـرت

المقنعة التي كان متنقباً بها في عنقه ، والملحفة في صدره . (الطبري ٦٠٣/٨ ومروج الذهب ٣٤٨/٢ وتجارب الأمم ٤٥٦/٦ والعيون والحدائق ٣٦٥/٣) .

أقول : كان إبراهيم بن المهدي ، قد أعلن خلافته ببغداد ، بعد قتل الأمين ، ولما قصد المأمون بغداد ، استتر في السنة ٢٠٣ وظلّ على استتاره ، حتى أخذ في السنة ٢١٠ ، أمسك وهو متنقّب في زيّ امرأة ، وكان يمشي بين امرأتين أخذه حارس أسود ليلاً ، ولما أبصر النسوة الثلاث ، سألهن : من أنتنّ ، وأين تردن في هذا الوقت ؟ وآرتاب بإبراهيم من بينهنّ ، وأراد أن يأخذهنّ إلى صاحب المسلحة ، فأعطاه إبراهيم خاتماً من الياقوت كان في يده ، ليخليهنّ ، فأبى ، ورفعه إلى صاحب المسلحة ، فجبذه ، فبدت لحيته ، فرفعه إلى صاحب الجسر (صاحب الشرطة) فعرفه ، وذهب به إلى دار المأمون ، واحتفظ به في الدار ، فلما كان غداة الأحد ، أقعد في دار المأمون ، لينظر إليه الناس ، وصيّروا المقنعة التي كان متّنقّباً بها في عنقه ، والملحفة التي كان ملتحفاً بها في صدره ، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ ، فلما كان الخميس ، حوّله المأمون إلى منزل أحمد بن أبي خالد الأحول ، فحبسه عنده ، ثم أخرجه المأمون معه لما خرج إلى الحسن بن سهل بواسط ، وكلّمه فيه الحسن ، بناء على رغبة ابنته بوران التي تزوّجها المأمون ، فرضي عنه ، وخلّى سبيله ، وجعل معه اثنين يحفظانه ، إلا أنّه موسّع عليه ، عنده أمه وعيا له ، ويركب إلى دار المأمون ، ومعه هؤلاء يحفظونه (الطبري ٦٠٣/٨ و٦٠٧) .

وهجا أبو جعفر محمد بن عبد العزيز ، فتى عبّاسيّاً من أولاد العبّاس بن محمد ، فشكاه إلى المأمون ، فأشهر بأن صلب على خشبة ، عند الجسر ، يوماً كاملاً إلى الليل ، ثم أنزل ، فلما أنزلوه دعا بحمّال وأمره بأن يحمل الخشبة معه ، فقيل له : ما هذا ؟ ، فقال : أوّل حملان حملني عليه أمير

المؤمنين ، لا أضيعه ، وباع الخشبة بثلاثة دراهم ، اشترى بها تيناً وعنباً لصبيانه ، فرفع خبره إلى المأمون ، فضحك ، وأمر له بخمسة آلاف درهم (الوافي بالوفيات ٣/ ٢٦٠) .

وفي السنة ٢١٤ أقبل أبو إسحاق بن الرشيد (المعتصم فيما بعد) ، إلى مصر ، فحارب ثائرين فيها ، فهزمهم ، وبعث في طلب عبد الله بن حليس وعبد السلام بن أبي الماضي ، فقيّدهما ، وسجنهما ، ثم أقامهما للناس ، ثم دعا بهما فضرب أعناقهما وصلبهما . (الولاة للكندي ١٨٨) .

ولما أدخل محمد بن القاسم العلوي الصوفي إلى بغداد ، نزع عنه جلال القبّة عند النهروان ، ولما صار بالنهرين ، قالوا له : يا أبا جعفر ، انزع عمامتك ، فإنّ أمير المؤمنين المعتصم ، أمر أن تدخل حاسراً ، فطرحها ، ودخل الشمّاسية في يوم النيروز ، في السنة ٢١٩ وهو في القبّة ، وهي مكشوفة ، وهو حاسر ، وعديله شيخ من أصحاب عبد الله بن طاهر ، وأصحاب السماجة بين يديه يلعبون ، والفراغنة يرقصون (مقاتل الطالبيين ٥٨٥) .

ولما أدخل بابك الخرّمي ، إلى سامراء ، في السنة ٢٢٣ ، ألبس قباء ديباج ، وقلنسوة سمّور مدوّرة ، وأدخل راكباً على فيل قد خضب ، فقال محمد بن عبد الملك الزيّات (الطبري ٩/ ٥٢ و٥٣) .

قد خضب الفيل كعاداته ... يحمل شيطانَ خراسان
والفيل لا تخضب أعضاؤه ... إلّا لذي شأن من الشان

وذكر صاحب مروج الذهب : إنّ بابك أنزل بالقاطول ، على خمسة فراسخ من سامراء ، وبعث إليه بالفيل الأشهب ، وكان قد حمله بعض ملوك الهند إلى المأمون ، وكان فيلاً عظيماً قد جلّل بالديباج الأحمر والأخضر ، وأنواع الحرير الملوّن ، ومعه ناقة عظيمة بختيّة قد جلّلت بما وصفنا ، وحمل

إلى الافشين درّاعة من الديباج الأحمر ، منسوجة بالذهب ، قد رصّع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ، ودرّاعة دونها ، وقلنسوة عظيمة كالبرنس ، ذات سفاسك ، بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر ، وألبس بابك الدراعة الجليلة ، وألبس أخوه الأخرى ، وجعلت القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها ، وقدّم إليه الفيل ، وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى الفيل استعظمه ، وقال : ما هذه الدابّة العظيمة ؟ واستحسن الدرّاعة ، وضرب له المصافّ ، صفّين من الخيل والرجال في السلاح والحديد والرايات والبنود ، من القاطول إلى سامراء ، مدد واحد ، متّصل غير منفصل ، وبابك على الفيل ، وأخوه وراءه على الناقة ، والفيل يخطر بين الصفّين به ، وبابك ينظر إلى ذات اليمين ، وذات الشمال ، وأتي ببابك ، فطوّف بين يدي المعتصم ، فقال له : أنت بابك ؟ فلم يجب ، وكرّرها عليه مراراً ، وبابك ساكت ، فقال له الأفشين : الويل لك ، أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟ ، فقال : نعم ، أنا بابك ، فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه ، فجرّد ، وقطعت يمناه ، وضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلّث برجليه ، وهو يتمرّغ في النطع ، في دمه ، ويضرب بما بقي من زنديه وجهه ، ثم أدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه ، ثم جزّ لسانه ، ثم قطع رأسه ، وحمل أخوه عبد الله ، مع رأس بابك ، إلى مدينة السلام ، حيث صنع به أميرها إسحاق بن إبراهيم ، ما صنع بأخيه بابك (مروج الذهب ٢/٣٦٨ و٣٦٩) .

أقول : قوله عن بابك ، إنّه كان يضرب بما بقي من زنديه وجهه ، في حاجة إلى إيضاح ، وقد أوضح ذلك ، القاضي التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، في القصّة المرقمة ١/٧٤ حيث ذكر أنّ بابك ، لما قطعت يمناه ، وجرى دمها ، مسح به وجهه كلّه ، حتى لم يبق من حلية وجهه ، وصورة سحنته شيء ، فقال المعتصم : سلوه لِمَ فعل هذا ؟ فسئل ،

فقال : قولوا للخليفة ، إنّك أمرت بقطع أربعتي ، وفي نفسك قتلي ، فلا شكّ إنّك لا تكويها ، وسوف تدع دمي ينزف ، فخشيت أن يخرج الدم منّي ، فتبين في وجهي صفرة ، يقدّر لأجلها من حضر ، أنّي قد فزعت من الموت ، وإنّها لذلك ، لا من خروج الدم ، فغطّيت وجهي بما مسحته عليه من الدم ، حتى لا تبين الصفرة .

فقال المعتصم : لولا أنّ أفعاله لا توجب العفو عنه ، لكان حقيقاً بالإستبقاء لهذا الفضل ، وأمر بامضاء أمره فيه (نشوار المحاضرة ، ج ١ ص ١٤٧ و١٤٨ رقم القصة ٧٤) .

وذكر نصر بن مرزوق ، قال : كنت جالساً في المسجد بمصر أيّام المحنة سنة ٢٢٧ ، فسمعت ضوضاء ، ورأيت الناس قد جفلوا ، وإذا هرون بن سعيد الابلّي ، وطيلسانه تحت عضده ، وعمامته في رقبته ، ومطر غلام ابن أبي الليث القاضي بمصر يسوقه بعمامته ، ثم أخرجه من المسجد يطاف به في الطرق . (اخبار القضاة ٤٥٢) .

وقال الغزّي : أنشدني من أسارى بني نمير ، أيّام الواثق ، وهو مشهور على بعير ، مع جماعة : (البصائر والذخائر ٢/٢/٣٦١) .

للبسي برنساً ونقاء عرضي   أحبّ إليّ من جدد الثياب
يروح المرء مختالاً فخوراً   نقيّ الثوب مطبوع الإهاب

وغضب المتوكّل ، على قاضي القضاة ، بمصر ، فأمر بأن تحلق لحيته ، وأن يطاف به على حمار ، وأن يضرب في كلّ يوم عشرين سوطاً (تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٤٧) .

وغضب المتوكّل على علي بن الجهم ، فأمر بنفيه إلى خراسان ، وحمله إليها مشهراً (البصائر والذخائر ٢/٢/٥٩٧ و٥٩٨) .

وفي السنة ٢٣٥ جيء إلى سامراء ، بابن البعيث ، وأخويه ، وابنه ، وخليفته ، أسرى ، فلما قربوا من سامراء ، حملوا على الجمال يستشرفهم الناس ، وأمر المتوكل بحبسه وحبسهم ، وأثقله حديداً ، وكان الحديد في عنقه مائة رطل ، فلم يزل مكبوباً على وجهه حتى مات (٩/ ١٧١) .

ولما ولي المنتصر ، مصر ، لأبيه المتوكّل ، استخلف يزيد بن عبد الله ، فوردها في السنة ٢٤٠ ، فأمر باخراج المؤنّثين ، وضربهم ، ونفيهم ، وأن يطاف بهم (الولاة للكندي ٢٠٣) .

وفي السنة ٢٥١ كان أتراك سامراء ، يحاصرون بغداد ، وفيها المستعين ، فأسروا جماعة من جند بغداد ، وبعثوهم إلى سامراء في جوالق ، قد أخرجوا منها رؤوسهم . (الطبري ٩/ ٣٢٠) .

وفي السنة ٢٥٢ غضب المعتز على أخويه أبي أحمد والمؤيّد ، وهما شقيقان ، فحبسهما في الجوسق ، وقيّد المؤيّد ، وصيّره في حجرة ضيّقة ، وضربه خمسين مقرعة ، وحبس كنجور حاجب المؤيّد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمائة سوط ، وأشهره بأن طوّف به على جمل (الطبري ٩/ ٣٦١ و٣٦٢) .

وفي السنة ٢٥٦ قبض على صالح بن وصيف وهو مستتر ، وحمل على برذون ، والعامّة تعدو خلفه ، وضربه أحد الأتراك بالسيف من وراء عاتقه ، ثم احتزّوا رأسه (الطبري ٩/ ٤٥٤) .

وفي السنة ٢٥٨ أسر يحيى بن محمد البحراني ، من كبار قوّاد الزنج ، رشق بالسهام ، فأصابه منها ثلاثة في عضديه وساقه اليسرى ، وتسلّمه أصحاب السلطان ، فحمل إلى أبي أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى سامراء ، فأدخل على جمل ، وبنيت له دكّة في الحير ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، ثم ضرب مائتا سوط بثمارها ، ثم قطعت أطرافه ، وخبط بالسيوف ، ثم ذبح وأحرق (الطبري ٩/ ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٢٩) .

وفي السنة ٢٦٨ أسر العلوي المعروف بالحرون بمكّة ، وأدخل إلى عسكر أبي أحمد في أوّل السنة ٢٦٨ على جمل ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة (الطبري ٩/٦١٢ و٦١٣) .

ولما اختلف أحمد بن طولون ، مع أبي أحمد الموفّق العباسي ، أعلن ابن طولون لعن الموفّق ، وخلعه من ولاية عهد المعتمد ، وآمتنع بكّار (القاضي) من لعنه ، وأصرّ على الإمتناع ، فغضب عليه ابن طولون ، وأمر بتمزيق ثيابه ، وجرّوه برجله ، وليس عليه إلا سراويل وخفّان وقلنسوة ، مسلوب الثياب ، وأقامه للناس لمطالبته بما يدّعونه عليه من مظالم ، وسجنه ، ثم نقله إلى دار آكتريت له ، فاستقرّ فيها حتى مات سنة ٢٧٠ وقد قارب التسعين ، وكانت مدّة ولايته ٢٤ سنة (القضاة ٥١٢ ـ ٥١٤) .

وفي السنة ٢٧٤ دخل صدّيق الفرغاني ، دَوْر سامراء ، فأغار على أموال التجار ، وأكثر العبث في الناس ، وكان صدّيق هذا يخفر الطريق ، ثم تحوّل فصار لصّاً خارباً يقطع الطريق ، وكان الطائي الموكّل بحفظ الطريق ، فراسله في السنة ٢٧٥ ووعده ، ومنّاه ، وأمّنه ، فعزم صديق على الدخول في طاعته في الأمان ، فحذّره من ذلك غلام له يقال له هاشم ، وكان شجاعاً ، فلم يقبل صدّيق منه ، ودخل سامراء مع أصحابه ، وصار إلى الطائي ، فأخذه الطائي ، ومن دخل معه منهم ، فقطع يد صديق ورجله ، ويد هاشم ورجله ، وأيدي جماعة من أصحابه وأرجلهم ، وحبسهم ، ثم حملهم في محامل إلى مدينة السلام ، وقد أبرزت أيديهم وأرجلهم المقطّعة ، ليراها الناس ثم حبسوا (الطبري ١٠/١٣ و١٤) .

ولما فتح يعقوب بن الليث الصفّار شيراز ، قبض على عليّ بن الحسين بن قريش ، وعذّبه بأنواع العذاب ، وعصر أنثييه ، وشدّ الجوزتين

على صدغيه ، وقيّده بأربعين رطلاً ، حتى خلط ووسوس من شدّة العذاب ، ثم سلّمه إلى الحسن بن درهم ، فضربه ، وعذّبه ، ثم آرتحل من شيراز إلى كرمان ، وأخذه معه ، فلما أتى كرمان ألبسه الثياب المصبّغة ، وقنّعه بمقنعة ، ونادى عليه ، وحبسه . (وفيات الأعيان ٦/ ٤١٠) .

وفي السنة ٢٨١ وافى ترك بن العباس ، عامل السلطان على ديار مضر ، مدينة السلام ، بنيّف وأربعين نفساً من أصحاب أبي الأغرّ صاحب سميساط ، على جمال ، عليهم برانس ودراريع حرير ، فمضى بهم إلى دار المعتضد ، ثم حبسوا . (الطبري ١٠/ ٣٦) .

ولما أسر هارون الشاري ، في السنة ٢٨٣ ، أدخل إلى بغداد على فيل مجلّل بالديباج ، وأرادوا أن يلبسوه درّاعة ديباج ، فأبى ، وقال : هذا لا يحلّ ، فأكره على ذلك ، وجعل على رأسه برنس حرير ، ولما قدّم ليصلب ، نادى بأعلى صوته : لا حكم إلّا لله ، ولو كره المشركون (الطبري ١٠/ ٤٤ وابن الأثير ٧/ ٤٧٧ ومروج الذهب ٢/ ٥١٢) .

ولما أسر عمرو بن الليث الصفّار ، في السنة ٢٨٧ ، جيء به إلى بغداد في قبّة قد أرخي جلالها عليه ، فلما بلغ باب السلامة ، أنزل عمرو من القبّة ، وألبس درّاعة ديباج ، وبرنس السخط ، وحمل على جمل له سنامان ، يقال له إذا كان ضخماً على هذه الصورة : الفالج ، وقد ألبس الجمل الديباج ، وحلّي بذوائب وأرسان مفضّضة ، وأدخل بغداد ، فآشتقّها في الشارع الأعظم إلى دار الخليفة بالقصر الحسني (وفيات الأعيان ٦/ ٤٢٨) وكان خلفه في الموكب بدر (المعتضدي) والوزير القاسم بن عبيد الله في الحبيش ، فأتوا به الثريّا ، فرآه المعتضد ، ثم ادخل المطامير (مروج الذهب ٢/ ٥٢١) ، وهذا الجمل الذي حمل عليه عمرو ، وهو المسمى الفالج ، كان قد اهداه عمرو للخليفة منذ ثلاث سنين ، فلما جيء به أسيراً أشهر عليه ، قال الشاعر : (وفيات الأعيان ٦/ ٤٢٩) .

وحسبـك بالصفّـار نبـلاً وعـزّة ... يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حبـاهم بأجمـال ولـم يدر أنّـه ... على جمـل منهـا يقـاد أسيـرا

أقول : كان عمرو بن الليث الصفار ، يلي خراسان إلى شطّ جيحـون ، وفارس ، والري ، وكرمان ، وقم ، وأصبهان ، ثم سأل السلطان أن يـوليه مـا وراء النهر ، فولّاه ، وكان على ما وراء النهر ، إسماعيل بن أحمد السـاماني ، فاسرع عمرو بجيشه للاستيلاء على ما وراء النهر، فكتب إليه إسماعيل: إنّك قد وليت دنيا عريضة ، وأنا في يدي ما وراء النهر ، وهي ثغر ، فاقنـع بما في يـدك ، ودعني مقيماً في هـذا الثغر ، فلم يجبـه إلى ذلك ، وسـار لحـربـه ، فاشتبكا في معركة آنجلت عن ظفر إسماعيـل ، وسقط عمرو أسيـراً في يده ، فحمله إلى بغـداد مقيّداً ، ولمـا بلغ النهروان حـلّ قيده ، وحمـل في قبـة قـد أرخي جـلالها عليـه ، فلما بلغ بـاب السلامـة ، أدخل مشهـراً ، وأدخل على الخليفـة ، وأوقف على بعد خمسين ذراعـاً منه ، فقـال لـه : هـذا ببغيـك يـا عمـرو ، ثم أخرج من بين يـديه إلى حجـرة قـد اعـدّت لـه (وفيـات الأعيـان ٦/٤١٩ ـ ٤٢٩) .

وفي السنة ٢٨٨ أسر المعتضد ، بالثغر الشامي ، وصيفاً الخادم ، ونفراً ممن أعانوه على العصيان ، ودخل بغداد ، وأمامـه وصيف الخادم على جمـل فـالج وعليـه درّاعة ديبـاج وبرنس ، وخلفـه على جمل آخـر البغيـل ، وخلف البغيـل ابنه على جمـل آخر ، وخلف ابن البغيـل على جمل آخـر ، رجل من أهـل الشام يعـرف بابن المهنـدس ، وقد لبسـوا الدراريـع من الحريـر الأحمر والأصفر ، وعلى رؤوسهم البرانس . (مروج الذهب ٢/٥٢١) .

ولمـا أسـر الحسين بن زكـرويـه المعـروف بصـاحب الشـامـة ، رئيس القرامطة ، في السنـة ٢٩١ أشهر عنـد دخولـه بغداد على فيـل ، وأركب على كرسي ارتفاعـه ذراعان ونصف ذراع على ظهـر الفيل ، وجعـل في فيه خشبـة مخروطة شدّت إلى قفاه على هيأة اللجام (المنتظم ٦/٤٣) .

أقول : في السنة ٢٩١ خرج محمد بن سليمان ، وقوّ . السلطان على رأس جيش يريدون القرمطي ، فلاقوه في موضع يقرب من حماة ، وآشتبكوا معه في معركة دامية ، فانهزم القرامطة ، وقتل منهم عدد عظيم ، وركب رئيسهم ابن زكرويه ، ومعه ابن عمّه المسمّى المدّثر ، والمطوّق ، وغلام لهم رومي ، يريدون الكوفة ، فأخذوا في الطريق ، وحملوا إلى بغداد ، وأدخل صاحب الشامة إلى الرقّة ، ظاهراً للناس على فالج (الجمل ذي السنامين) عليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدّثر والمطوّق على جملين ، فلما أوصلوهم إلى بغداد ، عملوا لصاحب الشامة كرسيّاً ارتفاعه ذراعين ونصف ذراع ، يركب على ظهر الفيل ، فحمل على الفيل ، والأسرى بين يديه ، على جمال ، مقيّدين ، عليهم دراريع حرير ، وبرانس حرير ، والمطوّق في وسطهم ، غلام ما خرجت لحيته ، وقد جعل في فيه خشبة مخروطة ، شدّت إلى قفاه ، بهيأة اللجام ، وذلك أنّه لما أدخل الرقّة ، كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم ، ففعل به ذلك لئلا يشتم إنساناً (الطبري ١٠/١٠٨ ـ ١١٢) .

وفي السنة ٢٩٢ قبض عامل البصرة ، على رجل أراد الخروج بواسط ، فأحدر إلى البصرة ، ثم أصعد إلى بغداد ، فأشهر على الفالج ، وبين يديه ابن له صبيّ على جمل ومعه تسعة وثلاثون إنساناً على جمال ، وعلى جماعتهم برانس الحرير والدراريع الحرير ، فحبسوا في السجن المعروف بالجديد . (الطبري ١٠/١١٨) .

وفي السنة ٢٩٣ أدخل إلى بغداد الخليجي المتغلّب على مصر ، وكان قد أسر بعد معركة مع قوّاد المكتفي ، فأشهر من باب الشمّاسية (الصليخ) ، على جمل وقدّم بين يديه واحد وعشرون رجلاً على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، فلما وصل الخليجي إلى المكتفي ، أمر بحبسه في الدار ، وأمر بحبس الآخرين في الحبس الجديد . (الطبري ٩/١٢١ و١٢٩) .

وفي السنة ٢٩٧ أدخل إلى بغداد طاهر ويعقوب ابنا محمد عمرو بن الليث أسيرين في قبّة على بغل ، وقد كشف جلالها ، وحبسا في دار السلطان . (تجارب الأمم ١/١٦) .

وفي السنة ٢٩٧ ورد الخبر من مؤنس بأنّه ظفر بالليث بن علي ، ودخل إلى بغداد باللّيث ومن أسر معه ، وتأهّب السلطان لدخولهم ، وصفّت الفيلة وكانت ثلاثة ، وسوّيت الطرق والشوارع ، وأدخل اللّيث على فيل ، وبين يديه رأس إسماعيل بن الليث على رمح ، وثلاثة من كبار الأسرى على جمال ، وكان اللّيث على فيل ، وعليه درّاعة ديباج وبرنس طويل ومؤنس خلفه في الجيش ، وكان قد أعدّ له مع البرنس مصفعة (أي أداة يصفع بها) ، فسأل مؤنس في إعفائه منها ، لأنّها كانت أعدّت للقرمطي ، وسأل مؤنس أيضاً في ابنه أن لا يشهر لأنّه صبيّ ، فأجيب ذلك . (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٢٢٥) .

وفي السنة ٢٩٨ قدم القاسم بن سيما من غزوة الصائفة في أرض الروم ، ومعه خلق كثير من الأسارى وخمسون علجاً قد أشهروا على الجمال ، بأيدي بعضهم أعلام الروم ، وعليها صلبان ذهب وفضة . (المنتظم ٦/٩٧) .

وفي السنة ٢٩٨ حارب الأمير أحمد الساماني بكرى ، ومحمد بن علي بن الليث ، فأسرهما ، وبعث بهما إلى بغداد ، فأدخلا مشهرين على فيلين . (تجارب الأمم ١/٢٠ وابن الأثير ٨/٦١) .

وفي السنة ٢٩٩ وصل وصيف كامه ، القائد إلى بغداد ومعه القتّال أسيراً وثلاثة عشر رجلاً من الأسرى ، فأدخلوا من باب الشمّاسيّة ، وأركب القتال الفيل ، وعليه ديباجة وبرنس ، وأركب بقيّة الاسرى الجمال مشهرين بالبرانس والديباج . (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٢٤١ و٢٤٢) .

وفي السنة ٣٠١ قبض الراسبي بالسوس على الحسين بن منصور الحلاّج ، فحمل إلى مدينة السلام مشهراً على جمل ، وأمر الوزير علي بن عيسى به ، فصلب حيّاً في الجانب الشرقي في مجلس الشرطة ، ثم في الجانب الغربي ، ثم حبس (المنتظم ٦/١٢٣).

وفي السنة ٣٠٢ ادّعى رجل أنّه ابن الرضا العلوي ، وكشف عن حاله ، فظهر أنّه كذّاب ، فشهر في الجانبين ، وحبس . (المنتظم ٦/١٢٧ و١٢٨) .

وفي السنة ٣٠٤ أدخل الحسين بن حمدان ، إلى بغداد ، من باب الشمّاسية (الصليخ) إلى دار السلطان (دار الخلافة) مصلوباً على نقنق ، منصوباً على ظهر فالج ، وابنه مشهور على جمل آخر ، والبرانس على رؤوسهما ، وأوقف الحسين بين يدي المقتدر ثم أسلم إلى زيدان القهرمانة ، وحبس عندها بدار السلطان (تجارب الأمم ١/٣٧ و٣٨).

أقول ؛ خالف الحسين بن حمد ان في السنة ٣٠٣ وخرج عن الطاعة، فتشاغل الجيش بمحاربته،وأدّى ذلك إلى خلل عظيم لأنّ انشغال الجيش، دفع الروم الى قصد حصن منصور ، فافتتحوه ، وسبوا جميع أهله ، إذ تشاغل الجيش عن الصائفة ثم انّ مؤنس الخادم (المظفر) قصد الحسين وحاربه ، فانفلّ جمعه ، وسقط أسيراً في يد مؤنس مع جميع أهله وكثير من أصحابه ، ودخل مؤنس إلى بغداد ومعه الحسين وولده مشهرين ، وقد حمل الحسين مصلوباً على نقنق ، منصوباً على ظهر فالج ، وابنه مشهوراً على جمل آخر والبرانس على رؤوسهما ، وسار بين يديه الأمير أبو العباس بن المقتدر (الراضي أخيراً) والوزير أبو الحسن علي بن عيسى ، والأستاذ مؤنس الخادم (المظفر) وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان (أخو الحسين) وإبراهيم بن حمدان ، وسائر القوّاد والجيش والفيلة ، فلما وصلوا إلى دار السلطان ، أوقف الحسين بين يدي المقتدر، ثم أمر بتسليمه إلى زيدان القهرمانة، وحبس

عندها في دار السلطان (تجارب الأمم ١/٣٧ و٣٨) راجع التكملة ١٦ وابن الأثير ٨/٩٣ .

وفي السنة ٣٠٤ ادخل إلى بغداد القائد يوسف بن أبي الساج مشهراً على جمل ، وعليه برنس بأذناب الثعالب (ابن الأثير ٨/٩٩ - ١٠٢) .

أقول : في السنة ٣٠٤ عصى الأمير يوسف بن أبي الساج على السلطان ، وقطع الحمل إلى الحضرة ، وكان يلي ارمينية وأذربيجان ، وأظهر أنّ الوزير علي بن عيسى أنفذ إليه لواء وعهداً بالريّ وقزوين وأبهر وزنجان ، فاغتاظ المقتدر من هذا التصرّف ، وأمر فكتب له كتاب غليظ ، وسيّر إليه جيشاً ، فظفر به ابن أبي الساج ، وأسر جماعة من قوّاده أدخلهم إلى الريّ مشهرين ، فسيّر إليه المقتدر مؤنس الخادم (المظفر) ، فظفر ابن ابي الساج ، وأسر جماعة من القوّاد أدخلهم إلى أردبيل مشهرين ، ثم اشتبكا في معركة أخرى على باب أردبيل ، فانكسر يوسف وأسر ، وحمله مؤنس معه إلى بغداد ، وكانوا في بغداد قد أعدّوا ليوسف ما يشهر به عجلة واسعة المقعد توضع على ظهر الفيل وأن يلبس المصبّغات والبرانس ، ويوضع في العجلة ، ويعلّق في عنقه طبل ، ويجلس معه المخنّثون في العجل يطبّلون ويزمرون ، وبلغ ذلك مؤنس فأنكره ، وكتب إلى المقتدر ، يسأله أن لا يشهر بركوب الفيل والعجل ، ودخل مؤنس بغداد وبين يديه يوسف على جمل ، وعليه الدرّاعة التي كانت على عمرو بن الليث الصفّار ، وقد ألبس البرنس ، وفي رجله خفّ أسود ، راجع تجارب الأمم ١/٤٤ - ٥٠ ومروج الذهب ٢/٥٥١ .

وفي السنة ٣٠٤ أشهر ببغداد ، حيوان يسمّى الزبزب ، نصب برحبة الجسر معلّقاً ليراه الناس ، وسبب ذلك إنّ العامّة في الصيف ، تفزّعت من حيوان سمّوه الزبزب ، ذكروا إنّهم يرونه في الليل على سطوحهم ، وإنّه يأكل أطفالهم ، قالوا : وربما قطع يد الإنسان وهو نائم ، أو ثدي المرأة فيأكله ، فكانوا يتحارسون طول الليل ، ويتزاعقون ولا ينامون ، ويضربون الطسوت

والصـواني والهواوين ليفـزعوه ، وآرتجّت بغـداد لذلـك ، حتى أخـذ السلطان حيواناً غريباً أبلق كأنّه من كلاب الماء ، وقال : هو الزبزب ، وإنّـه اصطيـد ، فصلب على نقنق ، عند الجسر الأعلى ، وبقي مصلوبـاً حتى مات (تجـارب الأمم ١/ ٣٩) .

وفي السنـة ٣٠٤ تحـرك الجنـد على قـرهب ، صـاحب صقليـة ، واعتقلوه ، وولده ، وبعثوا بهما إلى القيروان ، حيث شهرا ، ثم قتلا (العيون والحدائق ج ٤ ق ١ ص ٢٦٩) .

وكـان قاضي البصـرة ، الأحوص الغـلابي ، عفيفاً عن الأمـوال ، وكان يستمع الشكاوى ضد أمير البصرة ابن كنداج ، وكان الوزيـر ابن الفرات وزيـر المقتدر ، يسند القاضي ، فلا يستطيع أمير البصرة أن يعـرض له بسـوء ، فلما عـزل ابن الفرات ، ذهب ابن كنـداج بنفسـه الى القـاضي ، وآعتقله ، وجـرّه ماشياً إلى السجن بالبصرة ، وحبسه هناك حتى مات ، راجع تفصيـل ذلك في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج ١ ص ٢٣٦ رقم القصة ١٢٤/١ .

وفي السنـة ٣١٣ كبست دار رجل يعـرف بالكعكي ، رئيس الـرافضـة ، اتّهم بأنّه داعية للقرامطة ، فعثروا على خليفته ، فضرب ثلثمائة سوط ، وأشهر على جمل (المنتظم ٦/ ١٩٥) .

وفي السنـة ٣١٦ واقـع الجنـد العبـاسي القـرامـطة ، فقتلوا منهـم ، وأسـروا ، وأدخل الأسـرى إلى بغداد مشهـرين ، معهم أعلام بيض منكّسـة ، وعليها مكتوب : (ونريد أن نمنّ على الـذين استضعفوا في الأرض) ، فقتـل الأسرى ، واستقام أمر السواد (المنتظم ٦/ ٢١٦) .

وفي السنـة ٣١٨ خرج بسنجـار خارجي اسمـه صالـح بن محمود ، من بجيلة ، وكان يعشّر القوافل ، ويـطالب المسلمين بزكـاة أموالهم ، والنصـارى بجزية رؤوسهم ، فقصده نصر بن حمـدان ، أمير المـوصل ، والتحم معـه في

معركة قتل فيها من رجال صالح نحو مائة ، وقتل من أصحاب نصر جماعة ، ثم أسر صالح ومعه ابنان له ، وأدخلوا إلى الموصل ، ثم حملوا إلى بغداد ، فأدخلوا مشهورين (ابن الأثير ٨/ ٢٢٠ و٢٢١) .

وفي السنة ٣٢٢ اشتبك عماد الدولة بن بويه ، مع القائد ياقوت على رأس جيش عباسي بقرب شيراز ، وكان من سعادة عماد الدولة انّ جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت ، فحين رآهم ياقوت أمر بضرب رقابهم ، فأيقن أصحاب ابن بويه أنّه لا أمان لهم عند ياقوت ، فاستقتلوا ، وكسب ابن بويه المعركة ، وانفلّ الجيش العباسي ، وانهزم ياقوت ، ووجدوا في مخلّفات ياقوت برانس لبود عليها أذناب الثعالب ، وقيوداً وأغلالاً ، فسألوا عنها أصحاب ياقوت، فقالوا : إنّ هذه أعدّت لكم لتجعل عليكم ، ويطاف بكم في البلاد ، فأشار أصحاب ابن بويه أن يفعل بهم مثل ذلك ، فامتنع ، وقال : إنّه بغي ولؤم ظفر ، ثم أحسن إلى الأسارى وأطلقهم ، وخيّرهم بين المقام عنده ، أو اللحاق بياقوت ، فاختاروا المقام عنده ، فخلع عليهم ، وأحسن إليهم ، واستولى على شيراز (ابن الأثير ٨/٢٧٥ و٢٧٦) .

وفي السنة ٣٢٢ صار أصحاب أبي طاهر القرمطي إلى نواحي توّج في مراكب ، فأوقع بهم عامل البلد ، وأسر منهم ثمانين رجلاً ، فيهم رجل يعرف بابن الغمر ، فأدخل الأسارى إلى بغداد مشهرين ، ووضع على رأس ابن الغمر قرون ، وكانوا ، على جمال بدراريع ديباج وبرانس ، واعتقلوا بدار السلطان (تجارب الأمم ١/ ٢٨٤) .

وكان بجكم قلّد بالبا التركي ، أعمال المعاون بالأنبار ، ثم قلّده أعمال طريق الفرات ، ولكنّ بالبا غدر ببجكم ، وكاتبَ ابن رائق ، وأقام له الدعوة ، فأنفذ إليه بجكم عسكراً ، فأسروه في السنة ٣٢٨ ، وأدخل الى بغداد مشهراً على جمل عليه نقنق ، وهو مصلوب (ابن الأثير ٨/٣٥٥ وتجارب الأمم ١/ ٤١٠) .

أقول : سماه صاحب لسان العرب « نقنيق » وقال : إنّه الخشبة التي يعلّق عليها المصلوب ، ولكنّي وجدت جميع كتب التاريخ تسمّيها نقنق ، بلا ياء .

وفي السنة ٣٣٠ خلع المتّقي العباسي على ناصر الدولة الحمداني ، ونصبه أميراً للأمراء ، وآنحدر معه من الموصل إلى بغداد ، فأصعد أبو الحسين البريدي من واسط لحرب ناصر الدولة ، والتقوا خارج المدائن (سلمان باك) فكان الظفر للبريدي أوّلاً ، ثم استعلى ناصر الدولة ، فانهزم البريدي ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، ودخل ناصر الدولة بغداد وبين يديه يأنس غلام البريدي ، وأبو الفتح بن أبي طاهر ، والمذكّر البريدي ، مشهرين على جمال ، وعلى رؤوسهم برانس (تجارب الأمم ٢ / ٣٠ والتكملة ١٢٩ وابن الأثير ٨ / ٣٨٤ و٣٨٥) .

وفي السنة ٣٣١ خرج عدل البجكمي ، على ناصر الدولة ، وكان ناصر الدولة قد قلّده الرحبة ، فحاربه ناصر الدولة ، وأسره وابنه ، وشهرهما على جملين (التكملة ١٣٢) .

أقول : كان عدل من أصحاب بجكم ، فلما قتل بجكم صار إلى ابن رائق ، وسار معه إلى بغداد ، وأصعد معه إلى الموصل ، فلما غدر ناصر الدولة بابن رائق ، وقتله وهو في ضيافته ، صار عدل في جملة ناصر الدولة ، فسيّره مع علي بن خلف بن طناب ، إلى ديار مضر والشام ، فأرسله ابن طناب مع جيش ليطرد عامل ابن رائق عن قرقيسيا ، فطرده وحازها لنفسه ، وغزا قرى الخابور ، وعسف أهلها ، وجمع مالاً جمّاً ، وجمع الجنود والعساكر من كلّ مكان ، وسار يريد نصيبين ، فلاقاه الحسين بن حمدان في جيش ، فاستأمن أكثر أصحاب عدل إلى ابن حمدان ، فأسره ابن حمدان ، وأسر معه ابنه ، فسمل عدلاً ، وسيّرهما إلى بغداد ، فشهرا بها معاً (ابن الأثير ٨ / ٣٩٤ ـ ٣٩٦) .

وفي السنة ٣٣٤ حاصر ناصر الدولة ، ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد ، بغداد ، وفيها معزّ الدولة ، فظفر ابن شيرزاد بكافور خادم معزّ الدولة ، فشهره ، فظفر معزّ الدولة بأبي الحسن بن شيرزاد ، فصلبه حيّاً ، فأطلق أبو جعفر الخادم ، فحطّ معزّ الدولة أبا الحسن بن شيرزاد أخاه (التكملة ١٥١) .

وفي السنة ٣٣٦ أسر أبو زيد الخارجي ، وأحضر جريحاً إلى المنصور الفاطمي فمات من جراحه ، فأمر بادخاله في قفص قد عمل له ، وجعل معه قردين يعلبان عليه ، وأمر بسلخ جسده وحشاه تبناً (ابن الأثير ٨/٤٤١) .

وفي السنة ٣٤٥ عصى روزبهان ، القائد الديلمي ، على معزّ الدولة ، فحاربه ، وأسره ، وأدخله إلى بغداد ، في زبزب ، مكشوفاً ، ليراه الناس ، فأخذ الناس يدعون على روزبهان . (تجارب الأمم ٢/١٦٢ ـ ١٦٥) .

وفي السنة ٣٤٧ فتح القائد جوهر مدنية سجلماسة ، واعتقل صاحبها الشاكر لله محمد بن الفتح بن ميمون ، من آل مدرار ، وساقه أسيراً إلى المهديّة ، ومعه أحمد بن بكر اليفرني ، أمير فاس ، وخمسة عشر رجلاً من اشياخها ، ودخل بهم إلى المعتزّ الفاطمي ، وهم بين يديه ، في أقفاص من خشب ، على ظهور الجمال ، وعلى رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة ، مثبتّة بالقرون ، وطيف بهم في بلاد إفريقية ، وأسواق القيروان ، ثم ردّوا إلى المهدية ، وحبسوا بها ، حتى ماتوا في سجنها (الاعلام ٨/٧٨) .

وفي السنة ٣٥٨ تحرك الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى العبّاسي بدمشق ، على الفاطميّين ، وقام معه بعض العوام ، ودعا للمطيع العباسي ، فحاربه القائد الفاطمي جعفر بن فلاح ، فهرب الشريف أبو القاسم ، ثم قبض عليه جعفر ، فشهره على جمل ، وعلى رأسه قلنسوة من لبود ، وفي لحيته ريش مغروز ، ومن ورائه رجل من المغاربة يوقع به (يصفعه) ثم حبسه (النجوم الزاهرة ٤/٣٣) .

أقول : ذكر صاحب اتّعاظ الحنفا ص ١٢٦ هذا الخبر في أخبار السنة ٣٥٩ وزاد فيه أنّ الشريف أبا القاسم العباسي لما أشهر وضعوا في يده قصبة .

وفي السنة ٣٦١ خرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلابي بالصعيد ، وسوّد (أي إنّه لبس السواد شعار العباسيين) ودعا لبني العباس ، فأخذ ، وأدخل في قفص ، مغلولاً ، وطيف به (اتعاظ الحنفا ١٣١) .

وفي السنة ٣٦١ نشبت معركة عظيمة بين الدمستق الرومي ، وبين هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني ، فانكسر الروم ، وكثر القتلى منهم ، وأنفذ إلى بغداد الرؤوس والأيدي ، وكانت كثيرة ، فشهرت ببغداد (تجارب الأمم ٣١٢/٢) .

وفي السنة ٣٦٤ قبض المطهر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة ، على طاهر بن الصمة وكان قد خالف على عضد الدولة ، فشهره ، ثم ضرب عنقه . (ابن الأثير ٦٥٦/٨) .

وفي السنة ٣٦٩ أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي ، وشهر بالبصرة ، وبمدينة السلام منصوباً على نقنق في سفينة ، وعلى رأسه برنس ، ثم طرح إلى الفيلة ، فخبطته ، وصلب إلى جانب ابن بقيّة (تجارب الأمم ٤١٤/٢) .

وفي السنة ٣٦٩ قدم أولاد حسنويه على عضد الدولة ، فقلّد بدراً زعامة الأكراد البرزيكاني ، فأحفظ ذلك عاصماً ، فنبذ طاعة بدر ، وحاربه ، ووقع في يده أسيراً ، فأدخله إلى همذان ، مشهراً على جمل ، وألبس درّاعة ديباج ، (ابن الأثير ٦/٩ وذيل تجارب الأمم ٩ و١٢) .

وفي السنة ٣٦٩ بعث عضد الدولة ، أبا العلاء عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني ، الملقّب بالمظفّر ، لمحاربة بني شيبان ، وكانوا قد أفسدوا ،

وقطعوا الطرق ، فأقام بدقوقا ، وأسرى إليهم ، فأوقع بهم وقعة عظيمة ، ودخل إلى بغداد ، ومعه ثمانمائة أسير منهم ، مشهرين على الجمال ، بالبرانس الطوال ، والثياب الملوّنة ، فأودعوا الحبوس والمطابق . (تجارب الأمم ٢/٣٩٩) .

وفي السنة ٣٧٣ احتل باد الكردي الموصل ، فسيّر إليه صمصام الدولة البويهي في السنة ٣٧٤ عسكراً واقتتلوا ، فانكسر باد ، وأسر كثير من عسكره ، وحملوا إلى بغداد ، فأشهروا بها (ابن الأثير ٩/٣٨) .

وفي السنة ٣٨٢ شغب بعض الفقهاء في مصر ، على القاضي عبد العزيز خليفة أبيه محمد بن النعمان ، بالقاهرة ، فقبض على بعضهم ، وطوّف بثلاثة منهم على الجمال . (اخبار القضاة ٥٩٤) .

وفي السنة ٣٨٣ أسر جند فارس ، أبا العلاء عبيد الله بن الفضل قائد جيش بهاء الدولة ، فحملوه إلى شيراز ، وأدخل إلى المعسكر على جمل وقد ألبس ثياباً مصبّغة وطيف به ، وأبصرته السيّدة والدة صمصام الدولة ، فأمرت قهرمانتها ، فحطّته عن الجمل ، وخلعت عنه الثياب المصبّغة ، وأمرت باعتقاله في القلعة . (ذيل تجارب الأمم ٢٥٣ و٢٥٤ وابن الأثير ٩/٩٧) .

وفي السنة ٣٨٦ توفّي المنصور بن يوسف بلكّين ، صاحب إفريقية ، وولي بعده ولده باديس ، فثار عليه رجل صنهاجي ، اسمه خليفة بن مبارك ، فأخذ ، وحمل إلى باديس ، فأركب حماراً ، وجعل خلفه رجل أسود يصفعه ، وطيف به ، ولم يقتل ، إحتقاراً له ، وسجن . (ابن الأثير ٩/١٢٧) .

وفي السنة ٣٩٥ قبض بالقاهرة ، في أيّام الحاكم الفاطمي ، على جماعة ، وجدوا في الحمام بغير مآزر ، فضربوا ، وشهروا . (خطط المقريزي ٢/٣٤١) .

وفي السنة ٣٩٧ ظفر الحاكم الفاطمي بأبي ركوة ، وآسمه الوليد ، وانما كنّي بأبي ركوة ، لركوة كان يحملها في أسفاره ، على سنّة الصوفية ، وهو أمويّ من أولاد هشام بن عبد الملك ، نزح من الأندلس ، وقد أناف على العشرين ، ودرس بمصر ، ثم قصد مكّة واليمن ، وعاد إلى مصر ، ودعا بها إلى القائم ، فأجابه كثيرون من بني قرة وزناته ، وتظاهر بالنسك والدين ، وأمّهم في الصلوات ، وعلّم صبيانهم الخطّ ، فبايعوه بالإمامة ، فسار بهم إلى برقة ، واستولى عليها ، وأظهر العدل ، فسيّر إليه الحاكم جيشاً ، ففلّه أبو ركوة ، وأخذ يبعث السرايا إلى مصر ، ثم قصد الصعيد ، فسيّر إليه الحاكم جيشاً من اثنى عشر ألفاً ، سوى العرب ، ثم أضاف إليهم أربعة آلاف فارس ، فأسرى أبو ركوة وكبس عسكر الحاكم بالجيزة ، وقتل منهم ألف فارس ، ونزل أبو ركوة عند الهرمين ، ثم اشتبك مع عسكر الحاكم ، فانهزم أبو ركوة ، وقتل من عسكره ألوف كثيرة ، فسار إلى بلد النوبة ، ولحق به رسول الحاكم ، فتسلّمه ، وحمله إلى مصر ، فأشهر بها ، وطيف به ليقتل ، ويصلب ، فمات قبل وصوله ، فقطع رأسه ، وصلب (ابن الأثير ١٩٧/٩ ـ ٢٠٣ والمنتظم ٢٧٤/٧ و٢٠٣/٩ والنجوم الزاهرة ٢١٦/٤ و٢١٧) .

وشهر بالقاهرة في أيّام الحاكم الفاطمي (ت ٤١١) جماعة ، وضربوا لأنّهم وجد عندهم فقاع وملوخية ، والسمك الذي لا قشر له ، وذلك لأنّ الحاكم منع أكلها (خطط المقريزي ٢٨٧/٢) .

وقتل الحاكم الفاطمي ، قاضيه حسين بن علي بن النعمان ، وكان قد ملأ عينه ويده ، وشرط عليه أن يتعفّف عن أموال الناس ، ثم ظهرت عليه خيانة ، فأمر به فأشهر محمولاً على حمار نهاراً ، ثم ضرب عنقه ، وأحرق (النجوم الزاهرة ٧١) .

وفي السنة ٤٠٤ أفسدت خفاجة في سواد الكوفة ، فسيّر فخر الملك

إليهم عسكراً ، فأسر كبيرهم محمود بن ثمال ، وجماعة معه ، وأدخلوا إلى بغداد مشهرين ، وحبسوا (ابن الأثير ٩/٢٤٥) .

وفي السنة ٤١٥ ضرب إنسان بالسياط ، بالقاهرة ، وحمل على جمل ، وطيف به في البلد، وفي يده جرسان، يجرّس على نفسه، ويصيح بملء صوته : هذا جزاء من يسرق في اليوم دفعتين ، وذكر أنّه كان مجرساً يجرّس على المحبسين بحبس بنان (اخبار مصر للمسبحي ٦٢) .

و في السنة ٤١٥ علّق رجل لصّ ، بالقاهرة ، وجد قد فتح دكّاناً ، فضرب ، وشهر في البلد على جمل ، ثم أعيد إلى المطبق (أخبار مصر للمسبحي ١٩) .

وفي السنة ٤١٥ قبض على الرجل الذي سرق مال القرافية بمصر ، فقطعت يمينه ، وطيف به على جمل ، فلما أعيد إلى السجن مات (اخبار مصر للمسبحي ٧١ و١٠٧) .

وفي السنة ٤٣١ اتّهم باديس صاحب غرناطة ، أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني بالتآمر ضدّه ، ففرّ منه إلى إشبيلية ، ثم استسلم إليه ، فبعث به إلى غرناطة ، فتسلّمه قدّاح صاحب عذابه ، فحلق رأسه ، وأدخله إلى غرناطة مشهراً على بعير ، وخلفه أسود فظّ ضخم ، يوالي صفعه ، وأودع حبساً ضيّقاً ، ثم عاد باديس الى غرناطة فقتله (الاحاطة ٤٦٢ ـ ٤٦٦) .

وفي السنة ٤٤٦ قصد بنو خفاجة ، الجامعين ، وأعمال نور الدولة دبيس ، ونهبوا ، وفتكوا ، فآستنجد نور الدولة بالبساسيري ، فسار إليه ، وقاتل خفاجة ، فانهزموا ، ودخلوا البرّ ، فلم يتبعهم ، فعادوا إلى الفساد ، فعاد إليهم ، وسلك البرّ وراءهم ، ولحقهم بخفّان ، وهو حصن بالبرّ ، فأوقع بهم ، وقتلهم ، ونهب أموالهم وجمالهم ، وخرّب حصن خفّان ، وأراد تخريب القائم به ، وهو بناء من آجر وكلس ، قيل إنّه كان علماً تهتدي به

السفن ، لما كان البحر يجيء إلى النجف ، ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلاً من خفاجة ، عليهم البرانس ، وقد شدّهم بالحبال إلى الجمال (ابن الأثير ٩/ ٦٠٠) .

أقول : تحدّث القاضي التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدّة عن البناء الذي أراد البساسيري تخريبه ، وسمّاه القاضي : إصبع خفّان ، وذكر إنّ شخصاً سقط من أعلاه ، وبينه وبين الأرض ألف ذراع ، فدخلت الريح في ثيابه ، وتخلّلتها ، فنزل إلى الأرض سالماً ، راجع القصة ٣٩٨ من كتاب الفرج بعد الشدة ، تحقيق المؤلّف .

وذكر ناصر خسرو ، في رحلته إنّ تجّار مصر يصدقون في كلّ ما يبيعون ، وإذا كذب أحدهم على مشترٍ ، فإنّه يوضع على جمل ، ويعطى جرساً بيده ، ويطاف به في المدينة ، وهو يدقّ الجرس ، وينادي : لقد كذبتُ ، وها أنا أعاقب ، وكلّ من يقول الكذب ، فجزاؤه العقاب . (رحلة ناصر خسرو ١٠٥) .

وفي السنة ٤٤٦ بدأت الوحشة بين القائد البساسيري ، والخليفة القائم ، وكان الذي أرّث الفتنة رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، الذي كان يساند أعداء البساسيري ، فسار البساسيري الى الأنبار ، وحصرها ، وأسر أبا الغنائم بن المحلبان أحد أصحاب ابن المسلمة ، وكان قد ألقى بنفسه في الفرات ، فأخرج ، وأدخل إلى بغداد على جمل وعليه قميص أحمر ، وعلى رأسه برنس ، وفي رجليه قيد ، وأراد صلبه ، وصلب من معه من الاسرى ، فسأله نور الدولة دبيس ، أن يؤخّر ذلك حتى يحضر ، فلم يصلب ابن المحلبان ، وصلب جماعة من الأسرى (ابن الأثير ٩/ ٦٩ و٦٠٢) .

وفي السنة ٤٤٨ دخل ابن فسا نجس واسط ، وخطب فيها للمصريين ، فحاربه الجند العبّاسي ، وأسروه ، وأدخل إلى بغداد في السنة ٤٤٩ مشهراً

على جمل ، وعليه قميص أحمر ، وعلى رأسه طرطور بودع ، وصلب (ابن الأثير ٩/٦٢٥) .

وكان رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، صاحب الدولة ، في أيّام الخليفة القائم ، وكان شديداً على أهل الكرخ ، مجتهداً في أذاهم ، وفي السنة ٤٤٨ تقدّم إلى صاحب المعونة بقتل شيخ البزّازين بباب الطاق « لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض » ، فقتل ، وصلب على باب دكانه ، وطلب أبا جعفر الطوسي ، الفقيه الإمامي ، فهرب منه ، فنهبت داره ، وفي السنة ٤٤٩ كبست دار أبي جعفر الطوسي مجدداً ، وكان متكلّم الشيعة بالكرخ ، فأخذ ما وجد في داره من دفاتر ، مع كرسي كان يجلس عليه للكلام ، فأحرقت ، وفي السنة ٤٥٠ دخل البساسيري بغداد ، وخطب للمستنصر الفاطمي ، وأسر الخليفة القائم ، وقبض على ابن المسلمة ، فلما رآه قال له : مرحباً بمهلك الأمم ، ومخرّب البلاد ، ومبيد العباد ، فقال له : العفو عند المقدرة ، فقال له : قد قدرتَ أنتَ فما عفوت ، وأنت تاجر ، صاحب طيلسان ، ولم تستبق من الحرم والأطفال ، فكيف أعفو عنك ، وأنا صاحب سيف ، وقد أخذت أموالي ، وعاقبت حرمي ، ونفيتهم في البلاد ، وشتّتني ، ودرست دوري .

واجتمع العامّة ، فسبّوا ابن المسلمة ، وهمّوا به ، فأخذه البساسيري إلى جنبه ، خوفاً عليه من العامّة ، وحلّ الركابية حزام البرذون الذي كان تحته ، ليسقط ، فيتمكّن العامّة من قتله ، فسقط ، فوقف البساسيري ، يذبّ عنه ، إلى أن أركبه ، ومضى به إلى الخيمة ، فقيّده ، ووكّل به ، وضرب ضرباً كثيراً .

ثم أخرج من محبسه بالحريم الطاهري ، وعليه جبّة صوف ، وطنطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ ، وأركب جملاً ، وطيف به في محال الجانب الغربي ، ومن ورائه من يصفعه بقطعة جلد ، وشهر في البلد ، ونثر عليه أهل الكرخ ، لما اجتاز بهم ، خلقان المداسات ، وبصقوا

في وجهه . ولعن وسبّ في جميع المحالّ ، ونصبت له خشبة بباب خراسان ، فحطّ عن الجمل ، وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال ، وجعلت قرونه على رأسه ، وعلّق بكلّابين من حديد في دفّته ، واستبقي في الخشبة حيّاً ، فلبث إلى آخر النهار يضطرب ، ثم مات (المنتظم ٨/١٧١ - ١٩٧) .

وفي السنة ٤٦٠ كانت حرب بين شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل ، وبين بني كلاب بالرحبة ، وهم في طاعة العلوي المصري ، فكسرهم شرف الدولة ، وغنم منهم أسلاباً وأعلاماً عليها سمات المصري ، فبعث بها إلى بغداد ، فكسرت ، وطيف بها في البلد . (ابن الأثير ١٠/٥٧) .

وفي السنة ٤٦٧ تقدّم ببغداد ، فخر الدولة ، إلى المحتسب بالحريم ، بنفي المفسدات ، وبيع دورهنّ ، فشهر جماعة منهنّ على الحمير ، مناديات على أنفسهنّ وأبعدهنّ إلى الجانب الغربي (المنتظم ٨/٢٩٤) .

أقول : كأنّ الجانب الغربي ليس من بغداد .

وفي السنة ٤٧٣ ولي ابن الخرقي الحسبة ببغداد ، فمنع قوّام الحمامات أن يمكّنوا أحداً يدخل بغير مئزر ، وتهدّدهم بالإشهار (المنتظم ٩/١٢٩) .

وبعث المعتمد اللخمي ، صاحب قرطبة واشبيلية ، وزيره ونديمه ابن عمّار ، على جيش لفتح مرسية ، ففتحها وحازها لنفسه ، وتنكّر للمعتمد ، وهجاه ، ثم ثار عليه أهل مرسية ، وأخرجوه ، فالتجأ إلى حصن شقورة ، فاعتقله صاحب الحصن ، وسلّمه للمعتمد ، لقاء مال ، فأمر به المعتمد ، فأدخل إلى قرطبة ، ثم إلى إشبيلية ، مشهراً ، على بغل ، بين عدلي تبن ، وقيوده ظاهرة للناس . (المعجب للمراكشي ١٨٠ - ١٨٩) .

وفي السنة ٤٨٤ أشهر ببغداد رجل إسمه تليا ، وعلى رأسه طرطور ،

وهو يصفع بالدرّة ، والناس يشتمونه وهو يسبّهم ، ثم صلب ، وسبب ذلك إنّه كان يشتغل بالتنجيم ، وادّعى انّه المهدي ، واستغوى جماعة ، واتّفق مع أحد رؤساء الأعراب وحسّن لـه نهب البصرة ، فنهبهـا وأحرق مـواضع فيهـا ، منها دارين للكتب ، وأخـذ تليا بـالبحرين ، وحمـل إلى بغداد حيث أشهـر وصلب (ابن الأثير ١٠/١٨٣ و١٨٤ والمنتظم ٩/٥٥ و٥٨) .

وفي السنـة ٤٩٤ أشهر في دامغان رجل وفي عنقـه يد صبيّ قـد ذبحـه وأكله (المنتظم ٩/١٢٣) .

وفي السنة ٥١٣ مات في السجن أبو الدلف محمد بن هبة الله الكـاتب المعروف بابن زهمونة وكان فاضـلاً له شعـر وبلاغـة، وكان كـاتباً لـلأمير أبي الحسن بن المستـظهر ، فلمـا خرج الحسن على أخيـه المسترشـد ، كان أبـو الـدلف معه ، فلمـا أعيد أبـو الحسن ، وأبو الـدلف معه ، أركب على جمـل بسـرج ، وألبس قميصـاً أحمـر ، وجعـل في عنقـه مخـانق من بـرم وعـظام ، وبعـر ، وجعل على رأسـه برنس أحمـر بودع وخـرز ، وشهر من بـاب النـوبي الشـريف إلى باب الأزج ، وخلفـه غـلام يعلوه بـالـدرّة ، وينـادي عليـه ، ثم سجن ، ومـات في السجن (عيـون التـواريـخ ٩٢ والمنتــظم ٩/١٩٨ و٢٠٥ والوافي بالوفيات ٥/١٥٣) .

أما الأمير أبو الحسن ، فقد حبس في حجرة ، وسدّ عليه الباب ، وأبقي منه موضع تصل منه الحوائج ، ثم أحضر في السنـة ٥١٣ وقيل لـه : قد وجـد في قبّـة دارك تشعيث ولعلّه منك ، ولعلّك عـزمت على الهـرب مـرّة أخـرى ، فحلف أنّــه لم يفعـل ، وتنصّــل ، ثم أعيــد إلى مــوضعــه على التضييق . (المنتظم ٩/٢٠٧) .

وفي السنـة ٥١٤ دخل السلطان محمود بن محمد السلجوقي إلى بغداد، وطالب بالافـراج عن الأمير أبي الحسن ، فبـذل له الخليفـة ثلثمائـة ألف دينار ليسكت عن هذا (المنتظم ٩/٢١٨) .

وفي السنة ٥٢٢ ظهر ببغداد ، عند ورّاق ، كرّاسة اشتراها في جملة كاغد ، مكتوب فيها القرآن ، وقد كتب ما بين كلّ سطرين من القرآن سطر من الشعر على وزن آخر الآيات ، ففتّش عن كاتبها ، فظهر إنّه معلّم ، فكبس بيته ، فوجدوا له كراريس على هذا المعنى ، وسئل فأقرّ ، فحمل على حمار ، وأشهر في البلد ، وأراد العامة إحراقه (المنتظم ١٠/٦ و٧) .

وفي السنة ٥٢٥ أحضر ثلاثة من الشهود ، شهدوا شهادة زور آعتمدوها ، وأخذوا عليها رشوة كبيرة ، في دار مرهونة بكتاب دين ، فأخرجوا إلى باب النوبي ، ودرّروا بمحضر من الناس (المنتظم ١٠/٢١) .

وفي السنة ٥٢٩ حصلت معركة في مصر بين جنود الاستاذ ابن اسعاف القادم من بلاد الصعيد ، وجنود الوزير حسن بن الحافظ الفاطمي ، فأسر الأستاذ ابن اسعاف ، وحمل إلى القاهرة على جمل ، وعلى رأسه طرطور لبد أحمر (خطط المقريزي ٢/١٨) .

وفي السنة ٥٣١ أشهر ببغداد أربع نسوة في الأسواق على بقر السّقائين مسودّات الوجوه ، لأنهنّ شربن المسكر في الشطّ مع رجال (المنتظم ١٠/٦٩) .

وفي السنة ٥٣٣ طلب رجلان من وزير السلطان مسعود ، أن يضمّنهما المكوس التي أزيلت ، وبذلا مائة ألف دينار ، فرفع أمرهما إلى السلطان ، فشهرا في البلد مسوّدي الوجوه . (المنتظم ١٠/٧٩) .

وفي السنة ٥٣٥ أشهر في بغداد أحد المحتالين ، بأن أركب حماراً وطيف به ، وسبب ذلك ، إنّه قدم بغداد ، وأظهر النسك والزهد ، وأقام في قرية السلطان بباب بغداد ، فقصده الناس من كلّ جانب ، واتّفق أنّ بعض أهل السواد دفن ولداً له قريباً من قبر السبتي ، فمضى هذا الرجل نبشه ، ودفنه في موضع ، ثم قال للناس إنّه رأى عمر بن الخطاب في المنام ومعه

علي آبن أبي طالب ، وإنّهما سلّما عليه ، وقالا له : إنّ في هذا الموضع صبيّ من أولاد أمير المؤمنين علي ، وخطّا به المكان ، فحفروه ، فرأوا الصبي ، وهو أمرد ، فمن وصل إلى قطعة من كفنه فكأنّه قد ملك الملك ، وخرج أرباب الدولة وأهل بغداد لرؤيته ، وانقلب البلد ، وطرح في الموضع دساتيج ماء الورد ، والبخور ، وأخذ التراب للتبرّك ، وآزدحم الناس على القبر ، حتى لم يصل أحد من كثرة الزحام ، وجعل الناس يقبّلون يد المتزاهد ، وهو يظهر التمنّع والبكاء والخشوع ، والناس يزدحمون عليه تارة ، وعلى الميت تارة ، وظلّ الحال أيّاماً ، وجاء السواديّ ، فأبصره ، وقال : هذا والله ولدي ، وكنت دفنته عند السبتي ، فهرب المتزاهد لما أحسّ بافتضاح حيلته ، فطلبوه، فأخذ ، وأركب حماراً وأشهر . (المنتظم ١٠/٨٨ و٨٩) .

وفي السنة **٥٤٢** اجتمع عند رجار الصقلي ، صاحب صقلية ، رسول يوسف صاحب قابس ، ورسول الحسن صاحب إفريقية ، وجرت بين الرسولين مناظرة ، فذكر رسولُ يوسف ، الحسنَ ، ونال منه ، وذمّه ، فأرسل رسول الحسن إليه رقعة على جناح طائر قصّ عليه فيها القصّة ، فسيّر الحسن جماعة من أصحابه في البحر فأخذوا رسول يوسف ، وأحضروه أمامه ، فسبّه ، وقال له : ملّكت الافرنج بلاد المسلمين ، وطوّلت لسانك بذمّي ، ثم أركبه جملاً ، وعلى رأسه طرطور بجلاجل ، وطيف به في البلد ، ونودي عليه : هذا جزاء من سعى في تمليك الإفرنج بلاد المسلمين ، فلما توسّط المهدية ثار به العامّة فقتلوه . (ابن الأثير ١١/١٢١) .

وفي السنة **٥٤٣** هاجم سيف الدين سوري بن الحسين ، ملك الغور ، غزنة ، فملكها ، ثم انكسر ، وأسره بهرام شاه الغزنوي ، فأمر به فسوّد وجهه ، وأركب بقرة ، وطيف به في البلد ، ثم صلب . (ابن الأثير ١١/١٣٥) .

وفي السنة **٥٥٠** استولى علاء الدين ، أخو سيف الدين سوري ، على

غـزنة ، وأمـر بمن أشهر أخـاه سيف الدين ، فـرماهم من شـاهق ، وبـالنسـاء اللواتي غنّين بشتمـه فحبسهنّ في حمّام حتى هلـكن ، وأخـذ خلقـاً كثيـراً من آهل غزنة ، وحمّلهم مخالي مملوءة تراباً إلى فيـروزكوه ، فبنى بـالتراب قلعـة (ابن الأثير ١١/١٦٥ و١٦٦) .

وفي السنة ٥٤٧ أخذ أبو النجيب مدرّس النـظاميّة ، إلى بـاب النوبي ، فأقيم على الدكّـة الظاهـرة بين اثنين ، وكشف رأسه ، وضـرب بالـدرّة خمس مـرات ، وأعيـد إلى حبس الجـرائم ، وسبب ذلـك لأنّـه عـاد إلى تـدريس النظامية ، دون إذن من الخليفة . (المنتظم ١٠/١٤٧) .

وفي السنة ٥٤٧ قبض على البديـع المتصوّف الـواعظ ، ووجدت عنـده ألواح من طين فيها قِبَل (جمع قِبلَة) وعليها مكتوب أسمـاء الأئمة الاثنـا عشر فـاتّهم بالـرفض (التشيّع) ، فشهـر بباب النـوبي ، وكشف رأسه ، وأدّب أي ضرب وألزم بيته (أي حبس في بيته) . (المنتظم ١٠/١٤٨) .

وفي السنة ٥٥٧ ادّعت امرأة أنّ الفقيه ابن النظام مـدرّس النظاميـة ، قد تزوّجها فجحـد ، وحلف ، ثم أقرّ ، فـافتضح ، فعـزل عن التدريس ، وأخـذ فصفع على باب النوبي . (المنتظم ١٠/٢٠٣) .

وفي السنـة ٥٥٩ شهـرت امـرأة تـزوّجت بـزوجين ، ومعهـا أحـدهمـا (المنتظم ١٠/٢٠٨) .

وفي السنة ٥٦٢ لما قتل شاور ، الوزير الفـاطمي ، القاضي الـرشيد بن الزبير ، بمصر ، أركبه على جمل ، وعلى رأسه طـرطور ، ووراءه جلواز ينـال منه ، ثم شنقه (الوافي بالوفيات ٧/٢٢٤) .

وفي السنة ٥٦٧ افتتح أبو الفتح التدريس في مدرسـة السلطان ببغداد ، بقوله : زعمت طائفة من الأصوليين ، أنّ الله ليس بموجود ، وبلغ الوزير ذلك فأحضره ، وقـال له : مـا وجدت في العلوم إلاّ هـذا ؟ وأمر بـأن يحضر بـوتقة السواد وحمار ليشهر في البلد . (المنتظم ١٠/٢٣٦ و٢٣٧) .

وفي السنة ٥٧٢ اتّهم طحّان من آهل الكرخ بأنّه قال قولاً مخالفاً للشريعة فضرب مائة سوط ، وسوّد وجهه ، وشهر في الغد ، وخلفه من يضربه بالخشب والعامّة يرجمونه ، ثم حبس . (المنتظم ١٠/٢٦٧) .

ولما زار الرحالة ابن جبير الاسكندرية ، في السنة ٥٧٨ شاهد موكباً لأسرى من الروم ، أشهروا في شوارع البلدة ، راكبين على الجمال ، ووجوههم إلى أذنابها ، وحولهم الطبول والأبواق . (رحلة ابن جبير ٣١) .

وفي السنة ٥٨٤ بعث الخليفة الناصر ، جيشاً مقدّمه الوزير جلال الدين عبيد الله بن يونس ، لمحاربة السلطان طغرل شاه السلجوقي ، فكسره طغرل ، وأسر ابن يونس ، فحلق رأسه ، وألبسه طرطوراً أحمر فيه جلاجل . (ابن الأثير ١٢/٢٤ و٢٥ والذيل على الروضتين ٦) .

وفي السنة ٦٠٧ خرج قطب الدين سنجر ، مملوك الخليفة الناصر ، وكان صاحب خوزستان ، عن طاعة الخليفة ، فبعث الخليفة إليه جنداً ، ففرّ إلى شيراز ، فطالبوا صاحبها بتسليمه ، فسلّمه إليهم بأمان على حفظ حياته ، فحمل إلى بغداد ، وهو على بغل بأكاف ، وفي رجله سلسلتان ، في يد كلّ جندي سلسلة ، وحبس مدة ، ثم عفا عنه الخليفة ، وأطلقه . (ابن الأثير ١٢/٢٨٩ و٢٩٠) .

وفي السنة ٦١٥ توفّي الشاهد أبو غالب محمد بن محمد ، المعروف بابن الصبّاغ ، وكان قد شهد في كتاب ، شهادة لم يتثبّت منها ، فلما ظهرت الحال ، عزل القاضي ، وأشهر ابن الصباغ ، ومعه شاهد آخر ، على جملين بحريم دار الخلافة ، مكشوفي الرأس (الوافي بالوفيات ١/١٦٧) .

وفي السنة ٦٥٣ قبض على نبّاش ، وجدت في داره عدّة أكفان ،

فقطعت يداه ، وعلّقتا في حلقه ، وأشهر ببغداد (الحوادث الجامعة ٣٠٦ و٣٠٧) .

وفي السنة ٦٥٤ زادت دجلة زيادة عظيمة ، وغرقت بغداد ، وعمل اليهود سكراً في رأس بين الدربين ودرب القيار ، فنازعهم فيه من يتعدّى ضرره إلى ملكه ، وجرت خصومات ، وشهروا السلاح ، ونادوا يا آل خيبر ، فقبض الشحنة على جماعة منهم ، وضربهم ، وشوّه خلقهم ، وشهرهم ، ونودي عليهم : هذا جزاء من شهر السلاح على المسلمين ، وقال : يا آل خيبر (الحوادث الجامعة ٣١٨) .

وفي السنة ٦٧٧ قبض على أحمد بن بِقا الشربدار ، لرفعه على الصاحب علاء الدين الجويني صاحب ديوان العراق ، فحبس ، ثم عمل له حجلة ، وسمّر عليها ، وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي ، يصفعه بنعل ، ويروّحه به ، ثم يبول عليه ، والناس يمدّون الحجلة بالحبال في الأسواق والدروب في جانبي بغداد ، فأخذ في سبّ الصاحب ، فوضعوا في فمه مسلّة منعته من الكلام ، ودام تعذيبه بالحجلة ، إلى آخر النهار ، ثم قطع رأسه ، ووضع مكانه رأس تيس بلحيته ، وطيف به ، وأحرق العوام جثّته ، ورفع رأسه على خشبة وطيف به . (الحوادث الجامعة ٤٠١ و تاريخ العراق للعزاوي ١/٢٩١) .

وفي السنة ٦٨٠ توفّي مجد الدين صالح بن الهذيل بواسط . وكان من أكابر المتصرّفين بواسط وغيرها ، تولّى صدرية واسط ، ولقّب بالملك ، ثم أخذ ودوشخ وطولب بأموال واسط ، ثمّ رتّب صدراً في طريق خراسان ، ثم أخذ وخزم أنفه ، وطيف به ببغداد ، ثم عزل ، ورتب ناظراً بقوسان (الحوادث الجامعة ٤١٨) .

وفي السنة ٦٨١ أحضر إلى بغداد عبد يشوع ، ويعقوب ، وكانا قد رفعا

على الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ، فطيف بهما في بغداد عريانين ، والعوام يصفعونهما ويضربونهما بالآجر ، ثم قتلا بقيّة اليوم ، وجرّ العوام جثّتيهما ، وأحرقوهما بباب قلاية النصارى . (الحوادث الجامعة ٤٢٢) .

وكان تغيّر السلطان في السنة ٦٨٣ سبباً في تغيّر جميع الحكّام في العراق ، فقبض على خواجه هارون صاحب الديوان ، وشمس الدين زرديان نائبه ، ونظام الدين عبد الله بن قاضي البندنيجين ، وأخرج هذا الأخير من الغد في دوشاخة ، وقد سوّد وجهه ، وأركب على بهيم ، وشهر في بغداد ، والعوام يطرّقون بين يديه استهزاء به ، ثم قصفت رقبته بدوشاخة فمات . (الحوادث الجامعة ٤٣٧ ، ٤٣٨) .

وفي السنة ٧٠٢ وقعت معركة عنيفة بين جيش التتار ، وجيش السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقبض الناصر على رجل من أمراء حلب ، كان قد انتمى إلى التتار ، وأخذ يدلّهم على الطرقات ، فأمر به فسمّر على جمل ، وشهر بدمشق وضواحيها . (النجوم الزاهرة ٨/١٦٤) .

وفي السنة ٧١٦ توفّي نجم الدين سليمان الصرصري ، البغدادي ، الحنبلي ، وكان قد اتّهم بالتشيّع لآل البيت ، فرفع إلى القاضي الحنبلي بالقاهرة ، فأمر بضربه ، وتعزيره ، وأشهره ، وطيف به ، ونودي عليه ، وطرد من جميع ما بيده من المدارس ، وحبس أياماً ، ثم أطلق ، فهاجر إلى مكّة ، ثم عاد إلى فلسطين ، فمات في الخليل (شذرات الذهب ٦/٣٩ و٤٠) .

وفي السنة ٧١٩ عصى القائدان ايرنجين وقورشي على السلطان أبي سعيد ملك العراق وأذربيجان ، فحاربهما السلطان وأسرهما ، وأمر بهما فسمّرا ، وقتلا شرّ قتلة (التاريخ الغياثي ٥٨)، وفي تاريخ العراق للعزاوي ١/٤٦٢ إنّ السلطان أبو سعيد أمر بالأمير قورشي فألبس طرطوراً أحمر ، وحلقت لحيته ، وسمّر ، وطيف به ، ثم قتل بعد ذلك .

وخـالف الأميـر عين الملك ، على السلطان محمـــد بن تغلق ، سلطان الهند ، فحـاربه السلطان وكسره ، وأخذه أسيراً ، وأحضر إليه راكباً على ثور ، وهو عريان ، مستور العورة بخرقـة مربـوطة بحبـل ، بواقي الحبـل في عنقه ، وأمر السلطان بأن يكسى ثوباً من ثياب الزمّالة ، وأن يقيّـد بأربعـة كبول ، وأن تغلّ يداه إلى عنقـه ، وسلّم إلى الوزيـر . (مهذب رحلة ابن بـطوطة ١٠٩/٢ و١١٠) .

وفي السنة ٧٤٢ عبر متولّي الحسبة بالقاهرة ، على رجل في سـوق باب الزهومة ، اسمه محمـد بن خلف ، عنده مخـزن فيه حمـام وزرازير ، متغيّـرة الرائحة ، لها نحو خمسين يوماً ، فكشف عنها ، فبلغت عدّتهـا أربعة وثـلاثين ألفـاً ومائـة وستّة وتسعين طـائراً ، من ذلـك حمام ألف مـائة وستّـة وتسعون ، وزرازير ثلاثة وثلاثون ألفاً ، كلّها متغيّرة اللون والريح ، فأدّبه (أي ضـربه) ، وشهره (خطط المقريزي ٩٧/٢) .

وفي السنـة ٧٤٢ أشهر بمصـر والقاهـرة ، على جمل ، أبـو الفـرج ابن حـظير ، ففـرح أهل مصـر والقاهـرة بذلـك ، وأشعلوا الشموع ، بـالحـوانيت والشوارع ، ودقّوا الطبول ، (النجوم الزاهرة ٢٣/١٠) .

وفي السنـة ٧٥٣ نشبت معركـة بين بني عبد الـواد برئـاسة أبي ثـابت ، وبين السلطان أبي عنان المريني ، فأسر أبو ثابت ووزيره يحيى بن داود ، فأمر أبو عنان بهما ، فأشهرا بتلمسان على جملين ، ثم قتلا في ظاهر البلد ، قعصاً بالرماح (ابن خلدون ١٢١/٧) .

وفي السنة ٧٥٣ ظهر بصفـد شخص ادّعى أنّه هـو الملك المنصور أبـو بكـر بن الناصـر محمد وزعم أنّ والي قـوص لما صـدر إليه الأمـر بقتله ، لم يقتله ، وإنّما قتل شخصاً آخر بدلاً منه ، فأحضره نـائب صفد ، وحقّق معـه ، فأصرّ على آدّعائه ، فحمل إلى مصر ، فأمر نائب السلطنة بمصـر ، بضربـه ،

وتسميره ، فضرب ، وسمّر ، وهو يقول : لي أسوة بإخوتي الناصر والكامل والمظفر ، فأمر بقطع لسانه ، فقطع ، ثم قتل بعد ذلك (الدرر الكامنة ١/ ٤٩٥ و٤٩٦) .

وفي السنة ٧٦٢ أشهر الأمير أسد بن أميري الكردي ، من أمراء الشام ، وسمّر على جمل ، وطيف به ، ثم سجن ، وسبب ذلك ، إنّ الأمير بيدرا نائب دمشق لما خرج على السلطان المنصور ، الذي خلف أخاه الناصر حسن ، خامر الأمير أسد معه ، فلما تغلّب السلطان المنصور ، وفتح دمشق ، اعتقل الأمير أسد ، وأشهر ، وسمّر ، ثم أودع الحبس (الدرر الكامنة ١/ ٣٨٢) .

وفي السنة ٧٧٩ أخرج والي القاهرة ، الأمير حسين بن الكوراني ، جماعة من العامّة من الحبس ، وسمّرهم ، وطاف بهم في القاهرة ، ثم وسّطهم في الرميلة ، ثم أخذ ثلاثة مماليك صغار وآتّهموا بأنّهم نهبوا من خيول نائب السلطان ، فطيف بهم ، ثم وسّطوا تحت القلعة (بدائع الزهور ١/ ٢/ ٢٠٣) .

وفي السنة ٧٧٠ ثار عامر بن محمد بالمغرب على السلطان عبد العزيز المريني ، وبايع أميراً من بني عبد الحق ، من أولاد أبي ثابت ، اسمه تاشفين ، فجرّد السلطان عبد العزيز جيشاً لمحاربته ، وأسر عامر وسلطانه تاشفين ، فأمر السلطان بهما فأشهرا على جملين ، وأفرغ عليهما الروث (سرجين الدواب) وعبثت بهما أيدي الاهانة ، ثم قتلا (ابن خلدون ٧/ ٣٢٦) .

وفي السنة ٧٨٠ اتّهم نائب الإسكندرية الأمير خليل بن عرام ، بأنّه قتل الأمير بركة ، في سجنه بالإسكندرية ، فحمل إلى القاهرة ، وعرّي ، وضرب بالمقارع ، وسمّر على جمل بلعبة ، تسمير عطب ، وطيف به في البلد ،

فهجم عليه جماعة من مماليك بركة وهبروه بالسيوف (النجوم الزاهرة ١١/ ١٨٤ و١٨٥).

وفي السنة ٧٩٢ قبض السلطان برقوق على مملوك اتّهمه باثارة الفتنة بين المماليك ، فضرب ضرباً مبرّحاً ، وسمّر على جمل ، وشهر ، ثم سجن بخزانة شمائل ، فلم يعرف له خبر بعد ذلك (النجوم الزاهرة ١٢/ ١٤) .

وفي السنة ٧٨٨ رسم السلطان بالقاهرة ، بالقبض على جماعة من المماليك ، ومعهم الأمير تمر بغا الحاجب ، وسمّروا ، وأركب كلّ مملوكين على جمل ، وظهر أحدهما لظهر الآخر ، وتمربغا على جمل وحده ، وأشهروا بالقاهرة ، وحريمهم نائحات ، حاسرات عن وجوههن ، يلطمن خدودهنّ ، ثم وسّطوا (نزهة النفوس ١٢٨) .

وفي السنة ٨٥٧ رسم السلطان الملك الأشرف ، بتوسيط ثلاثة من أهل القاهرة ، ثبت أنّهم كانوا يحضرون عندهم بنات الخطا ، فإذا بتن عندهم ، قتلوهنّ ، وأخذوا ما عليهنّ من القماش ، وفعلوا ذلك غير مرّة ، حتى غمز عليهم ، فأشهروهم في القاهرة ، وقدّامهم أقفاص حمّالين فيها عظام الأموات « التي كانوا يقتلونها من النساء » . وكان لهم يوم مشهود (بدائع الزهور ٢/ ٤١) .

وفي السنة ٨٦٤ توفّي زين الدين أبو الخير محمد بن أحمد المعروف بابن الفقيه ، وكان قد خاصم ناظر الخاصّ بالقاهرة ، فسعى به إلى السلطان ، فأمر في السنة ٨٥٤ بعزله عما كان يليه من وكالة بيت المال والبيمارستان وغيرها ، ووثب به طائفة من المماليك فضربوه ، ونهبوا بيته ، وأحرقوا بابه ، وجاء نقيب الجيش فأخذه ماشياً ، وأمر السلطان بمحاكمته أمام القاضي المالكي ، فأمر بسجنه في سجن الديلم ، فأخذوه على حمار وفي عنقه جنزير ، ثم نفاه السلطان إلى طرطوس ، فأخرج مع الضرب والتنكيل ،

وعاد إلى مصر في السنة ٨٦٣ وهو متوعّك ، فمات في السنة ٨٦٤ (الضوء اللامع ٧/٦٣ - ٦٥) .

وفي السنة ٨٧٧ أسر شاه سوار ، الذي كان قد خرج على سلطان مصر ، وحمل إلى القاهرة فأدخل إليها مشهراً على فرس ، وعليه « خلعة تماسيح على أسود » ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وفي عنقه زنجير (سلسلة) كبير طويل ، وقد ركب إلى جانبه أحد الأمراء ، وقد قرن مع سوار في السلسلة (اعلام النبلاء ٣/٧١ - ٧٤) .

وقد روى صاحب الضوء اللامع خبر إشهار الأمير سوار بصورة أكثر تفصيلاً ، قال :

وفي السنة ٨٧٧ قتل الأمير شاه سوار بن ناصر الدين بك بن دلغادر التركماني ، وكان قد خرج عن طاعة سلطان مصر ، وقصد بعض البلاد الحلبيّة ، مدعياً أنّ حلب ملك آبائه ، فجرّد عليه الظاهر خشقدم عدّة عساكر ، باءت كلّها بالفشل ، ولكنّ التجريدة الثالثة ، وقائدها الدويدار الكبير يشبك ، كانت من القوّة والكثرة ، بحيث رأى شاه سوار أنّه ليس بإمكانه مقاومتها ، فآستسلم ، وحمل إلى مصر ، فأمر السلطان والي القاهرة ، سرّاً ، بإتلافه ، فتسلّمه ، وأركبه وهو مطوّق بحديد به قصبة في رأسها جرس كبير من نحاس ، على هجين ، وذلك بقصد الإزدراء به ، إلى أن جيء به لباب زويلة ، فعلّق بكلاليب شكّت في كتفه ، فلم يلبث أن مات في يومه (الضوء اللامع ٣/٢٧٤ و٢٧٥) .

وفي السنة ٨٩١ اشتبك الجيش المصري ، والجيش العثماني ، في معركة عنيفة ، فانتصر الجيش المصري ، وقتل كثير من جند السلطان العثماني ، وأسر قائد الجيش العثماني ، وكثير من كبار قوّاده ، ووصل رسول من صاحب حلب ، ومعه عدّة وافرة من الرؤوس التي قطعت من عسكر ابن

عثمان ، وزيّنت له القاهرة ، وخرج الناس للفرجة، ودخل القاصد والرؤوس أمامه محمولة على الرماح ، ثم دخل الجيش الظافر ، ومعه رؤساء العساكر العثمانية ، وهم « مزنجرون » بزناجير ، والصناجق منكّسة ، وكان قسم من الأمراء العثمانيين على خيولهم ، وهم بزناجير ، يقدمهم قائد الجيش المأسور أحمد بن هرسك ، وهو على فرس ، وفي عنقه زنجير ، فوزّع السلطان الاسرى على أمرائه لحبسهم عندهم ، حتى إنّه أودع قسماً منهم لدى القضاة (اعلام النبلاء ٣/٩١ ـ ٩٥) .

وفي السنة ٩١١ مات الشيخ العارف بالله الصوفي محمد بن سلامة الهمذاني ، من جراء الضرب بالمقارع ، ضربه الأمير طرباي راس نوبة بالقاهرة ، وسبب ذلك إنّه تزوّج بامرأة خنثى ، وكان لها ابن عمّ مغربي أراد الزواج بها ، ولم ترده ، فذهب إلى الأمير ، وشكاها وزوجها ، فأحضرهما الأمير وضربهما بالمقارع ، وجرّسهما على ثورين ، وأشهرهما في القاهرة ، فما وصل إلى باب المقشرة حتى مات (شذرات الذهب ٨/٥٥) .

وعاقب ملك الأمراء بمصر ، فتى سرق ثوراً ، بأن أشهره على الثور المسروق ، ثم قتله . (بدائع الزهور ٥/٣٥٨) .

وفي السنة ٩٢٣ تبيّن لقاضي العثمانية بالقاهرة ، إنّ فقيهاً من نواب الشافعية ، زوّج آمرأة لم تكمل انقضاء عدّتها ، فأحضر الفقيه ، وضربه ضرباً مبرّحاً ، ثم كشف رأسه ، وألبسه عليه كرشاً من كروش البقر بروثه ، وأركبه على حمار بالمقلوب وأشهره في القاهرة (بدائع الزهور ٥/١٨٤) .

وفي السنة ٩٣٢ بعث السلطان العثماني ، جيشاً لغزو اليمن ، فمرّ الجيش بمكّة ، وكان فيه جماعة من اللاوند ، أكثروا التعدّيات بمكّة ، فغضب الشيخ محمد بن عراق وأحضر رئيسهم الأمير خير الدين ، وأغلظ له القول ، فأخذ الأمير خير الدين يقبّل أقدام الشيخ ، ويعتذر إليه ، ثم أمر فأمسك

جماعة من مفسدي اللاوند ، وربطوهم ، وخرقوا لهم (جروحاً) في سواعدهم وأعضاءهم بالسكاكين ، وأركبوهم الجمال ، وطافوا بهم في مكّة . (الفتح اليماني ٤٤) .

وفي السنة ٩٧٥ استولى ابن الشويع ، من أتباع الإمام الزيدي باليمن ، على مدينة تعز ، وأسر أميرها الأمير قاسم الهلالي العثماني ، وفائق بك ، أحد القوّاد العثمانيين ، وبعث بهما إلى الإمام الزيدي ، مشهرين على جمل واحد ، والقيود في أرجلهما ، فمات قاسم الهلالي في الطريق (البرق اليماني ١٨٧) .

وكان تاج الدين عبد الوهاب بن رجب النحوي ، المتوفّى سنة ١٠١٥ ممتحناً بأمرين غريبين ، الأوّل ، إنّه إذا أتلف الحكّام من المجرمين أحداً ، وأشهروه ، فإنّه يتبع ذلك الرجل ، ولا يزال تابعاً له إلى المكان الذي يقتل فيه ، فيقف في أقرب مكان منه ، إلى أن يشاهد صورة قتله ، ويستمرّ واقفاً الى انتهاء الأمر ، وهذه عادته دائماً ، والثاني : إنّه كان متهالكاً على لعب الشطرنج في دكاكين باب الجابية ، يجلس في بعض الدكاكين ، ويلعب مع من أراد ، ويكشف رأسه ، ويضع العمامة إلى جانبه ، ولا يزال يلعب إلى أن تغرب الشمس (خلاصة الأثر ١٠٢/٣) .

وثار السيك ، في البنجاب بالهند ، على السلطان فروخ سير (١١٢٤ ـ ١١٣١) فجرّد عليهم جيشاً أوقع فيهم مذبحة عظيمة ، قتل فيها الآلاف ، حتى إنّه بعث إلى دلهي ألفي رأس ، وألف أسير ، من بينهم بندا زعيم السيك ، وابنه الصبيّ البالغ من العمر ثماني سنوات ، فأدخل الأسرى مشهرين على الجمال ، وقتل الأسرى ، ومن أفظع ما حصل إنّ بندا زعيم السيك ، أمر بأن يقتل ولده بيده ، وعفا السلطان عن أحد الأسرى ، ولكنّ الأسير رفض العفو ، وأصرّ على أن يشارك رفاقه في مصيرهم (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ١٨٦ و١٨٧) .

وفي السنة ١١٨٤ أظهر الشيخ عبد اللطيف كبير خدّام المشهد النفيسي بالقاهرة ، عنزاً ، وآدّعى لها كرامات ، وإنّها كانت تتكلّم ، وإنّها أصبحت في المقام ، أو فوق المنارة ، وإنّ السيدة نفيسة تكلّمت وأوصت عليها ، وإنّ الشيخ سمع كلامها من داخل القبر ، وتسامع الناس بذلك فأقبلوا لزيارتها من كلّ فجّ ، وعرّفهم الشيخ إنّها لا تأكل إلّا قلب اللوز والفستق ، ولا تشرب إلّا ماء الورد والسكّر ، فأتوه بأصناف ذلك بالقناطير ، وعمل النساء للعنز القلائد الذهب والأطواق والحلي ، فبعث الأمير كتخدا إلى الشيخ عبد اللطيف وطلب منه الحضور مع العنز ليتبرّك بها هو وحريمه ، فركب بغلته والعنز في حجره ومعه طبول وزمور وبيارق ومشايخ وجمّ غفير من الناس ، وبعد أن تبرّك الأمير بها ، أمر بإرسالها إلى الحرم ، وأشار إلى الكلارجي فذبحها ، وطبخها ، وقدّمها على مائدة الغداء ، وأكل منها الشيخ عبد اللطيف ، ولما فرغوا من الطعام ، عرّفه الأمير إنّهم أكلوا العنز ، ثم وبّخ الشيخ عبد اللطيف ، وأمر أن يوضع جلد العنز على عمامته ، ويعود به كما جاء ، بجمعيّته وبين يديه الطبول ، ووكّل به من أوصله إلى محلّه على هذه الصورة (تاريخ الجبرتي ١/٤٠١ ـ ٤٠٣) .

وفي السنة ١١٨٩ تحرّك أهالي حلب على واليهم الحاج علي باشا جه طلجلي ، وكان ظالماً من أهل الرشى ، وحصروه في سراي حلب ، ثم أخرجوه مع جماعته ، من باب الفرج ، وشبكوا التفنك على رأسه مثل الجملون ، من دار العدل إلى باب الفرج ، والنساء خلفه بالزغاريد ، والأولاد بالشتم الشنيع (اعلام النبلاء ٣/٣٤٩) .

وفي السنة ١١٩٩ قتل أحد أتباع سردار الإسكندرية ، رجلاً ، فثار العامة وقبضوا على السردار ، وأهانوه ، وجرّسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به في البلد وهو مكشوف الرأس ، وهم يضربونه ، ويصفعونه بالنعال . (تاريخ الجبرتي ١/٥٩٤) .

وغضب علي أغا ، أحد مماليك مصر ، على أحد الشيوخ ، واسمه الشيخ أحمد ، فشهره ، وعلّقه على شبّاك السبيل بباب الخرق بقاووقه وهيأته (الجبرتي ٢/١٥٧) .

وفي السنة ١٢١٣ قبض الفرنساويّون بمصر ، على السيد محمد كريم ، الذي قاوم احتلالهم مصر ، فحمل إلى القاهرة ، حيث أشهر على حمار ، وطيف به وحوله جمع من العساكر ، يتقدّمهم طبل يضرب ، ثم قتل بالرميلة ، وقطعوا رأسه ، ووضعوه على نبوت ، وطافوا به (الاعلام ٧/٢٣٧) .

وفي السنة ١٢١٤ قبض الإفرنسيون بمصر ، على شخص اسمه عثمان خجا ، كان متولّياً على رشيد ، ثم ظاهر الأتراك ، وحارب الجنود الافرنسيين ، فنقلوه من الإسكندرية إلى رشيد ، ودخلوا به البلد مكشوف الرأس ، حافي القدمين ، وطافوا به البلد يزفّونه بطبولهم ، حتى وصلوا به إلى داره ، فقطعوا رأسه ، وعلّقوها في شبّاك الدار (تاريخ الجبرتي ٢/٣٠١) .

وفي السنة ١٢١٥ أشهر بالقاهرة امرأتان ، طيف بهما في الشوارع بين يدي الحاكم ، ينادي عليهما : هذا جزاء من يبيع الأحرار ، ذلك لأنّهما باعتا امرأة لبعض النصارى الأروام بتسعة ريالات (الجبرتي ٢/٤٠١) .

وفي السنة ١٢١٧ أرسى بالاسكندرية، قليون ، وطلع منه للبلدة القبطان وبعض التجّار ، ثم اطّلع الإنكليز على وجود طاعون في القليون ، فأحرقوه ، وأخذوا اليازجي ، فأشهروه ، وعرّوه من ثيابه ، وسحبوه في الأسواق ، وكلّما مرّوا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مصاطب القهاوي ، بطحوه بين أيديهم ، وضربوه ضرباً شديداً ، حتى قتلوه . (تاريخ الجبرتي ٢/٥٣٣) .

وفي السنة ١٢٢٨ قبض عساكر الشريف غالب شريف مكّة ، على الأمير عثمان المضايفي وهو زوج أخت الشريف ، ولكنّه انحاز إلى الوهّابيّين ،

وحارب في صفّهم ، وافتتح لهم الطائف ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، وهدم قبّة ابن عبّاس الغريبة الشكل ، فلما قبض عليه أحضر أمام الشريف غالب وفي رقبته الجنزير ، وأخذوه إلى جدّة ، واستمرّ في الترسيم (الجبرتي ٣/٤٠٩) ثم حمل إلى القاهرة ،فخرج صالح بك السلحدار لملاقاته ، فلما واجهه نزع الجنزير من عنقه ، وأخذه إلى مجلس كتخدا فأعجب الحاضرين بحديثه ، ثم أخذه كتخدا إلى منزله ، وأقام عنده مكرماً ثلاثة أيّام ثم حمل إلى اصطنبول (الجبرتي ٣/٤١٠) .

وفي السنة **١٢٢٩** جرسوا شخصاً بأن أركبوه على حمار بالمقلوب ، وهو قابض بيده على ذنب الحمار ، وعمّموه بمصارين ذبيحة ، وعلى كتفه كرش ، بعد أن حلقوا نصف لحيته وشواربه ، قيل إنّ سبب ذلك إنّه زوّر حجّة تقرير على أماكن تتعلّق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكن ، وكانت تلك المرأة غائبة عن مصر ، فلما حضرت وجدت مكانها مسكوناً بالذي اشتراه ، فرفعت قصّتها إلى كتخدا بك ، ففعل به ذلك ، بعد وضوح القضية (الجبرتي ٣/٤٦٩) .

وفي السنة **١٢٣٠** أحضر إلى القاهرة ، الشخص المدعو طامي ، وكان شديد الوطأة على العسكر المصري في حربه مع الوهّابيّين ، وقتل كثيراً من العساكر المصرية في معركتهم في قنفذة ، وقد أسر بطريقة الغدر فإنّه جاء مدعوّاً عند ابن أخيه ، فلما أتاه آمنا قبض عليه بناء على مؤامرة سابقة بينه وبين الشريف راجح شريف مكّة ، بناء على اتفاق سابق مع الباشا قائد الجيش المصري ، ولما وصل طامي إلى القاهرة أدخلوه على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين ، وصورة طامي رجل شهم عظيم اللحية وهو لابس عباءة عبدانية ، ويقرأ وهو راكب (الجبرتي ٣/٤٧٧) .

وفي السنة ١٢٣٤ أحضر إلى الاستانة الأمير عبد الله بن سعود ، ورفيقان له ، هما سريّ وعبد العزيز بن سلمان ، وكان سعود قد حاربه إبراهيم باشا بن محمد علي باشا صاحب مصر ، وطلب سعود الصلح ، وأخذه إبراهيم إلى مصر ، وطلبه السلطان العثماني ، وأحضر إلى الأستانة (اصطنبول) ، وطيف به وبرفيقيه في شوارعها ، ثم أعدم الثلاثة في ميدان مسجد أيا صوفيا (الاعلام ٤/٢٢٢) .

ولما أنشأ محمد علي الشيرازي ، الديانة البابيّة في السنة ١٢٦٠ (١٨٤٤ م) ، واعتنق ديانته في إيران جماعة من الناس ، أعدمت الحكومة الإيرانية زعيمهم ، واعتقلت أتباعه من رجالٍ ونساء وأطفال ، فعرّتهم من ثيابهم ، وكبّلتهم بالحبال ، وأحدثت في بدن كلّ واحد منهم جرحاً وضع فيه الجلّاد فتيلاً ملتهباً ، وأشهرتهم في شوارع طهران ، وهم يصرخون في حماس : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . (قصة الاضطهاد الديني) .

القسم الثاني

التعليق

العلق في اللغة : النشوب أي الإلتصاق والملازمة ، ومنه العلق الذي هو المحبّة والهوى ، قال الشاعر :

علّقتها عرضاً ، وعلّقت رجلاً　　　غيري وعلّق أخرى ذلك الرجل

والعِلاقة ، بكسر العين : عِلاقة السيف والسوط ، وها هنا فائدة ، وهي : إنّ العربيّ يعلّق سيفه بنجاد إلى عنقه وهو العِلاقة ، أما الإفرنجي ، فيربط سيفه إلى حزامه ، وقد وجدت مصارعي الثيران في اسبانيا ، يضعون على صدورهم ضمّة من شرائط الحرير الموّنة ، سألت عنها ، فقالوا إنّها للزينة ، وإنّ آسمها عندهم :ألإلكه ، فعرفت إنّها بقيّة علاقة السيف العربي .

والتعليق ، من ألوان العذاب التي تمّت ممارستها في جميع العهود ، ويكون إمّا بتعليق الأسير من يديه ، أو من يد واحدة ، أو من أحد ساقيه ، وقد يكون التعليق من تحت الإبط ، ويكون ذلك لإشهار المعلّق ، وقد أغرق بعض المتسلّطين في القسوة ، فعلّق النساء من أثدائهنّ ، وزاد نائب دمشق فعلّق اللصوص بكلاليب في أفواههم .

وقد أجملت جميع هذه الألوان من العذاب في هذا البحث .

وما أحسن ، ما قال ابن المعتزّ ، في أرجوزته ، يصف التعليق والصفع في الحبس ، وصب الزيت : (ديوان ابن المعتز ص ١٣٧) .

فكم ، وكم ، من رجلٍ نبيل ذي هيبةٍ ، ومركب جليل

رأيته يُعْتَلُ بالأعوان إلى الحبوس ، وإلى الديوان

حتى أقيم في جحيم الهاجرة ورأسه كمثل قِدْرٍ فائرة

وجعلوا في يده حبالا من قنّب ، يقطّع الأوصالا

وعلّقوه في عرى الجدار كأنّه برّادة في الدار

وصفقوا قفاه صفق الطبل نصباً لعين شامت وخلّ

وحمّروا نقرته بين النقر كأنّها قد خجلت مما نظر

إذا استغاث من سعير الشمس أجابه مستخرجٌ برفس

وصبّ سجّانٌ عليه الزيتا فصار بعد بزّة كميتا

حتى إذا طال عليه الجهد ولم يكن مما أرادوا بدّ

قال أئذنوا لي أسأل التجّارا قرضاً وإلّا بعتهم عقارا

وأجّلوني خمسة أيّاما وطوّقوني منكم إنعاما

فضايقوا وجعلوها أربعة ولم يؤمّل في الكلام منفعة

وجاءه المعينّون الفجرة وأقرضوه واحداً بعشرة

وكتبوا صكّاً ببيع الضيعة وحلّفوه بيمين البيعة

ثم تأدّى ما عليه وخرج ولم يكن يطمع في قرب الفرج

وجاءه الأعوان يسألونه كأنّهم كانوا يدلّلونه

وإن تلكّا أخذوا عمامته وجمّشوا أخدعه وهامته

الصنف الأول

التعليق من اليدين

في إحدى المعارك بين الجيش العباسي وصاحب الزنج ، قتل صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني فأمر أبو أحمد الموفّق برفع راس صاحب الزنج على قناة ، وانصرف الى الموفّقية ، ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة ، وسليمان بن جامع والهمذاني ، من كبار قوّاد صاحب الزنج مصلوبين أحياء في شذاتين عن جانبيه حتى وافى قصره بالموفّقية (شرح نهج البلاغة ٨/ ٢١٠ و٢١١) .

وممن عذّب بالتعليق ، أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، لما اعتقل في أيّام المعتمد ، إذ علّق بحبال في يديه ، بقيت آثارها فيها مدّة حياته (كتاب الوزراء للصابي ١٢) .

وفي السنة ٣٠٠ علّق الحسين بن منصور الحلاج ، صلب وهو حيّ ، في الجانب الشرقي يومين اثنين وفي الجانب الغربي يومين اثنين (المنتظم ١١٥/٦) .

وعذّب بهذا اللون كذلك ، الوزير أبو علي بن مقلة ، استوزره الراضي في السنة ٣٢٢ ثم عزله في السنة ٣٢٤ بعبد الرحمن بن عيسى ، وسلّم ابن مقلة إليه ، فضربه بالمقارع ، وعلّقه ، وجرى عليه من المكاره بالتعليق وغيره من العقوبة شيء كثير . (وفيات الأعيان ١١٤/٥) .

وعذب بهذا اللون كذلك ، أبو جعفر الكرخيّ ، المعروف بالجرو ، عذّبه أبو القاسم البريدي ، بألوان من العذاب ، منها أنّه سمّر يديه في حائط وهو قائم على كرسي ، ثم نحّي الكرسي من تحته ، فبقي معلّقاً من يديه ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي رقم القصة ٤/١٢٤ .

وفي السنة ٣٢٩ ظهر ابن سنجلا وسلفه علي بن يعقوب من استتارهما ، وصارا إلى دار الوزير القراريطي ، ليسلّما عليه ، فقبض عليهما ، وحملهما إلى دار السلطان (دار الخلافة) ، وأمر بحبسهما ، ونالهما مكروه غليظ ، بالضرب والتعليق ، وصودرا على مائة وخمسين ألف دينار . (تجارب الأمم ٢/١٩).

وكان الوزير صفيّ الدين بن شكر (ت ٦٢٢) يحقد على الكاتب الأسعد بن ممّاتي (ت ٦٠٦) فاستكتبه سنة ، ثم عمل عليه المؤامرات ، ووضع عليه المحالات ، وأحال عليه الأجناد في المطالبة ، حتى ذكر أنّه علّق على باب داره بمصر على ظهر الطريق ، في يوم واحد ، أحد عشرة مرة (اعلام الناس ٤/٣٢٥) .

وغضب السلطان محمد بن تغلق ، سلطان الهند ، على ابن ملك التجّار ، وعلى صهره ابن قطب الملك ، فأمر بهما فعلّقا من أيديهما في خشب ، ثم رميا بالنشّاب حتى ماتا (مهذب رحلة ابن بطوطة ٢/٩٤) .

ولما فتح تيمورلنك دمشق ، في السنة ٨٠٣ كان من جملة ما عذّب به الدمشقيّون التعليق من إبهام اليدين بحبل مشدود إلى السقف ، فإذا رفع المعذب عن الأرض ، أشعلت النار تحته ، فإذا سقط في النار ، نحّي عنها ، وترك على الأرض حتى يفيق ، ليعاود تعذيبه (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وفي السنة ٨٣٧ ولي الأمير قرقماس ، نيابة السلطنة بحلب ، فقطع دابر قطّاع الطرق الحرامية ، وكان اذا وقع في قبضته أحد منهم ، علّقه بكلاليب تحت ألواحه (أي دفّة ظهره) (اعلام النبلاء ٣/٣١) .

وفي السنة ٨٧٧ جيء بالأمير شاه سوار من آل دلغادر ، إلى القاهرة ، وأشهر ، ثم أخذ إلى باب زويلة ، وعلّق بكلاليب شكّت في كتفه ، فلم يلبث أن مات (الضوء اللامع ٣/٢٧٤ و٢٧٥) .

وفي السنة ٨٨٣ أحضر الدوادار الكبير جماعة من عرب هوارة ، فيهم الأمير أحمد بن إسماعيل الهواري ، فعلّقوا بباب زويلة وهم أحياء ، إلى أن ماتوا (الضوء اللامع ١/٢٤٤) .

الصنف الثاني : التعليق من يد واحدة

مارس هذا اللون من العذاب ، الوزير أبو الحسن بن الفرات ، بأن أمر أبا منصور بأن يتولّى مطالبة محمد بن جعفر بن الحجّاج ، فأخذه ، وشدّ يده إلى حبل مدّ إلى بكرة على رأس دقل ، وجذب الحبل ، فارتفع الأسير إلى أعلى الدقل ، معلّقاً بيد واحدة ، وهو يستغيث ، راجع تفصيل القصة في كتاب الوزراء للصابي ص ١٣٨ .

ولما عزل ابن الفرات عن وزارة المقتدر ، وخلفه حامد بن العباس ، في السنة ٣٠٦ نصب أبا أحمد بن حمّاد ، لمناظرة الوزير المعزول وحاشيته ، فناظر ولده المحسّن ، وعلّقه في حبل الستارة، بفرد يد (تجارب الأمم ١/ ٦٥) .

وفي السنة ٣٩٠ خرج الموفّق وزير بهاء الدولة ، في طلب ابن بختيار ، وبادر أبو عبد الله الحسين بن محمد بن يوسف ، عامل درابجرد لاستقباله ، فشاهد الموفّق من كثرة حواشيه ، وسعة كراعه ، ما عظم في نفسه ، وحمله حسده عليه أن قبض عليه ، وعلى أصحابه ، وأخذه معه محمولاً على جمل ، بعد أن احتوى على جميع ماله ، وكان إذا نزل في منزل ، أحضره ، وطالبه ، وضربه ، وعذّبه ، حتى أنّه في أحد الأيّام علّقه باحدى يديه في بعض أعمدة الخيم ، وأمر كذلك أن يحمل على الجمل معلّقاً ، واشتدّ غيظ الموفّق من صبره وتحمّله ، فقال : ما رأيت أشدّ نفساً من هذا الرجل ، فقد عذّب اليوم

بكلّ نوع من العذاب، وحلّ الساعة عن الشدّ والتعليق ، وها هو جالس يسرّح لحيته بيده ، وما عنده فكر في كلّ ما لحقه . (تاريخ الصابي ٨/ ٣٥٠) .

ومن الطريف أن نورد في هـذا البحث ، أنّ صالـح بن عبد القـدوس ، قال : ليس شيء ، إلاّ وفيه منفعـة ، فقال لـه رجل : وأيّ منفعـة في أن يعلّق رجـل من آحدى يـديه ؟ فقـال : سبحـان الله ! لا يعـرق إبـطه . (البصـائـر والذخائر ٢ /٥٥٨) .

الثالث : التعليق من الساق

قال جعفر بن حنظلة البحراني : وعظتُ المنصور ، حتى حسبت أنّ عظتي قد نجعت ، فأطرق ساعة ، ثم قال : يا غلام ، آدع سليمان بن مجالد ، فدعاه ، فقال له : يا سليمان ، علّق أصحاب قيليا بأرجلهم ، حتى يؤدّوا ما عليهم ، وكان المنصور قد جعل قيليا لصالح ابنه ، قال جعفر : فعلمت أنّ عظتي لم تنفع قليلاً ولا كثيراً (المحاسن والمساوىء ٢ / ٢٩) .

وقبض الحاكم الفاطمي بمصر ، على صاحب دكّان في القاهرة ، خان من ائتمنه ، فقتله ، وعلّقه برجله على باب دكّانه (النجوم الزاهرة ٧٥) .

وفي السنة ٧٩٤ غضب السلطان بمصر ، على الصاحب فخر الدين بن مكانس ، فضربه علقة قوية ، وعلّقه من رجليه بسرياق ، وهو منكّس على رأسه ، ثم شفع فيه بعض الأمراء ، فأنزلوه .

الصنف الرابع : التعليق من الابط

في السنة ٢٣٢ غضب المتوكل على علي بن الجهم الشاعر : فنفاه إلى خراسان ، وأمر أميرها هناك بأن يصلبه ، فلما وصل ، حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر ، ثم أخرجه فصلبه مجرّداً نهاراً كاملاً (الاغاني ٢٠٨/١٠ ووفيات الأعيان ٣٥٥/٣) .

وفي السنة ٣٠١ حمل الحسين بن منصور الحلّاج إلى بغداد ، وأدخل مدينة السلام على جمل ، ومعه غلام له على جمل آخر ، مشهرين ، ونودي عليه : هذا أحد دعاة القرامطة ، وحبس ، ثم أمر به الوزير فصلب حيّاً في الجانب الشرقي ، في مجلس الشرطة على رأس الجسر بباب الطاق (أي الصرّافية) ثم في الجانب الغربي ، ثم حمل إلى دار السلطان فحبس بها . (تجارب الأمم ٣٢/١ والتكملة ١٣ والمنتظم ١٢٣/٦).

وفي السنة ٤٠١ منع الحاكم الفاطمي ، القاهريّين ، من الركوب إلى القاهرة في القوارب ، في الخليج ، وفي السنة ٥٩٤ تجدّد هذا المنع ، ونهي عن ركوب المتفرّجين في المراكب في الخليج وعن ركوب النساء مع الرجال ، وعلّق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم . (خطط المقريزي ١٤٣/٢) .

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب ، أنّه كان في زمن المعتمد بن

عبّـاد ، صاحب إشبيليـة (حكمها من ٤٦١ ـ ٤٨٤) سارق داهيـة يلقّب بالباز الأشهب ، وكان له في السرقة كـلّ عجيبة ، وكـان مسلّطاً على أهل البـادية ، وبلغ من حيلته أنّه سَـرَقَ وهو مصلوب ، فـإنّ المعتمد أمـر به أن يصلب على ممرّ أهل البادية ، لينظروا إليه ، وليحترزوا منه ، فبينما هو على خشبته ، على تلك الحـال ، إذ جاءت إليـه زوجته وبنـاته ، وجعلن يبكين حـوله ، ويقلن : لمن تتركنا نضيع بعدك ، وإذا ببدويّ على بغل ، وتحته حمل ثياب وأسباب ، فصاح عليه : يا سيّدي ، أنظر في أيّ حالة أنا ، ولي عندك حاجة ، فيها فائدة لي ولـك ، قال : ومـا هي ؟ قال : آنـظر إلى تلك البئـر ، فـإنّي لمـا أرهقني الشـرط ، رميت فيها صـرّة فيها مـائة دينـار ، فعسى أن تحتال في إخـراجها ، ولك نصفها ، وهذه زوجتي وبناتي يمسكن بغلك خـلال ما تخـرجها ، فـطمع البدوي في الدنـانير ، وخلع ثيـابه وعمـد إلى حبل ، وتـدلّى في البئر ، فلمـا حصل في البئر ، أمر الباز الأشهب زوجته فقطعت الحبل ، وأخذت البغل وما عليـه ، وثياب البـدوي التي كانت على جسـده ، وذهبت به ، وظـلّ البـدويّ يصيـح في البئر ، حتى تسنّى لـه الخـلاص ، ورفعت القصّـة إلى المعتمـد ، فأحضره ، وسأله : كيف صنع ذلك ؟ ، فقال : يا سيّدي لو علمتَ قـدر لذّتي في السرقة ، لخلّيت ملكك واشتغلت بها ، فلعنه ، وضحك منه ، وآستتابه ، ونصبه حارساً في حوز من أحواز المدينة (نفح الطيب ٤/١٢٨) .

الصنف الخامس : التعليق من الثدي

لما استخلف القاهر ، عذّب امرأة أبيه ، السيّدة أمّ المقتدر ، وضربها بيده مائة مقرعة ، وعلّقها بثديها ، ثم علّقها وهي منكّسة ، فكان بولها يجري على وجهها ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة ، في القصة رقم ٢/٣٣) .

ولما قتل جهان شاه ، خلفه ولده حسن علي ميرزا ، في السنة ٨٧٢ فحاصر زوجة أبيه ، وقبض عليها ، وصلبها معلّقة بثدييها ، فظلّت ثلاثة أيّام حتى ماتت . (تاريخ العراق للعزاوي ٣/١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩) .

الصنف السادس : التعذيب بالقنّارة

أمّا اللون السادس : وهو تعليق الانسان بكلاليب في بدنه ، فيسمّى التعذيب بالقنّارة ، والبغداديّون يلفظونها : كنّارة ، جرياً على طريقتهم في لفظ القاف كافاً فارسية ، كالجيم المصريّة .

والقنّارة : خشبة قد ثبتت فيها كلاليب من الحديد ، يعلّق فيها القصاب اللحم .

وأوّل من مات بالقنّارة ، الجندي الذي قتل المقتدر ، وتفصيل القصّة إنّه في السنة ٣٢٠ خرج المقتدر إلى شمالي بغداد لمحاربة مؤنس ، فانكسر جيش المقتدر ، وأحاط به رجال مؤنس ، وضربه رجل من خلفه ضربة سقط منها على الأرض ، ثم ذبح ، وسلبت ثيابه حتى السراويل ، ورفع رأسه على سيف ثم على خشبة، وساق قاتله نحو دار الخلافة ليخرج القاهر ليبايع ، فصادفه حمل شوك فزحمه حتى ألجأه إلى قنّارة لحّام فعلقه كلّاب ، وخرج الفرس من تحته ، فمات ، وحطّه الناس وأحرقوه بحمل الشوك الذي زحمه . (تجارب الأمم ١/٢٣٧) .

وقد استعمل القائد البساسيري ، القنارة ، في تعذيب رئيس الرؤساء ، ابن المسلمة ، وكان ابن المسلمة ، نافذ الكلمة في دولة الخليفة القائم ، وكان شديداً على الشيعة ، حتى إنّه في السنة ٤٤٨ أمر بقتل أبي عبد الله بن

الجلاّب ، شيخ البزّازين بباب الطاق ، « لما كان يتظاهر به من الغلوّ في الرفض » ، فقتل ، وصلب على باب دكانه (المنتظم ٨/١٧٢ و١٧٣) فلما احتلّ البساسيري بغداد في السنة ٤٥٠ اعتقل ابن المسلمة ، ثم أخرجه من محبسه بالحريم الطاهري ، وعليه جبّة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ ، وأركب جملاً ، وطيف به في محال الجانب الغربي ، ووراءه من يصفعه بقطعة جلد ، وشهر في البلد ، وسبّ ولعن في جميع المحالّ ، ثم نصبت له خشبة بباب خراسان ، فحطّ من الجمل ، وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال وجعلت قرونه على رأسه ، وعلّق بكلاّبين من حديد في كتفيه ، واستبقي في الخشبة حيّاً ، ولبث يضطرب إلى آخر النهار ، ثم مات (المنتظم ٨/١٩٦ و١٩٧) .

ونسي الناس ، العذاب بالقنّارة ، حتى أعادها بهاء الدين محمد بن الصاحب شمس الدين الجويني ملك اصبهان (الحوادث الجامعة ٤١٠) .

ثم استعمل القنّارة ، الأمير قرقماس ، أمير حلب ، فكان يعذّب بكلاليب ، تشكّ في لوح الكتف (اعلام النبلاء ٣/٣١) .

وكان نور الدين عبد الرحمن ، نائب الدستجراني ، صاحب الديوان ببغداد ، ظالماً ، سلك مسلك بهاء الدين بن شمس الدين الجوني في التمثيل والشناعة في القتل ، وأحدث القنّارة بواسط ، كما أحدثها بهاء الدين في إصبهان ، وكانت قد نسيت من عهد البساسيري (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٣٧٠) .

وفي السنة ٨٠٤ مارس هذا اللون من العذاب ، نائب الشام ، لما كثر المناسر (عصابات اللصوص) بدمشق ، فقبض على قوم منهم ، وكبس بيوتهم ، فوجد فيها أشياء كثيرة من المسروقات ، فعلّق هؤلاء بكلاليب من أفواههم . (بدائع الزهور ١/٢/٦٤٦) .

الصنف السابع

التعليق منكّساً

أوّل من مارس هذا اللون من العذاب عبد الله بن علي العباسي ، مارسه مع من قبض عليه من بني أميّة ، إذ كان يصلبهم منكّسين ، ويقطع الأيدي والأرجل ، ويسقيهم النورة والصبر ، والرماد والخلّ (شرح نهج البلاغة ٧/١٥٦) .

ومارس هذا العذاب من بعده الخليفة القاهر العباسي ، لما خلف أخاه المقتدر بالله ، فإنّه عذّب امرأة أبيه ، السيدة أمّ المقتدر ، بأن علّقها وهيّ منكسة ، فكان بولها يجري على وجهها ، راجع نشوار المحاضرة للتنوخي في القصة المرقمة ٢/٣٣ .

وفي السنة **٥٧٣** عذّب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي ، الخادم كمشتكين ، بأن علّقه منكّساً ، ودخّن تحت أنفه حتى مات . (النجوم الزاهرة ٦/٨١) .

وفي السنة **٦٢٢** اتّهم الملك المعظّم ، اثنين من الدماشقة ، بالتآمر عليه ، فصلبهما منكّسين على رؤوسهما ، حتى ماتا (الذيل على الروضتين ١٤٤) .

وفي السنة ٨٠١ توفّي الوزير ابن مكانس ، وكان الظاهر برقوق قد

صادره ، واعتقله وعذّبه ، وعلّقه في السجن منكّساً على رأسه ، فقال : (النجوم الزاهرة ١٢/١٣١) .

وما تعلّقت بالسرياق منتكساً	لحرمة أوجبت تعذيب ناسوتي
لكنّني مذ نفثت السحر من أدبي	علّقت تعليق هاروت وماروت

ولما فتح تيمورلنك دمشق في السنة ٨٠٣ كان من جملة ما عذّب به الدمشقيّون أن يعلّقوا منكوسين (النجوم الزاهرة ١٢/٢٤٤ و٢٤٥) .

وكان إبراهيم لوري ، سلطان الهند (٩١٥ - ٩٣٢) ، يعذّب الناس في سجونه ، بأن يعلّقهم منكوسين ، أرجلهم إلى الأعلى ورؤوسهم نحو الأرض . (الإسلام والدول الإسلامية في الهند ٣٥) .

القسم الثالث

التسمير

السمر في اللغة : الشدّ ، ومنه المسمار لأنّه يشدّ بين اللوحين .

والتسمير في الاصطلاح : تعذيب الإنسان بدقّ المسامير في كفّيه ، أو قدميه ، أو أيّ عضو من اعضائه .

ويحصل التسمير بدقّ مسامير في المعذّبين ، تسمّرهم إلى ألواح قائمة ، أو حيطان .

وكان المسمّرون ، في بغداد ، يسمّرون إلى حائط أو لوح ثابت ، ويمكثون في موضعهم الذي سمّروا فيه ، مشهرين في إحدى الرحبات ، يراهم الناس (الحوادث الجامعة ٤٨٨ و٤٨٩) ، أما في مصر ، فكانوا يسمّرون إلى خشب كالصليب ، ثم يدار بهم مشهرين ، ثم تنصب خشبتهم ، وهم عليها ، على باب زويلة ، أو إحدى الرحبات ، ويظلّ أحدهم مسمّراً حتى يموت ، ويكون موته ـ في الأكثر ـ بالقتل توسيطاً ، إلاّ إذا ناله عفوٌ من السلطان (نزهة النفوس ٩٠ ، ١٣٠ ، ١٦٧ ، ٤٧٤ ، ٤٩٠) .

أوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، بشر بن مروان ، عامل العراق لعبد الملك بن مروان ، فيمن تخلّف عن البعث ، فقد كان سلفه المصعب بن الزبير ، يعاقب من تخلّف عن البعث ، بأن يحلق رأسه ولحيته ، ويخلع عمامته ، ويقيمه للناس مشهراً . فلما ولي بشر ، أضاف إليه تعليق الرجل

بمسمارين يدقّهما في يديه إلى حائط . (تاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٩ ، ٨٨) .

وذكر الوطواط في الغرر : إنّ بشر بن مروان ، كان شديداً على الجناة ، وكان إذا ظفر بجان ، أقامه على كرسي ، وسمّر كفيه في الحائط ، ثم نزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يضطرب حتى يموت .

ومارس هذا اللون من العذاب ، المنصور العباسي ، مع قسم ممّن سجنهم من آل الحسن ، فقد وجدوا موتى مسمّرين في الحيطان (تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٧٠) .

وعذّب أبو القاسم البريدي ، أبا جعفر الكرخي ، المعروف بالجرو ، بأن سمّر يديه في حائط ، راجع تفصيل ذلك في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي تحقيق المؤلف في القصة المرقمة ٤/ ١٢٤ .

وكان من جملة القصر الكبير ، في العهد الفاطمي بالقاهرة ، موضع يعرف بالسقيفة ، يقف عنده المتظلّمون ، ويصيحون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، عليّ ولي الله ، فيسمعه الخليفة ، ويأمر بإحضاره ، أو يفوّض أمره إلى الوزير أو القاضي ، وحدث أن وقف تحت السقيفة ، صاحب معدّية ، في إحدى النواحي وشكا إلى الخليفة من أحد الكتّاب ، زوّر عليه خراجاً ، لعداوة بينهما ، وتأيّدت شكوى المتظلّم ، فأمر الخليفة الحافظ الفاطمي (ت ٥٤٤) ، بالكاتب ، فسمّر في مركب ، وأقام له من يطعمه ويسقيه ، وأن يطاف به سائر الأعمال ، وينادى عليه ، ففعل به ذلك (خطط المقريزي ١/ ٤٠٥ و٤٠٦) .

وفي السنة ٦٤٦ قتل مملوك تركي ، سيّده ، بدمشق ، فسمّرت يده ، وعضداه ، ورجلاه ، في يوم الجمعة ، ومات يوم الاحد (الذيل على الروضتين ١٨٠) .

وفي السنة ٦٦٢ ظهر بالقاهرة أنّ امرأة عجوزاً من الحسينيّة ، عندها

امرأتان « تجيب لهم شباباً » ، فيثور عليهم رجال عندها ، فيقتلونهم ، ويعطونهم لوقّاد الحمّام يحرقهم ، وإذا كثر القتلى ، يعطوهم لملّاح يغرّقهم ، وكان والي الحسينيّة شريكهم ، فحسب الذين قتلوا ، فكانوا خمسمائة نسمة ، فأمر السلطان بأن يسمّروا جميعاً في الحسينيّة (شذرات الذهب ٥/٣٠٧) .

وفي السنة ٦٦٥ ادّعى آقوش القبجاقي ، الصالحي ، النجمي ، أحد كبار المماليك بالقاهرة ، النبوّة ، وذلك في شهر رمضان ، فلما سمع السلطان ذلك ، أمر بستميره ، وسمّر معه جماعة (الوافي بالوفيات ٩/٣٢٢) .

وفي السنة ٦٧٩ اعتقل في القاهرة ، شخصان ، أحدهما يلقب بالجاموس ، والآخر بالمحوجب ، تشطرا ، وقطعا الطريق على السابلة ، فأمر السلطان بإحضارهما ، ولما أحضرا ، أمر بستميرهما على باب زويلة ، فسمّرا ، وماتا ، بعد أيّام (تاريخ ابن الفرات ٧/١٩٢) .

وورد الخبر في كتاب سيرة الملك المنصور ، بالشكل الآتي : وفي السنة ٦٧٩ ظهر بالقاهرة شخص يعرف بالجاموس ، ادّعى الشطارة والدعارة ، وصار منفرداً يحمل سيفاً سمنطارة (أي قصير معقوف) وينفرد بمن يصادفه بظاهر القاهرة ، فيسلبه ما يحمله ، ونزل على جماعة من الناس في بيوتهم ، فهابوه ، وأعطوه ما أراد ، وقتل جماعة وظهر معه شخص آخر يعرف بالمحوجب ، وأقاما مدّة ، فأحضر الملك المنصور والي مصر ووالي القاهرة ، وتهدّدهما أن يحضرا الجاموس والمحوجب ، فقبضا عليهما ، فأمر السلطان بتسميرهما ، فسمّرا على باب زويلة أحد أبواب القاهرة ، فأقاما أياماً وماتا (سيرة الملك المنصور ٧٩) .

وفي السنة ٦٧٩ ضرب المملوك سنقر الغشمي ، بالقاهرة ، الأمير علاء الدين الحبيشي بسكّين ، فشقّ بطنه ، وقتله ، فرسم المنصور ، ملك مصر ،

أن يسمّر الغشمي ، فسمّر يوم الخميس ، ومات يوم السبت (تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٦٩) .

وفي السنة ٦٧٩ وجد العدل ابن مزروع النيلي الدبّاس ، مقتولاً في بيته ، ففحص النائب عن حاله ، فإذا مملوكه قد آستعان بصديق له ، واجتمعا على قتله ، فسمّر المملوك ، وصلب رفيقه (الحوادث الجامعة ٤١٣) .

وفي السنة ٦٧٩ غرّقت ببغداد امرأة نسب إليها أنّها قتلت زوجها ، وكان محبّاً لها ، محسناً إليها ، وقد أوصى إليها في ماله وأولاده ، فأحضرت من قتله ، فلما قررت اعترفت بذلك ، فأخذ القاتل وسمّر (الحوادث الجامعة ٤١٣) .

وفي السنة ٦٨٠ قبض على شخص يلقب : بالكريدي ، بالقاهرة ، اتّهم بقطع الطريق ، والسلب ، فأمر بتسميره ، فسمّر على جمل ، وأقام أيّاماً يطاف به بمصر والقاهرة ، وقطع عنه الموكّل به الأكل والشرب ، ليقصر أجله ، كي لا يطول عذابه ، فقال له الكريدي : لا تفعل ، فإنّ شرّ الحياة خير من الموت ، فعاد الموكّل إلى إطعامه ، ثم وقعت فيه شفاعة ، فعفي عنه ، وأخلي سبيله . (تاريخ ابن الفرات ٧/ ٢١٢) .

وفي السنة ٦٩١ تسوّر عبد أسود ، إلى أسطحة آدر الحرم السلطانية بقلعة دمشق ، فقبض عليه ، وقرّر ، فذكر أنّ أحد المؤذّنين بجامع القلعة نصب له سلّماً ، وأصعده إلى هناك ، فطولع السلطان بذلك ، فورد المرسوم بقطع أطرافهما ، وتسميرهما ، ففعل ذلك بهما (تاريخ ابن الفرات ٨/ ١٣٦) .

وفي السنة ٦٩٣ تآمر قسم من الامراء على الملك الاشرف خليل ، ملك مصر ، وقتلوه ، فعوقبوا بأن قطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمّروا على الجمال ، وطيف بهم ، ثم وسّطوا (بدائع الزهور ١/ ١٣٠) .

وفي السنة ٦٩٤ قتل ببغداد رجل أعجمي ، يعرف بتاج الدين ابن الدامغاني ، بدرب حبيب ، وآتّهم بقتله جماعة من مجاوريه ، فأخذوا وحبسوا ، فحصل الحماة قاتله ، وهو صبي أمرد من الدرب ، فاعترف بقتله من غير أن يضرب ، وقال : إنّ ابن اخي المقتول أعطاه ، وآخر معه ، مائة دينار ، على أن يقتلا عمّه، وأدخلهما داراً كان يخلو فيها عمّه ، فلما دخل وسط النهار ، على عادته ، نزلا إليه وقتلاه ، فأحضر ابن أخيه ، فاعترف بذلك ، فصلب ، وأما القاتل ، فضرب في يديه مسامير إلى لوح وراء ظهره ، وطيف به بجانبي بغداد ، ثم سمّر بباب السور ، وعمل عليه ما يقيه الشمس ، ليطول عذابه ، فبقي أيّاماً لا يظهر عليه جزع ، بل يطلب من النظارة أنواع المآكل والفواكه وغيرها ، ويحادثهم ويتطارف عليهم ، ويطلب من الناس شيئاً لأجل من يرشّ الماء حول خشبته ، ويقول : في عزمنا أن نقيم هذه السنة هنا ، ثم قتل بعد ذلك على خشبته ، وهو قويّ الجنان ، قال للذي يريد أن يقتله : إضرب ضربة جيّدة في مكان كذا ، ففعل (الحوادث الجامعة ٤٨٨ و٤٨٩) .

وفي السنة ٧٠٩ لما قدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، من الكرك إلى القاهرة ، قدمته الثالثة ، قبض على النجم الحطيني ، وأمر به فسمّر ، وحمل على جمل إلى دمشق ، وسبب ذلك إنّ النجم هذا ، كان شيطاناً جريئاً ، ولعب بعقل جولجين جمدار السلطان الناصر ، وأراه ملحمة عتّقها ، وفيها ذكر لاسم أبيه وأمّه ، وذكر علامات وآثار في جسده ، وإنّه سوف يتسلطن ، وآطّلع الناصر على ذلك فقتل جولجين ، وأمر بالنجم ، فأخذ من قريته حطين ، وسمّر ، وشهر بدمشق (الوافي بالوفيات ٣/١٦٤) .

هذا ما ورد في الوافي بالوفيات ، اما ما ورد في كتاب الدرر الكامنة ، فهو :

وفي السنة ٧١٥ اعتقل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الأمراء بهادر المعزي ، وايد غدي شقير ، وبكتمر الحاجب ، وجاولجين

الخازن ، رفع إليه إنّهم آتّفقوا على الخروج عليه ، وذكر أنّ نجم بن أحمد الحطيني هو الذي حسّن لهم ذلك ، وذكر أنّ النجم كان قد داخل أحدهم ، وعمل ملحمة ، وعتّقها ، وذكر فيها حلية الخاصكي ، وذكر فيها علائم في جسده ، كان آطّلع عليها ممن رآها ، ولعب بعقله ، يريد إنّه ذكر في تلك الملحمة ، إنّ من كانت هذه العلائم في بدنه ، فإنّه سوف يكون سلطاناً ، فاعتقل النجم الحطيني ، وسمّر بالقاهرة ، وأرسل إلى دمشق فدخلها مسمّراً ، مغطّى الوجه ، على جمل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يتكلّم فيما لا يعنيه ، واستمرّوا يطوفون به بلاد الشام إلى أن وصلوا الفرات فألقوه في الماء (الدرر الكامنة ١٦١/٥) .

وفي السنة ٧١٦ تسلطن السلطان أبو سعيد بن محمد خربنده ، خلفاً لوالده ، وكان مدبّر دولته جوبان ، فأثار غيرة الحاشية ، وتحرّك ضدّه الأمير أرتخين والأمير قورمشي في السنة ٧١٩ ، وهاجماه مع عدد من الأمراء ، بقصد قتله ، ففرّ منهم والتجأ إلى السلطان ، فخرج السلطان مع جوبان لمحاربة الأمراء المخالفين ، فلما رأى الأمراء الذين مع قورمشي وأرتخين ، أنّ السلطان مع جوبان ، وكانوا قد أفهموهم غير ذلك ، انحازوا بأجمعهم إلى جهة السلطان ، وانهزم عسكر أورتخين وقورمشي ، وأمسك هذان الأميران ، وسمّرا ، وقتلا شرّ قتلة (تاريخ الغياثي ٥٦ ـ ٥٨ تاريخ العراق للعزاوي ٤٦٠/١) .

وفي السنة ٧٢٤ ولي الأمير قدادار ، ولاية القاهرة ، فأحضر الخبّازين وبطش بهم ، وسمّر عدّة منهم في دراريب حوانيتهم . (خطط المقريزي ١٤٩/٢) .

وفي السنة ٧٢٤ عثر والي القاهرة ، الأمير قدادار ، على إنسان سرق شيئاً من بيت في الليل بالقاهرة ، وتزيا بزيّ النساء ، فسمّره على باب زويلة . (خطط المقريزي ١٥٠/٢) .

وفي السنة ٧٣١ مات يوسف بن سليمان الكركي ، مسمّراً ، مشهراً على جمل ، وكان قد خدع السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأنّه يحسن صناعة الكيمياء ، ورتّب في محضره حيلة ، أدخل بموجبها بوتقة في النار ، وأخرجها سبيكة ذهب ، فخلع عليه الناصر ، وبذل له مالاً ، فاستأذن أن يسافر إلى الكرك لكي يحضر الأعشاب التي هي أصل الصناعة ، فأذن له ، فخادع من كان معه وهرب ، فبحثوا عنه حتى قبضوا عليه في إخميم ، وكان آخر أمره أن مات مسمّراً مشهراً على جمل (الدرر الكامنة ٥/٢٣١) .

وفي السنة ٧٤٢ قتل عبد المؤمن بن عبد الوهاب البغدادي ، بعد أن سمّر على جمل وطيف به ، وكان والياً على قوص ، ولما خلع قوصون السلطان المنصور أبا بكر بن الناصر أرسله إلى قوص ، وراسل عبد المؤمن ، فقتله وبعث إليه برأسه ، فلما تسلطن الناصر أحمد ، أخو المنصور ، أحضر عبد المؤمن من قوص ، وسمّره على جمل ، وطيف به ، ثم قتل (الدرر الكامنة ٣/٣٣ و٣٤) .

وفي السنة ٧٤٢ أمر الأمير قوصون بالقاهرة ، بتسمير جماعة من العامة ، فسمّر تسعة منهم على باب زويلة ، ثم سمّر ثلاثة من الطواشية ، فمات أحدهم ، وأطلق الآخران . (النجوم الزاهرة ١٠/٢٩) .

وفي السنة ٧٥٤ اعتقل الأمير أرغون ، قراجا بن ذي الغادر ، وبعث به إلى السلطان الملك الصالح بالقاهرة ، فأمر بتسميره ، فسمّروه ، وطافوا به على جمل ، في مصر والقاهرة ، قبل توسيطه . (اعلام النبلاء ٢/٤٣٥) .

ولما ولي الأمير بيبغا أرس القاسمي (ت ٧٥٤) نيابة حلب ، شدّد على من يشرب الخمر ، وكان إذا جيء إليه بسكران أمر بأن يسمّر وأن يطاف به بشوارع حلب . (النجوم الزاهرة ١٠/٢٩٣) .

وفي السنة ٧٥٤ سمّر عيسى بن حسن العائذي ، أمين الهجن السلطانية بالقطر المصري ، ولم يراجلد منه في حال تسميره ، حتى إنّه لم تسمع منه كلمة واحدة ، ثم سلّم لأهله (الدرر الكامنة ٣/٢٨١) .

وفي السنة ٧٥٨ مات الأمير سيف الدين شيخو ، وكان عظيم الثراء ، فإنّ وارده من اقطاعه ، وأملاكه ، ومستأجراته ، بالشام ، ومصر ، في كلّ يوم ، مائتا ألف درهم ، سوى الإنعام والتقادم ، « وما كان يأخذه من البراطيل على ولاية الأعمال » ، هاجمه أحد المماليك ، وضربه بالسيف على وجهه ويده ، فأخذ الضارب وسجن ، وسمّر ، وطيف به ، ومات الأمير شيخو من الضربة (خطط المقريزي ٢/٣١٤) .

وقصّ صاحب الدرر الكامنة ، قصة مقتل الأمير شيخو ، بتبسّط أكثر ، فقال : في السنة ٧٥٨ هجم مملوك اسمه آي قجا ، على نائب السلطنة الأمير شيخو الناصري ، فضربه بالسيف ، فجرحه في وجهه وفي يده ، وكان ذلك في دار العدل بحضرة السلطان وكانت ساعة صعبة ، مات فيها من الزحام كثير ، وركب عشرة من مقدّمي الألوف وأمسك آي قجا وقرر فقال : ما أمرني أحد ، وانما قدّمت له قصّة ، فما قضى لي حاجتي ، فسمّر آي قجا ، وطيف به ، ومات الأمير شيخو بعد أشهر (الدرر الكامنة ٢/٢٩٤) .

وفي السنة ٧٦٠ توفّي الأمير جانبك القرماني ، وكان قد لاقى محناً ، فسمّر في بعضها ، ورسم الناصر بتوسيطه ، ثم شفع فيه فأفرج عنه (الضوء اللامع ٣/٥٩) .

وفي السنة ٧٦٤ سمّر الأتابك يلبغا ، بالقاهرة ، خادمين من خدام السلطان ، لكلام بلغه إنّهما تكلّما به . (النجوم الزاهرة ١١/٢٥) .

وفي السنة ٧٦٧ تسلّم الأمير حسام الدين المعروف بالدم الأسود ، أولاد الكنز ، وكانوا في سجن القاهرة ، فأخذهم إلى قوص على جمال ، وقد

سمّروا في أيديهم بمسامير حديد ، على لعب من خشب ، وشقّ بهم من قوص إلى أسوان ، ثم وسّطهم بها (بدائع الزهور ١/٢/٤٠) .

وفي السنة ٧٧٢ قبض ابن السنبلي ، بأمر من السلطان الأفضل ، صاحب اليمن ، على مشايخ القرشيّين ، وأمر السلطان بتلفهم (يريد بقتلهم) ، فوسّط منهم خمسة نفر ، وسمّر ثلاثة ، وشنق الباقين . (العقود اللؤلؤية ٢/١٤٨) .

وفي السنة ٧٧٩ سمّر أحد مماليك السلطان بالقاهرة ، اسمه تكا ، وطيف به على جمل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء ، ويتكلّم فيما لا يعنيه . (بدائع الزهور ١/٢/٢١٧) .

وفي السنة ٧٨٠ أشيع أنّ جماعة من المماليك ، مقدارهم ثمانمائة مملوك ، اتّفقوا على إثارة فتنة ، فقبض عليهم ، ووضعوا في الزناجير ، وعمل أيدي كلّ اثنين منهم في خشبة ، وسجنوا ، ووسّط منهم جماعة ، بعدما سمّروا ، وطيف بهم ، وغرّق جماعة ، (بدائع الزهور ١/٢/٢٢٤ ، ٢٢٥) .

وفي السنة ٧٨٠ سمّر برقوق بالقاهرة اثنى عشر مملوكاً من المماليك السلطانية ، وعشرين من مماليك طشتمر ، لكلام صدر منهم بحقّه (النجوم الزاهرة ١١/١٦٦) .

وفي السنة ٧٨٠ أعلن موت الأمير بركة ، في سجنه بالاسكندرية ، وبعثوا من القاهرة من حقّق في أمر موته ، فظهر أنّه قد قتل ، وأنّ قاتله الأمير خليل بن عرام نائب الاسكندرية ، فاعتقل ابن عرام ، وحمل إلى القاهرة ، حيث عرّي من ثيابه ، وضرب بالمقارع ستّة وثمانين شيباً ، ثم سمّر على جمل بلعبة « تسمير عطب » وطيف به في البلد ، فهجم عليه جماعة من مماليك بركة ، وهبروه بالسيوف (النجوم الزاهرة ١١/١٨٤ و١٨٥) .

أقول : يلاحظ من قوله « تسمير عطب » ، إنّ هناك تسمير سلامة ، بحيث يسمّر المعذّب تسميراً يتفادى فيه إصابة المقاتل ، أما تسمير العطب ، فهو التسمير الذي يراد به التعجيل بموت المعذّب .

وفي السنة ٧٨٠ ظهرت في مصر عجيبة ، فإنّ حائطاً في المدينة أخذ يتكلّم وصار كلّ من يحضر يسأل الحائط ، ويتلقّى منه الجواب ، فآزدحم الناس عليه ، وآفتتنوا به ، وحضر المحتسب ، وأخرب بعض الحائط ، وشدّد في البحث ، فلم يصل إلى نتيجة ، ثم اشتبه بأنّ المتكلّم زوجة صاحب المنزل ، فأحضر الأتابك برقوق ، صاحب المنزل وآمرأته ، وسأل المرأة فأنكرت ، فضربها ، فأقرّت ، فأمر بتسميرها ، وتسمير شخص آخر اسمه عمر كان يتحدّث ويطنب في ذكر هذه المعجزة ، كما إنّه ضرب زوج المرأة ، وضرب معه عمر ، بالمقارع ، وطيف بهما في شوارع القاهرة ، وحبس الثلاثة ، ثم أفرج عنهم (النجوم الزاهرة ١١/١٧٣) .

وفي السنة ٧٨٣ جاء شخص اعجمي الى الأتابكي برقوق ، وقال له : إن النيل لا يزيد في هذه السنة ، فاتّفق أنّ النيل زاد زيادة عظيمة ، فقبض برقوق على الاعجمي وضربه بالمقارع ، **وشهره بالقاهرة على جمل** (بدائع الزهور ١/٢/٢٨٧) .

وفي السنة ٧٨٣ تعرّض شخص يقال له ابن نهار ، بالقاضي الشافعي ابن جماعة وقال له : قد حكمتَ عليّ بحكم لا يجوز شرعاً ، فأمر به الأتابكي برقوق ، فضرب بالمقارع ، **وأشهر بالقاهرة على جمل** . (بدائع الزهور ١/٢/٢٩٤) .

وفي السنة ٧٨٥ اتّهم السلطان برقوق ، سلطان مصر ، الخليفة المتوكّل على الله ، بأنّه اتّفق مع جماعة من الأفراد ، على قتله ، فسجن الخليفة ، وأمر بالأميرين قرط وإبراهيم أن يشهرا ويوسّطا ، فسمّرا ، وأشهرا ، ووسّط

أحدهما الأمير قرط ، وشفع في الأمير إبراهيم ، فنجا في آخر لحظة . (نـزهة النفوس والابدان ٦٩ ـ ٧١) .

وفي السنة ٧٨٨ تجمّع في القاهرة منسر (عصابـة) نحو ستّين رجـلاً ، وكمنوا فيها فحـاربهم والي القاهـرة ، وحصل منهم نحـو ثمانيـة عشـر نفـراً ، فسمّـروا على الجمـال في أيـديهم بـالخشب ، وألبســوا في أرجلهم قبـاقيب الخشب ، ووسّـطوا ، إلّا واحـداً منهم ، أخّـروه ليـدلّ على بـاقيهم (بـدائـع الزهور ١/٢/ ٣٧٠ ونزهة النفوس ١٣٠) .

وفي السنـة ٧٨٨ رسم السلطان بمصر ، بـإشهار جمـاعة من الممـاليك اتّهمهم بالتآمر على حياته ، فسمّروا ، وأركب كلّ مملوكين على جمل ، وظهر أحدهما لظهر الآخر ، وأشهروا بـالقاهـرة ، وحريمهم نـائحات ، صـائحات ، حـاسرات عن وجههنّ ، يلطمن خـدودهنّ ، ثم وسّطوا (نـزهة النفـوس ١٢٨ وبدائع الزهور ١/٢/٣٦٨) .

وفي السنة ٧٩٠ سمّر بـالقاهـرة ، علي بن نجم ، أمير عـربان الفيّـوم ، ومعـه عشرون رجـلاً ، وذلك بسبب قتلهم محمـد وعمراً آبني شـادي (نزهـة النفوس ١٦٧).

وفي السنة ٧٩١ حضر من الكرك مملوك ، وبدوي ، وصحبتهما مطالعة لحسام الدين الكـوراني ، والي القاهـرة ، بتجهيز الإقـامات للملك الـظاهر ، فحبسا ، ثم سمّرا ، وأشهرا ، بالقاهرة ومصر (نزهة النفوس ٢٥٣) .

وفي السنة ٧٩١ أمر الأمير الكبير يلبغـا الناصـري ، الأمير حسـام الدين الكوراني ، والي القاهـرة ، أن يسمّر جمـاعة من العـربان الـذين أحضروا إلى القاهرة ، فسمّر منهم نحو ثمانين نفر ، بعضهم على جمال ، وبعضهم مشاة ، وكان ذلك تسمير سلامة ، لتخويفهم ، وتخويف غيرهم ، فسمّرهم الوالي بقبّة النصـر ، ظاهـر القاهـرة ، وطاف بهم داخـل القاهـرة وظـاهـرهـا ، وفي بقيّـة

النهار ، أمر الأمير الكبير بالإفراج عنهم ، (تاريخ ابن الفرات ٩/١١٤) .

وفي السنة ٧٩٢ أحضر بالقاهرة أمام السلطان ، مملوك ، آتّهم باثارة الفتن ، فضرب ، وسمّر على جمل ، وشهر بالقاهرة ، وأودع بخزانة شمائل ، ولم يعرف له خبر بعد ذلك (نزهة النفوس ٣٠٩) .

وفي السنة ٧٩٢ اتّهم بالقاهرة، أحد مماليك الأمير بركة ، باحداث فتن بين الأمراء ، فأمر السلطان ، فأحضر بين يديه ، وضرب مقترحاً ، ثم أمر بتسميره ، فسمّر تسمير سلامة ، وطيف به القاهرة ، ثم سجن بخزانة شمائل ، وكان آخر العهد به (تاريخ ابن الفرات ٩/٢١٦) .

وفي السنة ٧٩٢ قبض على الأمير يلبغا ، وآتّهم بإثارة الفتن ، فرسم بتسميره وإشهاره ، والنداء عليه ، ففعلوا ذلك (نزهة النفوس ٣٠٩) .

وفي السنة ٧٩٣ خرج السلطان برقوق من حلب ، ولما وصل إلى دمشق ، قتل بها الأمير الابغا العثماني ، والأمير سودون ياق ، وسمّر بها ثلاثة عشر أميراً . (نزهة النفوس ٣٣٨ والنجوم الزاهرة ١٢/٣٤) .

وفي السنة ٧٩٧ تولّى الأمير يلبغا السالمي ، النظر في الخانكاه الصلاحية ، بمصر ، واقتضى الأمر أن يقتصر في صرف الجرايات على ما دوّنه الواقف من شروط ، فقطع جراية نحو ستّين رجلاً من الصوفية ، منهم صوفي اسمه شهاب الدين أحمد العبّادي ، فغضب العبّادي ، وبسط لسانه بتكفير السالمي ، فقبض عليه السالمي ، وخلّصه منه بعض الأعيان ، وسمع السلطان بذلك ، فغضب وأحضر العبّادي ، ونصب له مجلساً حضره الفقهاء والقضاة ، فاقتضى الحال تعزيره ، فعزّر ، وكشف رأسه ، وأخرج من القلعة ماشياً ، وحبس بحبس الديلم ، ثم نقل إلى حبس الرحبة ، ثم استدعى إلى دار قاضي القضاة وضرب بحضرة والي القاهرة نحو الأربعين عصا تحت

رجليه ، ثم أعيد إلى الحبس ، وأفرج عنه بشفاعة شيخ الإسلام . (خطط المقريزي ٢/٤١٦) .

وفي السنة ٨٠٠ سمّر من بني وائل ، مائة وثلاثة رجال ، بالقاهرة . (بدائع الزهور ١/٢/٥٠٩) .

وفي السنة ٨٠٠ سمّر أربعة نفر من مماليك علي باي ، وأشهروا (نزهة النفوس ٤٧٤) .

وفي السنة ٨٠٠ رسم السلطان بمصر ، بتوسيط شاهين ، دوادار الأتابكي كمشبغا ، فسمّر ، وأشهر على جمل ، وطيف به ، ثم وسّط (بدائع الزهور ١/٢/٤٩٣) .

وفي السنة ٨٠٠ كذلك ، قبض على سبعة أنفس ، من حاشية علي باي ، فرسم السلطان بمصر ، بتسميرهم ، وتوسيطهم ، فسمّروا ، وأشهروا على جمال ، ثم وسّطوا عند بركة الكلاب . (بدائع الزهور ١/٢/٥٠٨) .

وفي السنة ٨٠٠ عزل الأمير علاء الدين بن الطبلاوي الحاجب ، وأخوه ناصر الدين محمد متولّي القاهرة ، ونقلا إلى بيت الأمير يلبغا ظهر النهار راكبين على الحمير ، في الباشات والجنازير وسلّما لمتولّي القاهرة الجديد ، ثم توجّهوا بابن الطبلاوي إلى بيته وعاقبوا أمّ ابنه وجواريه والخطيب ابن عمّه ، وأخذوا من الذهب تسعة عشر ألف دينار . (نزهة النفوس ٤٦٥) .

وفي السنة ٨٠١ سمّر سبعة نفر ، أحدهم والد علي باي ، والثاني أخوه (نزهة النفوس ٤٩٠).

وفي السنة ٨٤٢ عصى الأمير تغري ويرمش السيفي ، كافل حلب ، على السلطان الظاهر جقمق ، صاحب مصر والشام ، فجرّد عليه عسكر من مصر ، وأسر ، وأدخل إلى حلب مشهراً على بغلة ، وخلفه شخص بيده

خنجر ، وفي يده صولجان يلعب به ، فأسمعه الناس ما يكره ، وأصعد إلى القلعة ، حيث أودع السجن بقيد ثقيل ، ثم قتل (اعلام النبلاء ٣/٣٨) .

وفي السنة ٨٥٨ سمّر السلطان بالقاهرة شخصاً من العربان يسمّى الفضل ، اشتهر بالشجاعة وقتل الأنفس ، ثم أشهر وسلخ (بدائع الزهور ـ صفحات لم تنشر ـ ص ٢١) .

وفي السنة ١٢٠٦ تم تسعير القمح بالقاهرة ، بأربعة ريالات الأردب ، ومن يخالف التسعيرة ، يأخذه الأغا في القاهرة ، ويسمّره من أذنه . (تاريخ الجبرتي ٢/١٣٤) .



فهرس الكتاب